الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي بغرداية

معهد: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي خلال القرن 11هـ/17م

مذكرة شهادة الماجستير في تخصّص: التاريخ الحديث

إعداد الطالب:

جمال سهيل

إشراف:

الأستاذ الدكتور عمار بن خروف

لجنة المناقشة

أ/الدكتور.....مختار حساني..... : رئيسا

أ/الدكتور:.....عمار بن خروف..... مشرفا مقررا

الدكتور:.....شكيب بن حفري..... عضوا مناقشا

الدكتور:.....صالح بوساليم..... عضوا مناقشا

الدكتور:.....إبراهيم سعيود..... عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1431-1432هـ/2010-2011م

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

This document is created using
SmartPDFCreator
To remove this message purchase the
product at www.SmartPDFCreator.com

إهـــداء

إلى والديّ حبّا وإحسانا..

إلى إخوتي وأخواتي صلة وكرامة..

إلى المقرّبين مودّة وصفاء..

إلى الذين علّموني كتابا وقرآنا..

إلى الذين أمدّوا يد العون اعترافا وامتنانا..

إلى الذين سلكوا درب البحث إيمانا..

إلى كلّ هؤلاء أهدي باكورة
عملي هذا

جمال

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

مقدمة:

عرفت البشرية منذ القدم صوراً للعلاقات فيما بينها، فتبادلت المنافع وأقامت قواعد العلاقات على أسس من الاحترام المتبادل في أوقات معينة، وسعت إلى تطوير هذه العلاقات التي تنشأ وقت السلم، وكانت هذه العلاقات تتم عبر صور وأشكال كالتقاء الرؤساء والملوك مباشرة، أو من خلال المبعوثين الذين كان الواحد منهم يرسل لإتمام مهمة معينة، وكلما تطورت الحياة الاجتماعية والسياسية، كانت العلاقات الدبلوماسية تأخذ منحىً جديداً أكثر تطوراً.

ظلت الدبلوماسية على مدى الأحقاب والأجيال المرآة التي تعكس مستوى العلاقات بين الشعوب والدول، سواء في سياق تفاعلاتها أ م في نطاق تجاذباتها. لذلك فإن أي استقرار لجانب من جوانبها، يكتسي أهمية قصوى لها دلالتها الخاصة ، ووقعها المؤثر في النفوس، اعتبارا لما لهذا الاستقرار من قيمة إنسانية، وسياسية قوامها البحث العلمي، والغوص في سجلات التاريخ الموغل في القدم[1].

ضمن هذه العلاقات تبلورت الدبلوماسية المغاربية الأوربية خلال العصر الحديث، فمنذ بداية القرن 9هـ/15م، اتجهت أنظار الأوربيين نحو البلاد المغاربية بعد انغماسه ا في الانحطاط، والتمزق فاحتلوا الثغور المغربية بهدف احتكار التجارة البحرية ، وسيطرت الدولتان الإيبيريتان سيطرة تامة على أغلب موانئ بلاد ا لمغرب الإسلامي.

وفي مقدمة تلك الدول فرنسا، التي سعت لفرض سيطرتها على ضفتي المتوسط، حيث لعبت دورا فاعلا في الصراع العثماني الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط مما يستوجب البحث والدراسة، نظراً لتأثير فرنسا المباشر على سيرورة ذلك الصراع ، واستفادتها الجمة من النتائج ؛ التي تمخضت عنها المراحل المختلفة للصدام العثماني الإسباني، من خلال علاقاتها الخارجية، السياسية منها والدبلوماسية مع المغرب الأقصى، خاصة أن العلاقات تأرجحت بين الحرب والسلم (سلم غير دائم وحرب غير معلنة).

---

(1) محمد الحبيب الخزار: سفراء تطوان على عهد الدولة العلوية،ط 1، مطبعة الخليج العربي 152، تطوان، المغرب 2007، ج1، ص4.

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

في هذا الإطار تندرج دراستي الموسومة ب .: **البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي خلال القرن 11هـ/17م**؛ كمحاولة لفهم الدور الدبلوماسي، الذي لعبهالمغرب الأقصى في المجال الدبلوماسي في مرحلة كانت من أصعب المراحل التي مرّ بها المجتمع المغربي ، لأنها انتهت بتفاعلاتها المختلفة، وبتجاذباتها السياسية بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط.

إن هذه الدراسة تعالج جانبا مهمّا من العلاقات بين دول الضفتين الشمالية والجنوبي ة للبحر الأبيض المتوسط. وتركز بالخصو ص على القرصنة، والتجارة، والأسرى من الجانبين. ويبرز من خلال ذلك موضوع البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي، خلا ل القرن الحادي عشر الهجري، الموافق للسابع عشر الميلاد ي، الذي كان العصر الذهبي لدول الضفتين في النشاط البحري عموما (قرن القرصنة).

– دواعي إختياري لهذا الموضوع:

1- تعلقي الشديد بدراسة التاريخ الحديث على العموم ، وتاريخ العلاقات بين ضفتي البحر المتوسط منه على الخصوص، والذي اشتدّ أكثر أثناء تحضيري لمسابقة الماجستير.

2- النقص الكبير -حسب اطلاعي- في الدّراسات العربية التي تناولت جانب البعثات الدبلوماسية خلال هذه الفترة، إلاّ ما كان من كتابات الأوربيين، والفرنسيين بشكل خاص.

3 - متعة البحث في تاريخ العلاقات الأوروبية المغاربية خلال العصر الحديث، ومظاهرها العامة.

4- التعرف على دور فرنسا في البحر المتوسط، وعلاقاتها السياسية، والتجارية مع دولة المغرب الأقصى.

5- معرفة مدى تأثير نشاط البحريتين المغربية والفرنسية، والأسرى في توجيه تلك العلاقات خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي.

6- محاولة إماطة الغموض والمساهمة بالجهد المتاح في إبراز التاري خ الدبلوماسي للمغرب الأقصى مع فرنسا.

7- محاولة التقرب من المصادر الأجنبية وا لوثائق، لمعرفة الجانب الدبلوماسي الذي كانت عليه فترة القرن11هـ/17م، دون الاعتماد الكلي على كتب الغربيين المحتكرين لجلها.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

8- تشجيع أستاذتي المشرفة لي، فهي التي اقترحت عليّ الموضوع، نظرا لأهميته، ولنقص الدراسات الأكاديمية حوله، فسعيت بهذا الجهد لأكتب في مجال الدبلوماسية المغربية، وعلاقاتها مع البلاط الفرنسي في فترة كانت تشهد العلاقات فيها صراعا محتدما، فجاءت البعثات الدبلوماسية كوسيلة مهمة في فض هذا النزاع.

9- الرغبة في المساهمة بالجهد المتاح في إعادة كتابة الأحداث التاريخية لهذه الفترة، بنظرة مغاربية خالصة، دون إغفال ما كتبه الأوروبيون.

10- اقتراح الأستاذ الدكتور عمار بن خروف في تقليص الإطار المكاني، والبحث في موضوع بعثات المغرب الأقصى نحو البلاط الفرنسي، فكان نعم المعين في سبيل إتمام هذا البحث فله مني جزيل الشكر.

11- إن فكرة الكتابة في موضوع البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي، خلا ل القرن الحادي عشر الهجري، الموافق للسابع عشر الميلاد ي، ليست فكرة جديدة أو موضع لم يتطرق إليه أحد الكتاب. أو لم يناقش من قبل، وإنما اختيارنا لهذا الموضوع ما هو إلا نتيجة لفكرة راودتني في الدراسات النظرية للماجستير، ثم تعمقت في ذهني بعد الإطلاع على الموضوع.

12- إن اختيارنا للموضوع لم يكن وليد الصدفة ، وإنما نتيجة لمجهودات أستاذ مشرف يجمع بين التخصص الدقيق للعلاقات بين ضفتي المتوسط، والإلمام بمنهجية البحث التاريخي، ويشجع على البحث في مجال الدراسات التاريخية، ونظرا لهذه العوامل ارتأينا أن نبحث في هذا الموضوع كمساهمة متواضعة في دراسة تاريخ المغرب.

- الهدف من هذه الدراسة:

إن هدفي من هذه الدراسة؛ هو إبراز العلاقات، والبعثات الدبلوماسية بين المغرب الأقصى والبلاط الفرنسي، خلال القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، في مرحلة شهدت تطورات حاسمة بين دول الحوض الغربي للمتوسط نظرا لما امتازت به هذه الفترة من تناقض، وغموض حيث يظهر من خلالها عجز فرنسا عن نهج سياسة واضحة اتجاه المغرب الأقصى، فمن خلال بحثي

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

هذا أردت أن أعالج أهم البعثات الدبلوماسية التي خرجت من المغرب الأقصى باتجاه البلاط الفرنسي، والقضايا التي حركت العلاقات السياسية، ونشّطت البعثات الدبلوماسية.

– الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

أمّا الإطار الزّماني للدراسة؛ فقد حددته من مطلع القرن الحادي عشر الهجري /السابع عشر الميلادي؛ إلى بداية القرن الثاني عشر الهجري /الثامن عشر الميلادي (1012-1110هـ/1603-1699م) وهذا للأهمية البالغة، التي تكتسيها هذه الفترة الزمنية في تاريخ العلاقات بين ضفتي البحر المتوسط، حتى أصبح يطلق على هذا القرن بـ:(قرن القرصنة)، لأنه غني بالأحداث التاريخية، وعرف تطورات حاسمة بالنسبة للمغرب الأقصى وفرنسا، هاتان الأخيرتان شكلتا إطارا مكانيا لدراستي، فقد ظهرت فرنسا كقوة لا يستهان بها في الحوض الغربي للمتوسط، وتزامن ذلك مع نهاية دولة السعديين، وظهور دولة العلويين في المغرب الأقصى.

– الإشكالية المطروحة:

مثّل موضوع دراستي الموسوم بالبعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي؛ تساؤلا هامّا عند الباحثين والمؤرخين، خاصة منهم الغربيين، لأنّ مفهوم الدبلوماسية تغيّر مدلوله مع مرور الزمن، ليكسب خاصية الظرفية التي أفرزته، والحديث عن الدبلوماسية المغربية خلال العصر الحديث يطرح عدة مشاكل: **هل كان للمغرب الأقصى مبعوثون دبلوماسيون في البلاط الفرنسي؟ فإن كان، فما هي أهم هذه البعثات والسفارات الدبلوماسية خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي؟ وما طبيعة العلاقات التي كانت تربط المغرب الأقصى بمملكة آل بربون؟ وماهي أهم القضايا التي حركت العلاقات بين البلدين؟**

– الدراسات السابقة للموضوع:

إنّ افتقار موضوع العلاقات الدبلوماسية للمغرب الأقصى مع البلاط الفرنسي خلال القرن 11هـ/17م، دفعني إلى القيام بهذه الدراسة، حيث لم أقف على حد علمي على دراسة وافية، وشاملة لهذا الموضوع رغم أهميته. وبالرغم من أن موضوع البعثات الدبلوماسية للمغرب الأقصى مع البلاط

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الفرنسي قد تناوله غير واحد من المؤرخين، غير أن ذلك لم يمنعني من ولوج هذه الدراسة، لاسيما بعد أن تيقنت من أنني سأضيف فيها شيئا ولو يسيراً، إما في الطرح أو الشكل.

فأنا لا أهدف إلى ابتكار موضوع جديد، ولكن الغاية التي أردتها هي إعطاء قراءة جديدة لمراجع ومصادر معروفة، وأخرى غير معروفة، وإخراجها إخراجا حسنا في شكله، وضبطها ضبطا جيدا في منهجيتها، حسب ماتعلمناه عن أساتذتنا في الدراسات العليا.

وقد ركّزت أغلب الدراسات التي تناولت الموضوع، والفترة المدروسة على العلاقات السياسية، والعسكرية، والتجارية، دون التوسّع في الجانب الدبلوماسي الذي تميزت به فرنسا مع المغرب الأقصى، كما أن الدراسات التي تطرقت لموضوع البعثات الدبلوماسة ركّزت على البعثات، التي خرجت من الدول الأوربية باتجاه بلاد المغرب الاسلامي، وأخص بالذكر المغرب الأقصى، كما أني لاحظت أن أغلب الدراسات تطرقت لموضوع القناصل الأوربيين، الذين مثلوا بلدانهم في بلاد المغرب الاسلامي، دون الاهتمام بالمبعوثين المغاربة، الذين أرسلوا من طرف حكوماتهم من أجل تسوية قضايا عالقة، أو ترتيب معاهدة من المعاهدات، أو حل مسألة الأسرى...).

أما بالنسبة للدراسات التي تحدثت عن الموضوع رغم قلتها أذكر: العلاقات السياسية، والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا على عهد المولى اسماعيل (1672-1727م) للدكتور أحمد الأزمي، وأودّ أن أشير إلى أني استفدت كثيرا من دراسة الدكتور عمار بن خروف حول العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، خاصة فيما تعلق بأوضاع المغرب الأقصى.

وكذلك رسالة الدكتور إبراهيم سعيود بعنوان الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني؛ استفدت من هذه الدراسة في جانب حديثه عن القرصنة المتوسطية، وظاهرة الأسر التي اختص بها بحارة بلاد المغرب الإسلامي، إضافة إلى كتابات الدكتور عبد الهادي التازي في جانب الدبلوماسية والتاريخ الدبلوماسي للمغرب، كما استأنست ببعض الدراسات المتخصصة حول الموضوع فيما يخص المغرب الأقصى مثل: جاك كايي في دراسته الموسومة بالبعثات، والسفارات المغربية الى فرنسا، ومحمد الحبيب الخزار، سفراء تطوان على عهد الدولة العلوية، وبن زيدان في كتاباته العز والصولة في معالم

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

نظم الدولة، والعلائق السياسية للدولة العلوية، وعبد العزيز بن عبد الله، السفارة والسفراء بالمغرب عبر التاريخ...)

ولا يفوتني أن أذّكر برسالتين باللغة الفرنسية من جامعة السربون للطالب سعيد ربيح، بعنوان:

1-Le Regard Francais Sur Les Envoyé Marocins Du XVIIe Et XVIIIe Siecles.

2-Deux Ambassades Marocaines En France Au XVIIe Siecle.

– المنهج المتبع في الدراسة :

إن طبيعة الموضوع اقتضت أن يكون المنهج الوصفي التاريخي هو المنهج المتبع، إذ الدراسة قائمة على تقصي الحقائق في مضانّ محلية، وغربية. ثم تركيبها، وتحليلها، ووصفها في إطار سياقها التاريخي، مع اعتماد المنهج التحليلي بين الفينة والأخرى، حسبما يقتضيه البحث التاريخي مع المادة العلمية التي توفرت لديّ.

– الخطة المعتمدة في الدراسة :

اعتمدت في دراستي هذه على خطة تحتوي على مقدمة ومدخل تمهيدي وثلاثة فصول:

المقدمة: تتضمن التعريف بالدراسة، و تحديد الإطارين الزماني والمكاني، ودوافع اختيار الدراسة، وأهميتها، وكذا المنهج المعتمد، ثم عرض لأهم الدراسات السابقة للموضوع، ثم أهم الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث، وفي الأخير عرض تحليلي لأهم المصادر ، والمراجع ، التي ساعدتنا كثيرا في البحث.

الفصل التمهيدي: وهو تحت عنوان: **البعثات والسفارات الدبلوماسية مابين النشأة والتطور التاريخي**؛ حيث تطرقت فيه لمجموعة من التعريفات تناولت الدبلوماسية، والبعثات، والسفارات، والوقوف على المصطلحات، والتعريفات. كما تناولت فيه علاقات دار الاسلام بدار الكفر.

– أما المبحث الأول: عنوانه الدبلوماسية بين توصيف المفهوم وتطور التاريخ، فقمت بتعريف مفهوم الدبلوماسية لغة، واصطلاحا، ثم انتقلت للحديث عن تصور الدبلوماسية عند المسلمين، ومراحل تطورها، ثم تطرقت للدبلوماسية عند الغربيين.

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

– المبحث الثاني: تناولت فيه التعريف بالبعثات الدبلوماسية، وهو موضوع الدراسة، فتعرضت لتعريف البعثة الدبلوماسية، ونشأتها، ثم بينت المهمة المنوطة بها.

– في المبحث الثالث: عرفت معنى الرسول، والسفير في اللّغة، وفي الاصطلاح، وأعطيت نبذة تاريخية عن الرسل والسفراء وطرق اختيارهم، ومشروعية عملهم، ثم علاقتهم بعقد الأمان، والأحكام المتعلقة بهم.

وأما الفصل الأول: فقد خصصته **للوضع السياسي للمغرب الأقصى وفرنسا** خلال القرن 11هـ/17م، وقد حاولت في هذا الفصل التطرق لجانب الأوضاع السياسية السائدة في كل من المغرب الأقصى وفرنسا، وفيه مبحثان:

– أما المبحث الأول: فقد خصصته للوضع السياسي للمغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م، حيث شهد تطورات هامة تتعلق ببناء الدولة فيه، وتثبيت وجودها، وتوسيع نفوذها خاصة نحو الجنوب، في ظل ما كان يتهددها من أخطار خارجية؛ استهدفت القضاء على حكم السعديين فيه، وإلى اضطراب أحواله الداخلية أحيانا بسبب قيام العديد من الثورات. والافتتان على السلطة بين السعديين أنفسهم، مما كان يؤثر على علاقاتهم الخارجية، ونوعية تلك العلاقات.

– وأما المبحث الثاني فتناول الوضع السياسي لفرنسا خلال القرن 11هـ/17م، من انتقال الحكم من عهد هنري الرابع إلى لويس الثالث عشر، ثم تحدثت عن شخصية الكاردينال ريشيليو ومركزية السلطة، والكاردينال مزران كوزير أول، وأطوار حرب الفروند في أوروبا، وركزت الحديث عن عصر لويس الرابع عشر على الصعيد الداخلي، والخارجي، ثم ختمت المبحث بملاحظات هامة حول عصر لويس الرابع عشر الملك الشمس.

الفصل الثاني: تناولت فيه **العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب الأقصى والبلاط الفرنسي** خلال القرن 11هـ/17م، مستعرضا أهم المراحل التي مرت بها العلاقات بين البلدين خلال الفترة المدروسة، حيث عرف المغرب الأقصى توافدا كبيرا للسفراء والقناصل الفرنسيين، من أجل ربط علاقات سلمية مع ملوك الدولة السعدية، ثم الدولة العلوية، وفي المقابل لم أجد محاولات جدية لربط علاقات دبلوماسية من قبل المغرب الأقصى، وفي هذا الفصل مباحث ثلاثة:

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

– المبحث الأول: محركات العلاقات بين المغرب الأقصى وفرنسا، فكانت أهم هذه المحركات: موضوع القرصنة، الأسرى، البحرية، والمبادلات التجارية.

– المبحث الثاني: العلاقات المغربية الفرنسية نهاية القرن 10هـ/16م، بداية بإنشاء القنصلية الفرنسية بالمغرب وتوافد القناصل الفرنسيين على مختلف المدن المغربية، إلى بداية العلاقات الرسمية بين البلدين.

– المبحث الثالث: العلاقات المغربية الفرنسية على عهد المولى اسماعيل ولويس الرابع عشر، مرت العلاقات عبر ثلاث مراحل هي: – مرحلة التقارب والتفاهم– مرحلة الصراع رغم تبادل السفارات – مرحلة جمود العلاقات والقطيعة الدبلوماسية.

وفي **الفصل الثالث**: تناولت فيه الحديث عن أهم **البعثات، والسفارات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي** خلال القرن 17م.

– فالمبحث الأول منه: خصصته للحديث عن أهم البعثات، والسفارات المغربية باتجاه البلاط الفرنسي خلال العهد السعدي، بداية ببعثة أبو القاسم الحجري الملقب بأفوقاي سنة 1610م، وأحمد الجزولي 1020هـ/1612م، ثم بعثة سيدي فارس، وهو في مبحثين:

– أما المبحث الثاني: فقد خصصته للحديث عن أهم البعثات، والسفارات المغربية باتجاه البلاط الفرنسي خلال العهد العلوي، بداية ببعثة محمد تميم الأول، وختمته بالبعثة المشهورة لعبد الله بن عائشة سنة 1110هـ/1699م، أيام السلطان المولى إسماعيل في المغرب الأقصى، ولويس الرابع عشر في فرنسا، وطرحت مسألة خطبة السلطان مولاي إسماعيل للأميرة الفرنسية دو كونتي (De Conti).

– وختمت هذه الدراسة **بخلاصة** تتضمن بعض نتائج الدّراسة وبعض التوصيات، و تضمنت الرسالة بعض الملاحق، و الفهارس المتعددة (الآيات، الأعلام، البلدان، الأماكن والأديان، الموضوعات).

وأملي أن تكون هذه المذكّرة لبنة إضافية إلى البناء التاريخي، الذي يسعى لإنجازه المؤرخون، والباحثون في تاريخ المغرب الحديث.

– نقد أهم المصادر والمراجع:

لإنجاز هذا البحث سعيت إلى الرجوع لما ألف حول الموضوع من وثائق منشورة، ومصادر ومراجع، عربية وأجنبية، ومقالات متخصصة، ورسائل جامعية.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

1- الوثائق المنشورة:

أ- أوجان بلونتي: شخصية فرنسية كان كاتبا في وزارة الخارجية، لذلك اهتم بالوثائق ذات الصلة بالعلاقات الفرنسية، فجاءت مؤلفاته في هذا الصدد، ومن مؤلفاته:

- Correspondance des Deys D'alger avec la cour de France1579 -1833 .2v

مراسلات دايات الجزائر مع البلاط الفرنسي لأوجان بلونتي عبارة عن مجموعة من الوثائق المنشورة في جزأين، وطبع بباريس سنة 1889. فهذه الرسائل كانت متبادلة بين حكام الجزائر، وبعض رجال الدولة الجزائرية من جهة، وملوك فرنسا ووزرائها، ورجالاتها من جهة أخرى، لذلك الكتاب لم يتضمن فصولا ولا أبواباً ولا مباحث، ولكن الكاتب سبق وأن نشر هذه المراسلات بمقدمة، ومدخل في الجزء الأول في 80 صفحة، ومن أهم المواضيع التي تطرقت إليها المراسلات:

- تدعيم الصداقة بين الطرفين وضرورة السلم الدائم، القرصنة ومعالجة ما ينجم عنها من خلافات، ومسألة جوازات المرور، وأمن التجارة، الرعايا ومعاملاتهم، الأسر والاسترقاق، وقضية الافتداء، الامتيازات ومبدأ الأفضلية التي تحضى بها فرنسا.

الكتاب يجمع بين كونه مرجعا ومصدرا من الدرجة الأولى، فهو مرجع في المعلومات التي عرضها لنا في المدخل، ومصدر من الدرجة الأولى كونه يعرض وثائق لا غنى عنها لباحث في تاريخ الجزائر، أو في علاقات فرنسا الخارجية في العصر الحديث فالكاتب بجمعه لهذه المراسلات التي كانت مبعثرة في عدة دور أرشيف، يكون قد قدم خدمات جليلة للمهتمين بتاريخ الجزائر، والبلاد المغاربية عموما لأنه كشف وثائق، منها ما لم يكن معروفا، ومنها ما عرف عنه القليل فقط كما أن الهوامش التي طعم بها المراسلات قد زادت في توضيح وشرح هذه الوثائق.

- Correspondance des Beys De Tunis avec la cour de France 1577-1830.3v
- Les Consules de Fance à Dalger Avant la conquéte 1579-1830.
- La Collection De Statues Du Marquis de Marigny.
- Mouley Ismail Empereur Du Maroc Et la Princesse de Conti.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

ب– هنري دو كاستري:

– Henry de Castries: Sources inédites de l histoire du Maroc.

للمستشرق الفرنسي هنري دو كاستري ورفاقه، الذي نشر الكثير من الوثائق المغربية عن الفترة ما بين سنتي (1486-1665م) المحفوظة في أرشيفات الدّول الأوروبية، كفرنسا وإسبانيا وهولندا وإنكلترا والبرتغال، وقد تمّ نشرها مابين سنتي (1905-1961م) بباريس ضمن سبعة وعشرين مجلدا خاص بالدولة السّعدية والعلوية، قسمت كما يلي:

- البرتغال: 3 مجلدات (1486-1580م).
- إسبانيا: 3 مجلدات (1531-1578م).
- فرنسا: 3 مجلدات (1533-1665م).
- انجلترا: 3 مجلدات (1540-1660م).
- الأراضي المنخفضة: 6 مجلدات (1578-1660م).

قدم الكاتب، والمؤرخ"دوكاستري"خدمات كبيرة، ليس للمغرب فحسب، بل لكل المؤرخين. فأصبح مؤلفه مرجعا لا غنى لدارس تاريخ المغرب الأقصى عنه، لما يحتويه من وثائق هامة تتعلق بمراسلات رسمية بين ملوك المغرب، ونظرائهم الأوروبيين، بالإضافة إلى تلك المعاهدات المبرمة في المجال السياسي، والإقتصادي. استفدت منه كثيرا في علاقات المغرب الخارجية خاصة الجزء الثاني المخصص لفرنسا.

2– المصادر العربية والمعرّبة: من أهم المصادر التي ساعدتني كثيرا في دراستي هذه ما يلي:

– مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب (المعروفة برحلة أفوقاي): لأحمد بن قاسم الحجري أفوقاي: 1613/1611م ، تحقيق محمد رزوق، ط 1، السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، بدون تاريخ.

يعتبر هذا الكتاب أهم مصدر تاريخي أندلسي كتب بعد قرار النفي بحق الأندلسيين الموريسكيين،فصاحبه أرّخ لفترة بداية القرن 11هـ/17م، وهو بمنأى عن محاكم التفتيش، يجادل المسيحيين واليهود، ويستعرض من خلال ذلك مافعله الإسبان بشعبه، وظروف انتقال هؤلاء إلى شمال إفريقيا.

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

وصل الحجري إلى المغرب أواخر عهد المنصور الذهبي، وعمل عنده بالترجمة 1007هـ/1599م وأعجب أفوقاي بالسلطان المنصور، وبعلمه وثقافته، حيث ذكر أن لديه مكتبة تحتوي على 32 ألف كتاب في مختلف صنوف العلم [1].واشتغل لديه بالترجمة ، وقام بالمهمة نفسها لدى السلطان زيدان وابنيه عبد الملك والوليد.

تعطي الرحلة صورة حيّة عن تطور اللغة العربية عند المورسكيين، بعد تجربتهم المريرة مع الإسبان، وهذه المذكرات تتضمن وقائع رحلته المؤلمة منذ خروجه من الأندلس وحتى وصوله إلى لاهاي في هولندا، مرورا بمراكش، وما يهمنّا من هذه الدراسة هو زيارته لفرنسا عهد السلطان زيدان. قام بعض المغاربة بسفارات إلى فرنسا، ووصفوا مدنها وأوضاعها، ومن هؤلاء"أحمد بن قاسم الحجري" الملقب بأفوقاي؛ الذي أدرك من حياة أحمد المنصور، الخمس سنوات الأخيرة منها. **– نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي:** لصاحبه محمد الصغير بن الحاج عبد الله اليفراني السوسي المراكشيتوفي سنة 1155هـ/1742م[2]، وقد نشر الكتاب من طرف المستشرق الفرنسي هوداس في باريس سنة 1888م، ونشر في فاس بالمطبعة الحجرية، بدون تاريخ، الكتاب له أهمية كبرى لكونه يغطي فترة طويلة من تاريخ المغرب، شملت حوالي نصف قرن، ولقد انعكست هذه الأهمية على موضوع البحث.

– كتاب الغزوات لمؤلف مجهول : تحقيق نور الدين عبد القادر الطبعة 1353هـ– 1934م الناشر: المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية– الجزائر عدد الصفحات: 128 لم نعثر على دراسة أو بحث أو مقال أو ما شابه، حول تاريخ الجزائر في القرن السادس عشر الميلادي، إلا ووجدناه يعتمد –في قليل أو كثير– على هذا المصدر الموسوم بـ "غزوات عروج وخير الدين" لمؤلف مجهول، فقد أضحى موردا لا غنى لباحث عن معلوماته ومادته الدسمة، وفي هذا الملخص نشير إلى أصل هذا الكتاب ومحتوياته:

---

(1) أحمد بن قاسم الحجري أفوقاي : رحلة أفوقاي (مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب) 1611م/1613م ، تحقيق محمد رزوق، ط1، السويدي للنشر والتوزيع ، أبو ظبي، د ت، ص 106. وجدنا نسخة أصلية مصورة في مركز آل سعود للعلوم الإسلامية والدراسات الانسانية، بالدار البيضاء، المغرب عند زيارتنا للمركز، وهي نفس النسخة المجودة بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم Arabe7024، خالية من اسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه.

(2) محمد المنوني: المصادرالعربية لتاريخ المغرب، في مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المغرب1983،ج1، ص159.

This document was created using Smart PDF Creator
Remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

مؤلف الكتاب مجهول الاسم، عاش في القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي، أما الكتاب فقد كُتب باللغة التركية في الأصل ثم تُرجم إلى العربية، كما يذكر المحقق في مطلع الكتاب . ويضيف أن النسخة الخطية باللغة التركية محفوظة بخزانة السراية القديمة بالأستانة منسوبة لسنان شاوش، ويعتقد أنها هي الأصل، أما النسخة التي اعتمد عليها فهي باللغة العربية محفوظة بالخزانة الدولية بالجزائر تحت عدد 1622 الجديد، وعدد 942 القديم. الكتاب بحق مصدر مهم لدراسة تاريخ الجزائر، إذ يصور حلقة من حلقات صراعها مع الغرب المسيحي، وفصول إلحاقها بالدولة العثمانية، ودورها في حوض المتوسط الذي أسرلي كثيرٌ من الحبر حوله.

3- المصادر العربية:

– الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى : لمؤلفه أحمد بن خالد بن حماد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، مؤرخ، وباحث مغربي (1250هـ–1315هـ)، اعتنى بتاريخ المغرب من أول الفتح إلى العصر العلوي المتأخر هذه الدراسة مكتوبة على طريقة الحوليات[1].

– المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف: (مؤرخ الدولة العلوية) تأليف: عبد الرحمن بن زيدان تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي الطبعة الأولى ، 1413هـ/1993م، بالدار البيضاء. الكتاب يرصد جوانبَ متعددةً من شخصية السلطان المغربي العلوي المولى اسماعيل، ومختلف التنظيمات السياسية والعسكرية، وجوانب من الحياة الأدبية والعلمية في عهده، كما يقدم ملامح من العلاقات الخارجية التي اتسّم بها عصره.

4- المراجع العربية:

– العز والصولة في معالم نظم الدولة لعبد الرحمان بن زيدان، الكتاب من جزئين، استفدت من هذا المرجع في جانب الاهتمام بموضوع تنظيمات الدولة المغربية، وعلاقاتها الخارجية، خاصة فيما يتعلق بالجانب الدبلوماسي، فقد أولى عبد الرحمان بن زيدان أهمية بالغة بالموضوع، وخصص له قسطا هاما من مؤلفاته.

---

(1) قام بتحقيق هذا الكتاب جعفر الناصري، ومحمد الناصري، صدر عن دار الكتاب سنة 1955م. انظر: بشيشي زهرة: حركة الجهاد خلال العهد السعدي، بحث لنيل الإجازة، جامعة الحسن الثاني عين الشق، الدار البيضاء، المغرب1987.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

يقول الكاتب في هذا الصدد: "أما نظم الدولة ذات العز...موضوع مع شدة الحاجة إليه أغفله المؤرخون والكتاب...حتى توهّم الأغمار، والأغرار أنه لم تكن لدولة المغرب نُظُمٌ...ولا قواعد...ولا إدارة ولا تدابير الملك مألوفة"[1].

– **العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى في القرن 10هـ/16م**، لمؤلفه الدكتور عمار بن خروف، الكتاب غني بعلاقات المغرب الأقصى سواء الداخلية والخارجية، فإعتمدت عليه، خاصة في المنهجية الدقيقة.

– **التاريخ الدبلوماسي للمغرب: لعبد الهادي التازي** في عشرة مجلدات، وقد اقتصرت على المجلدين الثامن المخصص لعلاقات السعديين الذي تناول فيه سياستهم الخارجية، سواء مع جيرانهم الأتراك، أم مع الدول الأوروبية ومنها فرنسا والبرتغال، وإسبانيا، وهو في حقيقته عمل موسوعي كبير ، أفادني كثيرا بإعطاء لمحة عن علاقات السعديين مع أوروب ا مع بداية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي إضافة إلى قيمة الوثائق المنشورة فيه ، والجزأين الأول والثاني من المجلد التاسع المخصص لعهد العلويين، واستفدت منه فيما يتعلق بالعلاقات بين المغرب الأقصى وفرنسا، والسفارات الدبلوماسية المتبادلة بينهما، كما استفدت من ملاحقه القيمة عن المراسلات الدبلوماسية، التي تمت بين ملوك فرنسا وسلاطين المغرب الأقصى.

– **العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا على عهد السلطان مولاي اسماعيل**(1672-1727م): **للدكتور أحمد الأزمي**؛ أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز– شعبة التاريخ فاس.[2]

لقد استطاع من خلال هذه الدراسة أن يحلل ويبرز هذه العلاقات التاريخية التي وافقت الثلث الأخير من القرن 11هـ/17م، والربع الأول من القرن 12هـ/18م؛ وهي مرحلة دقيقة في تاريخ الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط والعلاقات الدولية، بالإضافة إلى العلاقات المعقّدة التي كانت قائمة بين شرق المتوسط وغربه، على مستوى الصراعات الإقليمية، والدولية آنذاك، خصوصا وأن المغرب

---

(1) عبد الرحمان بن زيدان: العز والصولة في معالم نظم الدولة، الرباط، المغرب1961،ج1، ص4.
(2) أحمد الأزمي: العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا على عهد السلطان مولاي اسماعيل(1672-1727م)، منشورات مابعد الحداثة، فاس، المغرب2007، ص3.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

امتدت روابطه الشرقية بأبعادها الدينية والسياسية والاقتصادية مع الخلافة العثمانية، وامتدت روابطه واتصالاته السفارية مع دول أوروبا الغربية، خاصة المملكة الفرنسية في عهد الملك لويس الرابع عشر، والتي وافقت فترة سلطان قوي في المغرب وهو المولى اسماعيل.

- **تاريخ الضعيف الرباطي**: لمؤلفه محمد بن عبد السلام بن احمد الرباطي، نشر هذا الكتاب بعنوان تاريخ الدولة العلوية السعيدة، استفدت منه في حديثه عن أطوار الحكم العلوي والأحداث التاريخية التي صاحبت ذلك، وأخص بالذكر الجزء الأول منه.
- **سفراء تطوان على عهد الدولة العلوية**: لمحمد الحبيب الخراز، الكتاب في جزأين، استفدت من الجزء الأول منه خاصة فيما تعلق بسفارة الحاج محمد تميم الأول إلى بلاط لويس الرابع عشر، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب2007.
- **المغرب وأوروبا مابين القرنين الخامس والثامن عشر**: لعبد المجيد القدوري، مطبعة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 2000.
- **سفراء عرب في أوربا 1610-1922م**: لعبد المجيد القدوري، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات 2006.

5- المراجع الأجنبية:

- Histoire des rois d'Alger **لديقو دي هايدو** Diego de Haedo[1]: هو راهب بنديكتيني؛ كان سجينا بالجزائر في الفترة ما بين 1578-1581م. أما الكتاب كما يدل عنوانه فمخصص لحكام الجزائر ابتداءً بعروج إلى مصطفى باشا، فهو يعطي ترجمة تسعة وثلاثين حاكما. كما يلقي بعض الأضواء على تاريخ الجزائر السياسي خلال القرن الحادي عشر هجري السابع عشر الميلادي ، كما طرح قضايا هامة مثل: تمرد الإنكشارية، الثورات الداخلية، الأسرى المسيحيون وطرق التعامل معهم من طرف السلطات الجزائرية، وحكام الجزائر.

(1) حول هذه الدراسة انظر: أبو القاسم سعد الله: مؤرخو وكتاب الحوادث خلال القرن السادس عشر، ضمن ترجمته لكتاب جون وولف: الجزائر وأوربا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1986، ص462.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

– Hitoir de Barbarie **الأب دان** le père dan: زار الجزائر سنة 1634م، بهدف فدي الأسرى، رفقة المبعوث الفرنسي دان من الأوائل ساسون لوباج، يعتبر الرّاهب من الذين شوهوا تاريخ الجزائر، فقد أعماه التعصب الديني عن رؤية الحقيقة. إنّ هذا التحامل والتشويه له ما يبرره، فالهدف الأساسي من تأليفه لهذا الكتاب هو إثارة الحماس الديني وكسب عطف أوربا.

وبغض النظر عن وجهة نظره، يمكن الاستفادة منه للتعرف على أوضاع الجزائر خلال النصف الأول من القرن السابع عشر[1]. الكتاب بعنوان: تاريخ بربريا شمال إفريقيا وقراصنتها في ممالك ومدن: الجزائر، تونس ، سلا ، طرابلس؛ تم تقسيم هذه الدراسة إلى ستة كتب تضمنت: معاينة للحكام وللحكومات. كما تطرق إلى العادات التي وصفها الكاتب بالقاسية، ووصف هذه الحكومات بقطاع الطرق، ووصف أعمالهم بأنها تقوم على الحيل إضافة إلى العديد من الأوصاف الأخرى.

– Histoire du Royaume d'Alger **لوجي دو تاسي** Laugier de Tassy: كان مسؤولا في القنصلية الفرنسية بالجزائر في سنة 1727م، ألف كتاب تاريخ مملكة الجزائر، تميز بنظرته المعتدلة تجاه الجزائر، خاصة ما تعلق بموضوع الأسرى، وسرد الوقائع كما شاهدها أثناء إقامته بالجزائر[2].

– **ويليم سبنسر**: كاتب إنجليزي ألف كتاباً بعنوان: **الجزائر في عهد رياس البحر** ، اعتمد فيه على مجموعة من الوثائق باللغة الإيطالية، والإسبانية، والفرنسية، والانجليزية، والعثمانية، فهذا الكتاب حبرته يد مؤرخ مختص باحث، جاءت بعض فصوله عبارة عن تحليلات لأسس تكوين الإيالة، وأنماط الحكومة، وطبقات المجتمع الجزائري، بالإضافة إلى دراسته لجانب العلاقات الخارجية، خاصة مع الدولة العثمانية[3].

– Les raports de la franse et du maroc للأب نوال le père Noel: يصف الكتاب أطوار العلاقات المغربية الفرنسية خاصة فيما يتعلق بالجانب التجاري، استفدت منه في عرضه

---

(1)غطاس عائشة: العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1694) رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر1986. ص215 .

(2) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص462..

(3) ويليم سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تقديم وتعريب عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر 2006، ص7.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

لنصوص الاتفاقين بين المغرب وفرنسا لسنة 1630م و1631م، ووصفه لبعض السفارات المتبادلة بين البلدين[1].

-Les rois de france et le maroc لشارل بان Charles penz: يتطرق الكاتب في هذا الكتاب للاتصالات الأولى التي تمت بين ملوك فرنسا وسلاطين المغرب في عهد السعديين، مستعرضا البعثات والسفارات والقنصليات الفرنسية في المغرب الأقصى.

- Ambassadeures,envoys partioulierset représentants officieux de la france au maroc لجاك كايي Jacques Caillé: استفدت من هذه الدراسة فيما يخص سفراء وممثلي فرنسا في المغرب، والمهام التي كلفوا بها.

– الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة:

لا يمضي بحث إلى نهايته دون أن تعترض الباحث صعوبات ومعوقّات، ذلك أنّه من طبيعة الدراسة الأكاديمية، المعاناة والنصب، اللّذان يتكبدهما الباحث، ودون الشهد إبر النحل كما يقول المتنبي. ولقد كان بعد المشقة في اقتناء المادة خصوصا المغربية منها –مع قلة ذات اليد– عقبة كأدّاء أزاح الله همّها بما أتاح لي من صديق معين وعضد متين.

ثم كان من قلّة الدراسات باللغة العربية همٌّ آخر اعترضني، إذ وجدت نفسي أمام موضوع جديد يحتاج إلى جهد فكري، وعمل منهجي ولم أجد الدراسات التي تلهمني معالم الطريق، وترسم جادة البحث، والتنقيب، إلا ما جاء في كتابات الدكتور عبد الهادي التازي، والدكتور جمال قنان، وعبد الرحمان بن زيدان، وجاك كايي. وهذه على الرغم من أهميتها إلاّ أنها لم تحملني على فهم محيط، وإدراك كامل مع فضلها في تقديم إيحاءات كثيرة أرشدتني إلى توجّهات فكرية اتخذت منها نبراسا أسير على نهجه.

كلّ ذلك جعل البحث يمضي في أناة، كاد ضيق الوقت الذي زاحمني مع كثرة الأعمال، والواجبات اليومية أن يجعل منها انقطاعا زمنيا مؤثّرا على تناسق الأفكار المؤطّرة لكلّية البحث.

---

(1) زهراء إخوان: العلاقات المغربية الخارجية في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، أطروحة دكتوراء دولة، إشراف الدكتور محمد حجي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب1990/1989، ص18.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

أما موضوع البعثات الدبلوماسية المغاربية إلى البلاط الفرنسي خلال القرن 11هـ/17م، فلا يخفى على الباحث المتخصص أنه نحت في صخر يتكبد فيه الباحث عناء البحث عن المادة.

ولقد راود الكثير هذا الإشكال لأطروحة دكتوراه، غير أنهم تهيبوه لنقص المادة، فتساءلت إلى متى سنبقى نتهيب المواضيع الصعبة، ونخشى طرق الإشكالات التي علقت بتاريخ المغرب، ولم نعثر فيها على الكثير من المصادر والمراجع.

ثمّ تجشمت هذا المصعد الوعر بردءٍ من عضد أساتذتي، وأخص بالذكر: الأستاذة الدكتورة عائشة غطاس التي آلت على نفسها أن يمضي بحثي هذا إلى منتهاه بالتحضير والإتمام على الوجه الذي يتطلبه المنهج العلمي، فصوبت أخطائي وحسنت أسلوب كتابتي، وصبرت عن هفواتي بصدر رحب جزاها الله عني خير الجزاء.

ولا يخفى أيضا فضل الدكتور عمار بن خروف الذي مدّ يد العون لي ولزملائي، وأخرج أملنا في الدراسات العليا من غور الأحلام إلى أفق الحقيقة، فقد تحمل من أجلنا أعباء كثيرة في سبيل فتح مسابقة الماجستير لأول دفعة بالمركز الجامعي فله شكري الجزيل.

وبهذا الذي جئت به على شح المصادر، فإنما أؤسس لبناء معرفي تاريخي حول الدبلوماسية الجزائرية والمغربية، لأفتح الطريق أمام كل من أراد أن يُنفذ جهده في هذا السبيل، ويحدوني قول أحد المفكرين الفرنسيين:" ليس المؤرخ من يعرف، وإنما المؤرخ من يبحث وإنا لباحثون".

وقول المؤرخ المغربي عبد الله العروي:"لا يمكن أن نقول كلمة أخيرة في التاريخ". فإلى متى يبقى هذا الموضوع سجين التخوفات، وأسير التوجسات، وأرجوا أن لا ينطبق عليّ قول أبي الطيب:

" لولا المشقة ساد الناس كلهمُ الجود يفقر، والإقدام إقبال".

فأرجو أن لا أكون قتيل هذا الموضوع.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أقول إنّ ما أصبت فيه من هذه الدراسة فهو من الله وحده، وأما إن كان غير ذلك، فحسبي أني اجتهدت وحاولت، آملا أن أستفيد من توجيهات أساتذتي الأفاضل، الذين وكل إليهم عملي للتقويم، والمناقشة والتصحيح. والله الموفّق، وهو ولي كل خير وعليه التكلان.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

نشأة البعثات والسفارات الدبلوماسية وتطورها التاريخي:

تكتسي ظاهرة الدبلوماسية أهمية بالغة، إذ تحتل الموقع البارز والأساسي في مسار تطور العلاقات الدولية، وتبرز أهمية موضوع الدبلوماسية من خلال نشوء وتطور العلاقات بين الجماعات البشرية منذ القدم، فهي في الحقيقة قديمةٌ قدمَ الإنسان، اعتمدتها المجتمعات البشرية لتنظيم علاقاتها فيما بينها على أسس تكفل لها التعايش المنظم والمستقر، وترسّخت مع ظهور التجمعات البشرية، التي اضطرت من أجل بقائها، والحفاظ على أمنها وكيانها إلى التعامل مع غيرها، فمرّت هذه العلاقات بأطوار مختلفة.

أما مصطلح الدبلوماسية فحديث عهد في العلاقات الدولية، بيد أن جوهر الدبلوماسية هو من حيث التفاوض، والتعامل السلمي بين الدول، وقد عرفت الدبلوماسية منذ أقدم العصور، حيث كانت العلاقات المتبادلة معروفة بين الدول، إنما لم تكن هذه العلاقات منتظمة في بادئ أمرها، بل كانت ترتب في مناسبات معينة بواسطة رسل أو مندوبين مخصوصين[3].

نشأت الدبلوماسية كوسيلة اتصال وتفاهم بين الجماعات السياسية المتجاورة منذ التاريخ القديم، ولكن مع نمو التعامل الدولي، سار العرف على إرسال السفراء والممثلين الدبلوماسيين، الذين تمّ اعتمادهم بصورة دائمة . منذ معاهدة "وستفاليا" لسنة 1057هـ/1648م، وهكذا أصبح التمثيل الدبلوماسي والقنصلي ثابتا ودائما، وصار من مقومات العلاقات الخارجية بين الدول المستقلة، حيث مارسته الدول والأمم الأوربية الحديثة كالفرنسيين والإنجليز[4].

وكان للبعثات الدبلوماسية في أول عهودها مهمّات محدودة الأهداف موقوتة الآجال، يلجأ إليها السادة والملوك لإبرام الصفقات التجارية ، أو لعقد زواج ، أو فض نزاع ، أو للتوقيع على حلف ، وتنتهي بانتهاء المهمة المكلف بها. ومنه نقول إن البعثات الدبلوماسية أداة حضارية لم يستغنِ عنها

---

(3) عدنان السيد حسين: نظرية العلاقات الدولية، الطبعة الثانية، دار أمواج، بيروت، لبنان2003، ص125.

(4) Encyclopédie des sciences sociales, Vol 4 – 5 ,paris, france1947, p147.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

شعب أو حضارة أو دولة، وإن اختلفت مظاهرها، وأساليبها، فهي موجودة في جميع الأحداث، والحروب والثورات، والعلاقات على مرّ التاريخ [3].

المبحث الأوّل:

الدبلوماسية بين توصيف المفهوم وتطور التاريخ:

أتعرض في هذا المبحث لمفهوم الدبلوماسية في اللغة، والاصطلاح، وكيف تطورت هذه الكلمة عبر التاريخ؟ وسأركّز على الحديث عن الدبلوماسية في التصور الاسلامي، والغربي ليصبح لها مدلولها المعاصر، وكيف دخلت إلى اللغة العربية؟ وأوجز ذلك فيما يلي:

1- مفهوم الدبلوماسية.

2- الدبلوماسية في تصور المسلمين.

3- مراحل تطور الدبلوماسية في الإسلام.

4- مراحل تطور الدبلوماسية عند الغرب.

1- مفهوم الدبلوماسية:

يرجع أصل كلمة دبلوماسية إلى اللغة اليونانية القديمة، فهي مشتقة من كلمة دبلوما (Diplôma)، والتي تعني: الوثيقة الرسمية المطوية مرتين، والصادرة عن الرؤساء السياسيين للمدن التي كان يتكون منها المجتمع الإغريقي القديم [5]، وفي روما كانت كلمة دبلومات تطلق على الجوازات، وتصريحات المرور، التي كانت تعطى للرسل باسم مجلس الشيوخ أو الإمبراطو ر، وكانت تمنح حاملها الحق في السفر عبر طريق الإمبراطورية [6]، ومع مرور الزمن اتسع مفهوم لفظ دبلوما ليشمل الأوراق والوثائق الرسمية، والتي تتضمن الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمتها الإمبراطورية الرومانية مع القبائل والمجتمعات الأجنبية[7].

---

(3) علي يوسف الشكري: الدبلوماسية في عالم متغير، ايتزاك للطباعة والنشر، القاهرة، مصر2004م، ص26.

(5) محمد عبد العزيز سرحان: قانون العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر1401هـ/1981م، ص3.

(6) غازي حسن صباريني: الوجيز في الدبلوماسية المعاصرة، الدوحة، قطر1986م، ص12.

(7) علي يوسف الشكري: المرجع السابق، ص8.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

"ولقد أطلق على من يقوم بهذا العمل اسم الدبلوماسي وعلى العلم المختص به اسم الدبلوماتيك نسبة للفظ الدبلوم؛ وهو الصّك الصادر عن رئيس الدولة"[8].

وقد توسع الرومان في استعمال لفظ الدبلوماسية بما يفيد طباع المبعوث أو السفير، وما تقضي به التعليمات الصادرة إليه من وجوب التزام الأدب الجّم، واصطناع المودة، وتجنب أسباب النقد، وهذا ما قصدت إليه كلمة (Diplôma) اللاتينية، بمعنى الرجل المنافق ذو الوجهين، ومنها اشتق في اللغة الفرنسية (Déplorer) بمعنى مخادع، و(Dipliote) بمعنى الرياء، والنفاق كذلك[9].

"وظل اصطلاح الدبلوماسية حتى القرن السابع عشر مقتصرا على دراسة المحفوظات والمعاهدات، والإلمام بتاريخ العلاقات بين الدول، ومنذ هذا التاريخ تغير هذا المصطلح، حيث أصبح يعني توجيه العلاقات الدولية"[10].

وهكذا تطور لفظ الدبلوماسية حتى انتهى إلى مفهومه المعاصر الدال على العلاقات بين الدول، ولم يعط المعاصرون تعريفاً محدداً للفظ الدبلوماسية، وقد اختلفوا فيها بين موسع لمدلولها لتشمل كل صور العلاقات الدولية ، ومضيق له فيقصرها على بعض جوانب العلاقات الدولية، كالأسلوب الذي تدار به العلاقات الخارجية بين الدول، من اعتماد السفراء والمبعوثين، الذين كان الواحد منهم يرسل للقيام بمهمة معينة[11].

ويؤكد الدكتور عبد المجيد القدوري: "أن كلمة (Embajador) أو (Ambassadeur) لها مدلول مرتبط- بالتأكيد- بواقع أوربا، وبعبارة أصح بمؤسسات الدبلوماسية الأوربية الحديثة، فقد ظهرت كتابات في أوربا عن السفراء، والسفارة منذ القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي. وهكذا نجد التعريف بالسفير كالتالي:"السفراء وزراء يرسلهم الأمراء إلى الدول الأجنبية ليقضوا لهم أغراضهم وفق ما تقتضيه أوراق اعتمادهم وما يسمح لهم به القانون العمومي"[12].

---

(8) مأمون الحموي: الدبلوماسية، دمشق، سوريا 1947، ص2.

(9) عز الدين فودة: ما الدبلوماسية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر1989، ص 10.

(10) علي يوسف الشكري: المرجع السابق، ص8.

(11) سعيد بن سلمان العبري: العلاقات الدبلوماسية بين النظري والتطبيقي، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع ، طبعة 1996 ، ص16.

(12) عبد المجيد القدوري: المغرب وأوروبا مابين القرنين الخامس عشر والثامن عشر، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 2000، ص306.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

وقد وردت عدة تعاريف في هذا المعنى؛ أي أن كلمة السفير ارتبطت اتباطا وثيقا بمفهوم المبعوث الدبلوماسي خلال هذه الفترة والذي يمثل دولته لدى دولة أخرى، وهذا من أجل تسوية قضية عالقة.

ويرى ابن عثمان [13]؛ "أن كلمة الباشدور دخيلة، فهي لفظ أجنبي شاع استعماله حتى صار في حكم العربي. لذا نجده، وكل الذين أتوا من بعده، يستعملون كلمة مبعوث عندما يتعلق الأمر بالسفراء المغاربة".

ويمكن القول إن كلمة الدبلوماسية تطورت عبر التاريخ، فاختلفت استعمالاتها وأغراضها حسب التطور الجغرافي للشعوب والأمم[2].

2- الدبلوماسية في تصور المسلمين:

لم يكن العرب قبل الإسلام بمعزل عن المحيط الذي كانوا يعيشون فيه، بل كانت لهم علاقات وثيقة مع جيرانهم، وأنشؤوا البعثات الدبلوماسية بين بعضهم البعض، وبينهم وبين غيرهم من الشعوب، فقد كانت وحدة اللغة هي المحرك الأساسي في توثيق صلات العرب فيما بينهم، والموقع الجغرافي المتميز شكل الدافع على الاتصال بغيرهم من البلدان الأجنبية [3]، فقد كان للعرب علاقات مع جيرانهم من الروم والفرس والمصريين والأفارقة عموماً، ومع بلدان بعيدة عنهم كالهند والصين، وكانت الوفود الدبلوماسية هي المحرك الفاعل في التواصل ما بين العرب وغيرهم.

وبعد ظهور الإسلام نشطت الحياة الدبلوماسية للعرب، حتى بدأ العرب اللاعب الأساس في ميدان العلاقات الدبلوماسية، لا سيما إرسال الرسل والسفراء، ولم يستخدم المسلمون كلمة الدبلوماسية بطبيعة الحال، لأن هذه الكلمة هي في الأصل غير عربية، ولم تعنِ في القديم ما تعنيه اليوم، إلا أن المسلمين منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم، نظموا علاقاتهم مع غيرهم من الأمم

---

(13) خدم ابن عثمان ثلاثة ملوك هم: سيدي محمد بن عبد الله (1757-1790م) والمولى اليزيد (1790-1792م) والمولى سليمان (1792-1822م). وكانت له حظوة كبيرة داخل المغرب وخارجه. بدأ مساره السياسي منذ أن عيّنه محمد الثالث كاتبه الخاص. وبفضل نجابته أرسله السلطان - الذي كان في حاجة لأطر كفأة لتوطيد علاقاته مع العالم الخارجي- سفيرا إلى اسبانيا 1779م لعقد معاهدة صلح مع كارلوس الثالث، وفك أسرى المسلمين. وقد دوّن رحلته هذه في كتابه "الإكسير في فكاك الأسير". أنظر: محمد زنيبر: الاكسير في فكاك الأسير، في: مجلة البحث العلمي، ع4-5، الرباط، المغرب1965،ص 303.

(2) سعيد بن سلمان العبري: المرجع السابق، ص19.

(3) علي حسين الشامي: الدبلوماسية، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 1994م، ص83.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

والشعوب والقبائل، سواء في حال السلم أم في حال الحرب تنظيماً رائداً، لقد مارس المسلمون الدبلوماسية، بالمعنى والمضمون من خلال المفاوضات، وإبرام المعاهدات وتبادل المصالح[4].

وما اتسمت به هذه العلاقات من فن الفطنة، والذكاء والكياسة. وهذا يدل على أن المسلمين قد طبقو ا مفهوم الدبلوماسية، وإن لم يستخدموا المصطلح ذاته، وهذا لا يقلل من دور الإسلام الرائد في ترسيخ مبادئ الدبلوماسية، إذ لا مشاحّة في الاصطلاح، وخصوصاً أن هذا الاصطلاح دخله التغيير والتبديل، ولم يحمل هذا المدلول إلا في القرن الثامن عشر الميلادي[14]

ولا بد هنا أن أشير إلى أن الدبلوماسية عند المسلمين لا تعني الخداع، والنفاق، وقلب الحقائق كما يراها بعض المفكرين الغربيين [15]، وإنما تعني فن التعامل مع الآخرين بحكمة وفطنة ولباقة، كل ذلك وفق المنهج القويم الذي رسمه الإسلام العظيم، كل هذا لأن الهدف الأسمى للدبلوماسية عند المسلمين الدعوة إلى الإسلام وهو هدف نبيل يحتاج إلى وسيلة نبيلة كذلك، قال تعالى :{ادعُ إلَى سَبِيلِ رَبِكَ بِالحِكمَةِ والمِوعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلهُم بِالتِي هِيَ أَحسَنُ إنَّ رَبَكَ هُوَ أعلمُ بِمَن ضلَّ عَن سَبِيلِهِ وهُوَ أَعلَمُ بالمهتَدِينَ}[16].

3- مراحل تطور الدبلوماسية في الإسلام:

إن المتتبع لنظام العمل الدبلوماسي الإسلامي يجد أنه قد مرَّ بعدة مراحل، من مرحلة العمل السرّي المتمثل في الدبلوماسية المؤقتة؛ ففي عصر الرسالة الأولى، كان للرسول صلى الله علي وسلم ممثلان سريّان في الأقاليم المختلفة، ينصبّ جلّ عملهما على مدّ النبيّ صلى الله عليه وسلم بالمعلومات عن الأقاليم التي أوفدوا إليها [17]، ثم تطورت الدبلوماسية إلى عقد المعاهدات، في العهد الأموي، والعهد العباسي.

---

(4) نفسه.

(14) أحمد عبد اللطيف توني: العلاقات الدبلوماسية للخلافة العباسية، ب ط، مركز الإسكندرية للكتاب، 2004م، ص3.

(15) أنظر أحمد عبد المجيد: أضواء على الدبلوماسية، ط1، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر1969، ص9.

(16) سورة المائدة: الآية رقم 67.

(17) محمد طلعت الغنيمي: الأحكام العامة في قانون الأمم،ط 1، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر 1970م، ص769.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

أ– مرحلة الدبلوماسية المؤقتة: وهي المتمثلة في المبعوثين والرسل، الذين حملوا الكتب والرسائل، التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك، والأمراء في كافة أنحاء المعمورة، والتي دعاهم فيها إلى الإسلام. وقد تجلت دبلوماسية النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع الدول، والكيانات السياسية المحيطة به، والتي أجملها فيما يأتي:

– كانت البعثات في البداية عبارة عن إرسال كتب للملوك والأمراء، حملها سفراء ومبعوثين، اختارهم النبي صلى الله عليه وسلم، من أجل مهمة التبليغ، بأسلوب دبلوماسي

– استقباله للوفود: فقد استقبل النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من سبعين وفداً في فترة زمنية قصيرة، كان منهم وفد النصارى من الحبشة، وهو في مكة، وعرض عليهم الإسلام بعدما سمع حاجتهم فأسلموا[18].

– إرسال الرسل والكتب إلى ملوك وحكام زمانه: يدعوهم فيها إلى الإسلام، ويبشر بالدين الجديد

– قبوله للهدايا: فقد كان عليه الصلاة والسلام يقبل الهدية، ويثيب عليها، فقد قبل هدية المقوقس ملك مصر.

– أسلوب التفاوض والحوار: وهذا لحل المنازعات، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يلجأ إلى الحرب إلاّ عندما يفشل الحل السلمي، وقد ظهر ذلك جلياً في مفاوضاته عليه الصلاة والسلام في الحديبية، وقبلها في خيبر عندما قبل اقتراح اليهود بالجلاء عن خيبر مقابل نصف ثمارهم[19].

ب– مرحلة عقد المعاهدات: فقد كان أول عمل دبلوماسي قام به النبي صلى الله عليه وسلم، بعد وصوله المدينة؛ هو عقد المعاهدات مع القبائل، التي كانت تسكن ما بين المدينة، وساحل البحر الأحمر، مثل: جهينة وبني ضمرة، وغفار، وقد كان صلح الحديبي ة[20] نموذجاً حياً فيما اشتمل عليه من شروط، وهو دليل قاطع على تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم، الدبلوماسية على الحرب. فكل ما سبق ذكره يشير إلى النمط السياسي الذي كان يتبعه صلى الله عليه وسلم، والذي يعبر عن

---

(18) ابن هشام أبي محمد بن عبد الملك: السيرة النبوية، تحقيق محمد بيومي، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ج2، ص28.

(19) نفسه.

(20)صلح الحديبية هو صلح عقد في شهر شوال من العام السادس للهجرة (شوال 6هـ / مارس 628م) بين المسلمين وبين قريش بمقتضاه عقدت هدنة بين الطرفين مدتها عشر سنوات. نفسه، ص29.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

دبلوماسية فائقة، فما استقباله للوفود، وإرساله للرسل، والسفراء، وقبوله الهدايا، وتغليبه للغة التفاوض والسلم، وعقده للمعاهدات إلا دليل قاطع على دبلوماسيته عليه الصلاة والسلام.

ولم تقتصر أهداف الدبلوماسية العلنية المؤقتة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين من بعده على الدعوة إلى الإسلام، بل اتخذوها وسيلة لإدارة الشؤون الخارجية للدولة الإسلامية، كالتفاوض لإبرام معاهدات التحالف، وفق الحرب، وأخذ الجزية، وتدعيم الروابط الإقتصادية والعسكرية[21].

ج– الدبلوماسية في العهد الأموي: في العصر الأموي لم يطرأ تغيير على أهداف العمل الدبلوماسي المؤقت، فقد انتشرت الرسالة الإسلامية والتنظير إليها، ولكن ما يسجل للدبلوماسية الإسلامية في هذه الحقبة هو تطور أسلوب عملها، وطابعها، وتنظيمها، وتشعب ميدانها بفعل امتداد حدود الدولة الإسلامية، وانفتاحها على الحضارات الأخرى. وقد قدم لنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه؛ وصفاً دقيقا، وشاملاً للدبلوماسية، التي كان يحتذيها في إدارة شؤو ن بلاده داخلياً وخارجياً، فهو يحافظ بشدة على العلاقة بينه وبين رعيته، كما يحافظ أيضاً على علاقاته بالدول الأخرى، ولذا كان يكسب موقف خصومه، ويرفع من رصيد أصدقائه، بما يحقق التوازن، والاستقرار لدولته[22].

والأدلة على دبلوماسية معاوية رضي الله عنه كثيرة، ومنها ما ذكره اليعقوبي: "حينما أحضر الناس لبيعته تقدم أحدهم قائلاً له: والله يا معاوية إني لأبايعك وإني لكاره لك، فرد عليه معاوية بقوله: إن الله جعل في المكروه خيراً كثيراً "، وهو رد دبلوماسي يدل على مدى حنكة، ودراية معاوية رضي الله عنه[23].

د– الدبلوماسية في العهد العباسي: ويمكن القول إن العصر العباسي، كان العصر الذهبي للدبلوماسية الإسلامية، وكان هذا الازدهار الدبلوماسي انعكاساً لازدهار الدولة الإسلامية، وتوطيد أركانها، فقد غدت إحدى أكبر دولتين في العالم إلى جانب الدولة البيزنطية، الأمر الذي اقتضى زيادة عدد رسلها لتغطية نشاطها السياسي والدبلوماسي، ناهيك عن الحاجة لمزيد من الرسل لتسوية

---

(21) علي يوسف الشكري: المرجع السابق، ص21.
(22) عبد اللطيف أحمد تويني: المرجع السابق، ص5.
(23) أحمد بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1960م،ج2، ص216.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الخلافات، والمسائل العالقة التي لم تجد لها حلاً خلال الحقب السابقة أو قبل توطد أركان الخلافة العباسية[24].

من خلال هذا الاستعراض الموجز للعمل الدبلوماسي عند المسلمين، يتبين لنا أن المسلمين قد مارسوا الدبلوماسية، وطوّروا في أدواتها، وفي ذلك ردّ واضح على بعض فلاسفة الغرب، الذين قالوا بأن العالم لم يعرف الدبلوماسية إلا من خلالهم، وأنّ سائر الأمم، والشعوب قد أخذت الدبلوماسية عنهم[25].

4- مراحل تطور الدبلوماسية عند الغرب:

وقد مرّت الدبلوماسية بأربع مراحل من التطور في تاريخها، فالمرحلة الأولى تبدأ من العصور القديمة حتى القرن الخامس عشر الميلادي، وتميزت بالتنقل وإيفاد مبعوث لعقد معاهدة أو نقل رسالة، أو إبرام اتفاق تجاري، وقد عرف المصريون والآشوريون والفرس هذا النوع من الدبلوماسية، وساهم ظهور المدن، وازدهار التبادل التجاري في زيادة البعثات الدبلوماسية. وانطلقت الدبلوماسية إلى آفاق جديدة في عصر النهضة الأوروبية وعصر الاكتشافات[2].

أما المرحلة الثانية من مراحل تطور الدبلوماسية عند الغرب، فبدأت مع إقدام جمهورية البندقية على إيفاد دبلوماسيين مقيمين، وذلك إبان ازدهار تجارتها ، ونمو سلطانها البحري والحربي، إلى القسطنطينية وروما – مركز البابا الكاثوليكي – والدول الإيطالية الرئيسية، حيث عمدت إلى نشر الفتن وحبك المؤامرات بواسطة مبعوثيها الدبلوماسيين. واستمر هذا المفهوم التآمري للدبلوماسية فترة من الزمن حتى إنّ بريطانيا حظرت على أعضاء البرلمان سنة 1063هـ/1653م التحدث إلى أي ديبلوماسي أجنبي. وقد أرست معاهدة وستفاليا الموقّعة عام 1057هـ/1648م قواعد الدبلوماسية الدائمة والمقيمة[3].

ومجمل القول أنّ الدبلوماسية ظاهرة دولية تنطوي على جملة معانٍ ، وأبعاد تتراوح بين التواصل السياسي في إطار القوانين الدولية ، وبين السلوك التفاوضي الهادف إلى البحث عن حلول

---

(24) علي يوسف الشكري: المرجع السابق، ص22.

(25) أنظر: حسن السائح: في الدبلوماسية المغربية، في مجلة الثقافة المغربية ، الرباط، ع 9، 1399هـ/1973م، ص43.

(2) علي حسين الشامي: المرجع السابق، ص 80.

(3) أنظر: حسين علي ظاهر: تطور العلاقات الدولية من وستفاليا حتى فرساي، ط 1، دار المواسم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان1999، ص71.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

للمشاكل بالوسائل السلمية. وهي إلى ذلك ظاهرة إنسانية تمتد عميقاً في تاريخ البشرية، كما أنها تنمو وتتغير متكيفة مع مختلف التحولات.

المبحث الثاني:

نشأة السفارات والبعثات الدبلوماسية:

أتطرق في هذا المبحث إلى تاريخ نشأة البعثات الدبلوماسية عند المسلمين، وعند المسيحيين، والمراحل التي مرت بها العلاقات السياسية بين الدول، حتى وصلت إلى اعتماد البعثات الدبلوماسية الدائمة، وأوجزها فيما يلي:

1- تعريف البعثة الدبلوماسية.

2- نشأة البعثات الدبلوماسية.

3- مهمة البعثات الدبلوماسية.

1- تعريف البعثة الدبلوماسية:

أ- المبعوث لغة: أصل البعث إثارة الشيء، وتوجيهه، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علق به، يقال: بعثته، وابتعثته بمعنى أرسلته، فالمبعوث والرسول واحدا كان أم جماعة، والجمع بعثات وبعوث، والبعث هم القوم المبعوثون المشخّصون، والبعثة ترسل في عمل معين مؤقت، وتكون ذات مهمات متنوعة منها: السياسية، والثقافية، والاقتصادية، أو الدبلوماسية[1].

ب- المبعوث اصطلاحا: المبعوث هو كل من أمره المرسِل بأداء الرسالة، أو المهمة التي أوكلت اليه كتسليم المبيع، أو قبض الثمن، أو تسوية خلاف ما. فهو بذلك يبلغ الرسالة فقط، وليس وكيلا.

وعرفه بعضهم: "بأنه رجل يرسل بين ملكين في أمور خاصة؛ من عقد صلح، أو هدنة، أو فداء، أو تحالف، فيمثّل المرسِلَ على أنه هو، ويتكلم باسمه"[2].

---

(1) عثمان جمعة ضميرية: أصول العلاقات الدولية في المعجم الوسيط، ط 1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر1980، ج1، ص433.

(2) صلاح الدين المنجد: النظم الدبلوماسية في الاسلام،ط1، دار الكتاب الجديد،عمان، الأردن 1983، ص13.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.smartPDFcreator.com

أما في المفهوم الفرنسي فتعني: المبعوث أو المفوض أي الشخص، الذي يرسل في مهمة أما كلمة سفير فتشتق من (كليتيه)، أي تابع، وخادم وهو لقب يمنح فقط لممثلي الملوك. وتجدر الإشارة إلى أن الإسبان كانوا أول من استخدم كلمة سفارة أو سفير بعد نقلها عن التعبير الكنسي بمعنى الخادم أو العميل.

2– نشأة البعثات الدبلوماسية: تعتبر البعثات الدبلوماسية إذا أداة حضارية لم يستغن عنها شعب أو حضارة أو دولة، وإن اختلفت مظاهرها، وأساليبها، فهي موجودة في جميع الأحداث، والحروب والثورات والعلاقات على مر التاريخ.

أ– عند المسلمين: كان المسلمون من الأوائل الذين أرسلوا البعثات الدبلوماسية التي تستمر فترة طويلة لدى الدول الأخرى، حيث يعد مقدمة لنظام البعثات الدبلوماسية الدائمة، ففي الدولة الإسلامية في مختلف عهودها – خاصة العباسية والأندلسية –كانت بعض السفارات تستمر سنتين أو ثلاث سنوات، وكانت بعض السفارات الأجنبية تقيم في الدول الإسلامية مثل هذه المدة، فقد استمرت السفارة التي أرسلها ملك الإفرنج **ببين(pipin)** إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور عام 148هـ/765م، وقتاً طويلاً؛ حيث أقامت هذه السفارة ثلاث سنوات في بغداد[26]. أمّا سفارة هشام بن هديل، التي أرسلها الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين فقد دامت سنتين[27].

والملاحظ أن الشريعة الإسلامية، وكافة النظم الأخرى، كانت هي السبّاقة لابتكار نظام التمثيل الدبلوماسي، وتحديداً نظام العمل الدبلوماسي، "وإن لم يكن يسمى بهذا الاسم، بالرغم من أن الشريعة الإسلامية ظهرت قبل ظهور القانون الدولي بنحو عشرة قرون"[28].

ب– عند المسيحيين: بدأت أول محاولة لإرسال بعثة دبلوماسية دائمة في المدن الإيطالية في القرن الخامس عشر الميلادي ، وفي مقدمتها مدينة البندقية أو فينيسيا(**venis**)، ويفسر ذلك أن هذه

---

(26) محمد عبد الله عنان: مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، مؤسسة الخانجي، ط 4، القاهرة، مصر 1382هـ /1962م، ص210.

(27) ابن هشام: المصدر السابق، ص 225.

(28) علي يوسف الشكري: المرجع السابق، ص20.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

المدن كانت خارج النظام الإقطاعي الديني، وكانت تربطها مصالح مشتركة لا حصر لها، بينما كانت المنافسات بين هذه المدن على أشدها وكان همها الدائم السيطرة والتوسع، وشغلها الشاغل عقد الاتفاقات والمحالفات، التي تعزز مركزها، وتزيد قوتها، وتمكنها من هذه السيطرة، وكان لا بد تبعاً لذلك من الاستعانة بدبلوماسية منظمة، قديرة تعمل على وجه مستمر، لتوحيد صلات كل مدينة بحليفاتها من ناحية، ولمواجهة النشاط السياسي لفرقائها من ناحية أخرى[29]. ومن إيطاليا انتقل نظام البعثات الدبلوماسية إلى باقي الدول الأوربية، وفي مقدمتها فرنسا، وما يميز البعثات الفرنسية في هذه المرحلة أنها كانت مؤقتة، ولم تأخذ فرنسا بنظام التمثيل الدبلوماسي الدائم إلا في أواخر القرن السابع عشر الميلادي[30].

وما دفع بها إلى إقامة علاقات دبلوماسية دائمة في أوربا، هو حاجتها لمواجهة المد الإسلامي القادم من الجنوب، حيث أدت الفتوحات التي قامت بها الدولة العثمانية إلى تداعي الدول المسيحية لمواجهة الدولة العثمانية، خاصة بعد فتح القسطنطينية[31]، عام 856هـ/1453م، الذي تمّ على أيدي العثمانيين. وحين فشلت الجهود العسكرية في صد حملات الفتح الإسلامي؛ لجأت الدول المسيحية الأوربية إلى استخدام الأساليب الدبلوماسية، والتحالف السياسي لمواجهة الدولة العثمانية فأقامت البعثات الدائمة بينها، حتى تستطيع أن تؤدي دوراً هاماً في خدمة العلاقات بين الدول الأوربية، وكذلك في تحسين العلاقة مع الدولة العثمانية [32].وبقي نظام البعثات الدبلوماسية الدائمة يتطور، حتى جاءت معاهدة وستفاليا[33]،عام 1648هـ/1057م، لتضع القواعد، والأسس لإنهاء الحروب بين

---

(29) انظر عائشة عبد الرحمان: التنظيم الدبلوماسي والقنصلي، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر1995، ص80.

(30)علي يوسف الشكري: المرجع السابق، ص27.

(31) كانت عاصمة الدولة البيزنطية، ثم أصبحت عاصمة الخلافة العثمانية، وهي ذات موقع حيوي مهم يربط قارتي آسيا وأوربا، و هي ما تعرف اليوم بإسطنبول.

(32) عدنان البكري: العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، كاظمة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1404هـ/1985م ص26 .

(33) أو صلح وستفاليا الذي تم في 30 جانفي 1648م إلى 24 أكتوبر 1648م؛ هو اسم يطلق على سلسلة من المعاهدات دارت المفاوضات بشأنها في مدينتي مونستر وأوزنابروك في وستفاليا. وقد أنهت هذه المعاهدات حرب الأعوام الثمانين وحرب الأعوام الثلاثين، ووقعها مندوبون عن الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وفرنسا، والسويد، والإمارات البروتستانتية التابعة للإمبراطورية الرومانية المقدسة. بموجبها كسبت فرنسا إقليم الألزاس، واستولت السويد على پومرانيا الغربية، واستولت دوقية براندنبورگ على پومرانيا الشرقية، واعترف باستقلال سويسرا ، والبلاد الواطئة، كان الحكام ورجالهم الدبلوماسيون منذ 1635م، يجسون النبض ويتحسسون الرأي من أجل السلام. وفي تلك السنة اقترح البابا أربان الثامن عقد مؤتمر لبحث شروط المصالحة، واجتمع المندوبون واجتمع المندوبون للتفاوض في كولون. ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة. وفي همبرج في 1641م،صاغ ممثلوا فرنسا، والسويد، والإمبراطورية اتفاقية مبدئية لينعقد

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الدول الأوربية، وإقامة علاقات وديّة دائمة بينها، ثم سادت هذه القواعد معظم العلاقات بين دول العالم، واستمر نظام التمثيل الدبلوماسي الدائم بالتطور بعد هذه المرحلة، وقد شهد تنظيماً جديداً لقواعده، وأصوله، حيث بدأ البحث عن نظام يحكم إرسال البعثات الدبلوماسية الدائمة، ويضع القواعد للحقوق، والواجبات، وينظم شؤون العاملين في هذه البعثة، وانتهى إلى اتفاقية **وستفاليا** التي تتناول مهام الدبلوماسيين، وشؤونهم، وتعيد تصنيف الدبلوماسيين[34].

وتعتبر هذه الاتفاقية النظام الدبلوماسي الدولي الأول، الذي تعارفت عليه جميع الدول بعد أن كان لكل دولة نظامُها الدبلوماسي الخاص[35]، حيث نبهت الحروب دول العالم إلى ما يكتنفها من أخطار الدمار، فتوجهت جهودها الدبلوماسية لإحلال السلم مكان الحرب، كما انصبّت جهود الدول على تنقية الحياة الدبلوماسية مما علق بها قبل الحرب، حيث كان الدبلوماسيون، وما يمارسونه من أعمال التجسس، والكيد والمؤامرا ت، سبباً من أسباب قيام الحرب، فأخذت الدول بمبدأ (الدبلوماسية المفتوحة)، التي تعمل بوضوح، حتى يتجنب العالم الدخول في اتفاقيات سرية، وتحالفات عسكرية تؤدي إلى قيام الحروب[36].

3- مهمة البعثات الدبلوماسية: البعثة الدبلوماسية هي وسيلة الاتصال البشري بين الدولة الموفدة لها، والدولة الموفد إليها، فمن خلال البعثة تقيم الدولة علاقاتها الدبلوماسية، وتتبادل من خلالها الآراء ووجهات النظر بشأن القضايا التي تهم البلدين، أو التي تتعلق بالعلاقات والأوضاع

مؤتمر مزدوج في وستفاليا في 1642م، ففي مونستر تلتقي فرنسا مع الإمبراطورية لمعالجة مشاكلهما . أنظر: حسين علي ظاهر: المرجع السابق، ص ص71-72.

(34) محمد عزيز شكري: المدخل إلى القانون العام وقت السلم، ط 2، دار الفكر، دمشق، سوريا 1393هـ/1973م، ص723.

(2) في هذه الفترة ظهر نوع جديد من العلاقات الدبلوماسية لم يعرف من قبل، وهو التمثيل الدبلوماسي المباشر. انظر: حسين علي الظاهر: المرجع السابق، ص83.

(3) المقصود أن تجري العلاقات بين الدول، بعيداً عن التكتم، والسرية المثيرة لحفيظة الدول الأخرى، فالاجتماعات على كافة المستويات تعقد بمواعيد علنية، وجدول أعمال يفصح السياسيون عن فحواه لوسائل الإعلام، بشكل لا يؤثر على سير أعمال الاجتماع. حول الموضوع أنظر نفسه: ص335.

(4) تعقد بعض الدول معاهدة خاصة لإعداد الدبلوماسيين، وكوادر الدبلوماسية القادرة على تمثيل الدولة في الخارج. نفسه.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الدولية عموماً. وغالباً ما يكون أعضاء البعثة من مختصين في الشؤون الدبلوماسية سواء أكانوا ممن تدرجوا في المناصب الدبلوماسية أم ممن تم إعدادهم خصيصاً لهذا الغرض[4]. لكن ذلك لا يعني بحال من الأحوال أن الوظائف الدبلوماسية مقصورة على الفئات المذكورة، فكثيراً ما تلجأ الدول إلى زج بعض العناصر ذات الكفاءة في هذا الميدان للاستفادة من خبراتهم، لا سيما من المختصين في حقل السياسة[1].

وإذا كانت إقامة العلاقات الدبلوماسية حقاً من حقوق الدولة، التي تتفرع عن سيادتها الكاملة، فإنه من الناحية العملية ليس للدولة أن تباشر حقها هذا إلا إذا كانت حكومتها معترفاً بها من جانب الدولة الراغبة في إقامة العلاقات معها، فالاعتراف شهادة بوجود حالة واقعية وتوطيد لمبدأ استمرارية الدولة، وهنا يثار التساؤل: هل يشترط في الاعتراف أن يتخذ شكلاً معيناً لاستمرار العلاقات الدبلوماسية مع الحكومة الجديدة، أم إن أي شكل يصلح لذلك؟ أشير ابتداءً إلى أن الاعتراف بالحكومة الجديدة يكون اعترافاً قانونياً صريحاً أو فعلياً، حيث لا تتخذ الدولة أي قرار واضح بل تكتفي باستمرار العلاقات مع الحكومة الجديدة، الأمر الذي يعد اعترافاً ضمنياً[2].

تتطلب عملية التمثيل والتفاوض التي تجري بين الدول وما يترتب عنها من أعمال فرعية اضطلاعَ عدد من الأشخاص بمهام محددة ، لذا جرت العادة بين الدول أن توفد كل منها مجموعة من الأشخاص للقيام بتلك المهام ، وعادة ما يرأس المجموعة الموفدة شخص مسؤول يعتبر الممثل الأصيل لدولته لدى الدولة الموفد لديها ، ويقوم بإدارة المجموعة و يوزع العمل بين أعضائها. وتشكل المجموعة بما فيها الرئيس ما يسمى أو يعرف "بالبعثة الدبلوماسية" (Mission Diplomatic)، وليس هناك حجم محدد من الأفراد للبعثة الدبلوماسية ، وإنما يعتمد تحديد عدد أفراد البعثة على المصالح التي تربط الدولة الموفدة للبعثة بالدولة الموفدة إليها[3].

---

(1) علي يوسف الشكري: المرجع سابق، ص84.
(2) نفسه، ص86.
(3) عثمان جمعة ضميرية: المرجع السابق، ص315.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

ومجمل القول: أن البعثة الدبلوماسية أداة فاعلة للتعبير عن مصالح الدولة، وضمان لعلاقاتها مع الدول الأخرى في أوقات السلم، أو الحرب ، وتتحدد مرتبة البعثة الدبلوماسية حسب الأهمية التي تعلقها الدولة على العلاقات الدبلوماسية التي تتبادلها مع الدولة الأخرى.

رغم اختلاف مظاهر، وأساليب البعثات الدبلوماسية؛ فهي موجودة في جميع الأحداث، والحروب والثورات، والعلاقات على مر التاريخ.

المبحث الثالث:

الرسل والسفراء في اللغة والإصطلاح:

لقد ارتبط نشوء وتطور السفارة بنشوء وتطور العلاقات الدولية بين الجماعات البشرية منذ القدم، وترسخت مع ظهور التجمعات البشرية، التي اضطرت من أجل بقائها والحفاظ على أمنها وكيانها التعامل مع غيرها، ولاشك أن هذه العلاقات تطورت، ومرّت بأطوار مختلفة.

ولربط هذه العلاقات بين الدول والشعوب تمّ اعتماد الرسل والسفراء الذين كان لهم الدور الفاعل والمهم في توصيل رسالة الأمة التي يمثلونها للأمم الأخرى، فقد اهتمّت الدول بهم قديماً وحديثاً، فالرسول أو السفير يعكس صورة شعبه أينما رحل وحيثما توجه.

وكلما تطورت البشرية وتكرس مفهوم الدولة، كانت الحاجة إلى تبادل الرسل والسفراء أكثر أهمية، ولا شك أن ظهور الإسلام كان في فترة قد زادت فيها الحاجة للتواصل بين الكيانات السياسية الموجودة آنذاك، لذا حاولت من خلال هذا المبحث استعراض جانب التوصيف اللغوي، والتأسيس الاصطلاحي للرسل والسفراء، وطرق أهم المحطات التاريخية التي مرّوا بها، مع تبيان المهمة المنوطة بهم من طرف حكوماتهم، ودولهم، كما طرقت نقطة مهمة في هذا الإطار ألا وهي: عقد أمان الرسل والسفراء؛ أي حق السفير أو الرسول الأجنبي في حماية شخصه وماله، ثم تحدثت عن الطرق التي يتم من خلالها اختيار هؤلاء الرسل والسفراء ، وفي الأخير خلصت لأهم النتائج حول موضوع الرسل والسفراء. و أوجز عناصر هذا المبحث فيما يلي:

1- الرسول والسفير لغة واصطلاحاً.

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

2- نبذة تاريخية عن الرسل والسفراء.

3- مشروعية عمل الرسل والسفراء.

4- علاقة الرسل والسفراء بعقد الأمان.

5- الأحكام المتعلقة بالرسل والسفراء.

6- طرق اختيار الرسل والسفراء.

1- الرسول والسفير لغة واصطلاحاً:

لا بد أولاً من تحديد معنى الرسول، والسفير، وما يدل عليه كل واحد من هذين اللفظين من معان مختلفة.

أ- فالرسول لغة: من الإرسال وهو التسليط والتوجيه، جاء في البحر المحيط: "الإرسال" التسليط والإطلاق والإحمال والتوجيه، وكأنّ الرسول يسلّط ويوجه إلى من أرسل إليه لأداء مهمته وعمله، والسفير بالكسر: الرجل الظريف والعبقري الحاذق[1].

وفي لسان العرب: الرسول: الرسالة والمرسَل، والرسول معناه في اللغة: الذي يتابع أخبار من بعثه، أخذاً من قولهم جاءت الإبل رسَلاً أي متتابعة، وقال أبو إسحاق النحوي في قوله عزّ وجلّ حكاية عن موسى وأخيه: {فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِين }[2]؛ معناه أنا رسالة رب العالمين، أي ذوا رسالة رب العالمين.

ب- السفير لغة: فهو الرسول المصلح بين القوم، والجمع سفراء، وقد سَفَرَ سفراً وسفارة وسفارةً: إصلاح، وفي حديث علي أنه قال لعثمان: " أن الناس استفروني بينك وبينهم"، أي جعلوني سفيراً وهو الرسول المصلح بين القوم، يقال: "سفَرت بين القوم أي سعيت بينهم في الإصلاح"[3].

ج- السفير في الاصطلاح الحديث: فقد عرفه كثير من رجال العلم السياسي تعريفات تدور على أن السفير: "هو أعلى مراتب السلك الدبلوماسي، وهو رئيس بعثة سياسية تعرف بالسفارة" [4].

والسفير هو الشخص صاحب المرتبة الأعلى في التمثيل الدبلوماسي، يقوم بتمثيل رئيس الدولة ذات السيادة لدى بلاط دولة أخرى أو في عاصمتها، ويخضع لسلطانه سائر أفراد البعثة الدبلوماسية والموظفون في السفارة[5].

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

(1) إبراهيم العدوى: السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى، دار المعارف، مصر 1957م، ص 15.
(2) سورة الشعراء، الآية 16.
(3) الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي: القاموس المحيط، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان1989، ج4، ص384.
(4) أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، ط 1، دار صادر، بيروت، لبنان 1410هـ/1989م، ج 4، ص298.
(5) عبد الوهاب الكيالي وآخرون: الموسوعة السياسية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان 1985، ص ص 206-207.

فالسفير بهذا المعنى هو الرسول الذي تبعثه إحدى الدول لتحقيق أي غرض دبلوماسي، فيسعى لإنجازه عن طريق قيامه بإجراء المباحثات والمفاوضات، وغيرها من الأساليب الدبلوماسية مع ممثلي الدولة الموفد إليها، فالسفير إذن هو الشخص، الذي يقوم بمهمة من دولة إلى دولة أخرى ممثلاً الدولة المرسلة، ومعتمداً لدى الدولة المستقبلة[1].

د- أما الرسول اصطلاحاً : فتختلف معاني الرسول بحسب العمل الذي يقوم به، فربما كان صاحب رسالة سماوية، كالأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، وربما كان رسولاً لعقد صفقة تجارية، وهو الوسيط التجاري، وربما كان في مهمة خاصة بين دولتين أو ملكين.

والمراد من لفظ الرسول هنا: هو ذلك الشخص الذي يقوم بمهمة من دولة إلى أخرى، أو من ملك إلى ملك آخر، وهو المعنى نفسه الذي تحمله كلمة سفير، قال القلقشندي: "السفير هو الرسول المصلح بين القوم" [2]. فلا فرق اصطلاحاً بين الرسول والسفير، فهما مصطلحان يحملان الدلالة نفسها.

بعد عرضنا لمفهوم الرسل والسفراء لا بد من الحديث عن نبذة تاريخية عنهم، والتطور التاريخي لعمل الرسل و السفراء.

2- نبذة تاريخية عن الرسل و السفراء:

إن دراسة التاريخ المتعلق بإرسال الرسل والسفراء تبين أنه قديم قدم الشعوب ذاتها، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن أبناء جنسه وإن اختلفت أقطاره وتباعدت، وإنني أجد ذلك جلياً من خلال هذا العرض الموجز لتطور حاجات الجماعات الإنسانية في سعيها الدائم لتنظيم العلاقات فيما

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

بينها، والسعي لربط هذه العلاقات عن طريق أشخاص، أو جماعات، هم بمثابة الناطق والمثل لهم في سدّ حاجاتهم أوقات السلم والحرب، أطلق عليهم تسمية الرسل والسفراء والممثلين، والمبعوثين...)

وهنا نتساءل: ما هي أهم المحطات التاريخية التي مرّ بها الرسل والسفراء في سبيل بناء العلاقات؟

---

(1) إسماعيل البدوي: اختصاصات السلطة التنفيذية في الدولة الإسلامية والنظم الدستورية المعاصرة، دار النهضة العربية، ط1، القاهرة، 1993م، ص210.
(2) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، د ط، 15ج، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ج6، ص15.

أ– مصر القديمة: إن الناظر في النقوش المصرية القديمة يجد إشارات تدل على جيران مصر على حدودها الشرقية والجنوبية والغربية، وإن ثمة علاقات بين مصر وجيرانها من الليبيين والنوبيين والآسيويين، وقد امتدت العلاقات الدولية بين الغرب والشرق منذ العصور القديمة، فقد قامت علاقات سياسية بين مصر وبلاد اليونان وبين اليونان وبلاد الفرس[1].

ب– العصر الروماني: حين أَفَلت القوى اليونانية وورثتها روما حرصت هي الأخرى على أن تقيم علاقات مع جيرانها إما عن طريق الغلبة والقهر السياسي، أو عن طريق السلم والتعاون، وقد كانت روما وهي ترث الأراضي التي انتشرت فيها الحضارة المتأغرقة حاولت أن تقيم علاقات متنوعة، وهي على كل حال تتخذ شكلاً من أشكال العلاقات الدولية، تبادلت فيها الدول المبعوثين والسفراء، وتبادل الملوك الهدايا، كما كانت تقوم أنواع من المصاهرات بين تلك الدول مما كان يوثق العلاقات فيما بينها[2].

ج– عصر المسيحية: كانت القارة الأوربية عندما انتشرت المسيحية فيها منقسمة على نفسها، تتكون من إمارات وممالك وإقطاعيات متناحرة، ومع أن المسيحية جاءت بالسلام على الأرض، وبالدعوة إلى المحبة و المساواة بين جميع الناس دون تفريق أو تمييز، فإن الدول الأوروبية التي اعتنقت المسيحية لم تتوقف عن الحروب الدموية، ولعل فترة الوئام الوحيدة التي سادت العلاقات بين هذه الدول هي تلك التي أعقبت ظهور الإسلام، حيث هدد المسيحية بانتزاع سيادة العالم القديم منها[3].

---

(1) فتحية النبراوي: تطور العلاقات السياسية الدولية، مطبعة مصنع الإسكندرية للكراس، القاهرة، مصر 1984م، ص16.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

وعلى أية حال كان للكنيسة دور في تنمية العلاقات الدولية ، ومن الأساليب التي لجأت إليها الكنيسة لتعميم فكرة السلام ما يلي :

– السلام الإلهي، والغرض منه حماية رجال الدين من الأمراء والعسكريين وإلا فالحرمان واللعنة.

–الهدنة الإلهية، أو هدنة الرب: وكانت تقضي بتخصيص فترات في السنة تحرم فيها القتال تحريماً باتاً.

د– التحكيم البابوي: وكان يرمي إلى تحكيم البابا في المنازعات التي تقع بين الملوك والأمراء المسيحيين[1].

هـ– الرسل والسفراء في العهد الإسلامي: عند ظهور الإسلام اكتسبت العلاقات الدولية عامة، وأعمال الرسل والسفراء خاصة بعداً جديداً، حين أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينشر الإسلام إلى خارج الجزيرة العربية، ومن ثم كانت المراسلة القائمة بين الدولة الإسلامية بزعامة النبي عليه الصلاة والسلام والملوك والأمراء وشيوخ القبائل، من خلال هذه الرسائل تتضح المعالم والمبادئ الأساسية للعلاقات الدولية الإسلامية[2].

إنّ المد الإسلامي الجديد قد غير شكل الخريطة السياسية للشرق؛ مما كان له تأثير كبير في إعادة تشكيل صورة العلاقات الدولية التي عرفها العالم القديم. وظهور الإسلام لم يكن مجرد حلقة من حلقات تطور العلاقات الدولية بل كان عاملاً أساسياً في تحديد مفهوم العلاقات الدولية في العصور الوسطى، وذلك أن العالم القديم قد تبددت معالمه، وزالت الإمبراطوريات القديمة، التي تحكمت في سير العلاقات الدولية سلماً أو حرباً[3].

إنّ أساس العلاقة بين الدولة الإسلامية (دار الإسلام) وغيرها من الدول التي اصطلح على تسميتها بدار الحرب تقوم على السلم، فالباعث على الحرب في الإسلام ليس هو فرض الإسلام ديناً على المخالفين، ولا فرض نظامه الاجتماعي، بل هو دفع الاعتداء، فالأصل في العلاقة هو السلم حتى يقع العدوان، فإن كان العدوان فإن الجهاد يكون أمراً لا بد منه رداً لشر بمثله، ولتحميَ الفضيلة نفسها من الرذيلة[4].

---

(2)حسن فتح الباري: مقومات السفراء في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1397هـ/1977م، ص17.

(3) نفسه.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

و- الرسل والسفراء في العصر الحديث: إن أعمال الرسل والسفراء أو ما اصطلح على تسميته حديثاً بالتمثيل الدبلوماسي قد بدأ منذ القرن السابع عشر، فمعاهدة وستفاليا سنة 1088هـ/1678م

---

(1) إبراهيم حمد محمد: تاريخ ونظريات العلاقات الدولية، ط1، بيروت، 1990م، ص57.
(2) فتحية النبراوي: المرجع السابق، ص28.
(3) حسن فتح الباري: المرجع السابق، ص31.
(4) هذا ما قال به كثير من العلماء المعاصرين مخالفين رأي جمهور الفقهاء القائل إن أصل العلاقة بين دولة الإسلام وغيرها هو الحرب. نفسه.

التي أبرمت عقب حرب الثلاثين سنة بين دول أوربا جميعاً هي التي حلت السفارات المستديمة محل نظام السفارات المؤقتة، الذي كان متبعاً قبل ذلك الحين، فهو إذن من مستحدثات العصور الحديثة، وقد أصبح له اليوم كامل الأهمية، وقد اعتبر من الحقوق الطبيعية لكل دولة ذات سيادة، وبلغ من أهمية التمثيل الدبلوماسي أن اتجهت الدول لتبادل المبعوثين السياسيين بينها، وهذا دليل على حسن العلاقات وضمان للسلم، وأما استدعاؤهم فمعناه سوء هذه العلاقات ونذير للحرب[1].

3- مشروعية عمل الرسل و السفراء:

تبين في المطلب السابق من هذا المبحث أن الرسل والسفراء كان لهم دور مهم عبر العصور، وكلما تطورت البشرية وتكرس مفهوم الدولة، كانت الحاجة إلى تبادل الرسل والسفراء أكثر أهمية، ولا شك أن ظهور الإسلام كان في فترة قد زادت فيها الحاجة للتواصل بين الكيانات السياسية الموجودة، وحاجة الإسلام إلى ذلك كانت أشد، ذلك أن الدين الإسلامي كان دعوة للناس كافة، فاقتضى ذلك تبليغه للناس أينما وجدوا، وفي أي اتجاه كان في مقدرة المبلغين الوصول إليه.

فها هو النبي صلى الله عليه وسلم يبعث الرسل والسفراء إلى ملوك وحكام زمانه، معطياً القدوة الحسنة لمن يأتي من بعده من الملوك والحكام المسلمين، وهو بذلك يرسم منهجاً أصيلاً عنوانه عالمية هذا الدين، وأنه للناس كافة مهما اختلفت لغاتهم وتعددت أقطارهم وتباعدت، وهذه العالمية لا تتحقق دون التوصل مع الأمم الأخرى، وما إرسال الرسل والسفراء إلا ترجمة لهذا المنهج القويم.

4- علاقة الرسل والسفراء بعقد الأمان:

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الأصل في عقد الأمان قوله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ}[2] أي أنه آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه[3]، فالأمان مبدأ

---

(1) علي صادق أبو هيف: القانون الدولي العام، ط 1، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر 1413 هـ/ 1993م، ص407.

(2) سورة التوبة، الآية 6.

(3) نزلت هذه الآية في صحابي جليل، شهد بدراً والحديبية، قال المرزباني في معجم الشعراء، كان أحد فرسان قريش في الجاهلية وشعرائها، توفي سنة ثلاثين هجرية في خلافة عثمان وله خمس وستون سنة. أنظر: حسن فتح الباري: المرجع السابق، ص35.

عظيم من مبادئ وقواعد السلم في الإسلام، وذلك أن هذا الدين يسعى إلى توصيل الخير للعالم أجمع، فرسالة الإسلام كما أرادها الله تعالى للناس كافة، فلا يترك المسلم فرصة إلّا وقام بهذه الفريضة فكان الأمان فرصة سانحة لتبليغ دعوة الله تعالى.

يقول الإمام ابن القيم: "المستأمن هو الذي يقدم بلاد المسلمين من غير استيطان لها وهؤلاء أربعة أقسام: رسل وتجار، ومستجيرون حتى يعرض عليهم الإسلام والقرآن، فإن شاءوا دخلو ا وإن شاءوا رجعوا إلا بلادهم، وطالبوا حاجة من زيارة أو غيرها، وحكم هؤلاء ألا يهجروا ولا يقاتلوا ولا تؤخذ أموالهم، فالرسول و السفير يدخلان بلاد الإسلام، ليبلغا ما أرسلا به من قبل الدولة التي قدما منها[1].

فإذا وصل الرسول أو السفير بلاد المسلمين فهو في أمان المسلمين، لا يتأتى له إمضاء مهمته إلا وهو داخل في أمان المسلمين، فالأمان لازم وحتمي لإنجاح مهمته، ومن هنا كانت العلاقة بين الرسل والسفراء وعقد الأمان. وكذلك تبرز علاقة الرسل والسفراء بعقد الأمان بما يشمله موضوع الأمان أو مقتضى الأمان؛ ومقتضى الأمان أن يتعهد المؤمن فرداً أو حاكماً بتوفير الأمن، والطمأنينة لشخص أو أكثر ولو لأهل بلدة أو حصن أو إقليم، أو قطر، لأن لفظ الأمان يدل على ذلك[2].

ومقتضى الأمان هذا يقابله بالقانون الدولي ما يسمى بحق الأجنبي في حماية شخصه وماله، فالأجانب لهم حق مقرر على الدولة المقيمين داخل إقليمها، وعلى الدولة أن تحميهم من الاعتداء، وأن تدفع عنهم الأذى، وأن تعاقب المعتدي، وأن ترعى المعتدى عليه[3].

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

إنّ موضوع الأمان أو مقتضاه هو ثبوت الأمان لغير المسلمين، لأن الأمان عاصم لحياة المستأمن، وماله وأسرته بدون شروط[4].

5- طرق اختيار الرسل و السفراء:

كان للرسل والسفراء الدور المهم في توصيل رسالة الأمة التي يمثلونها للأمم الأخرى، فقد اهتمت الدول بهم قديماً وحديثاً، فالرسول أو السفير يعكس صورة شعبه أينما رحل وحيثما توجّه، لذا لابد من توفر مجموعة من الشروط، والصفات الخاصة بهم، وطرق عملهم، وحقوقهم وواجباتهم.

لقد سبق المسلمون غيرَهم في وضع قواعد وضوابط اختيار الرسل والسفراء والمبعوثين، وما زال هذا النظام متبعاً إلى العصر الحاضر، حيث ما زالت كثير من الدول تأخذ بهذا النظام – ولو جزئياً– في اختيارهم لسفرائها ومبعوثيها[1].

وحتى وإن كان المسلمون سباقين في وضع هذه القواعد والضوابط، فإنهم لم يكونوا الأوائل في اعتبار هذه الشروط، فقد جاء في وصايا الفيلسوف الهندي "مانوا" "يجب أن يُختار السفير من بين العارفين تماماً بكل القواعد بحيث يستطيع أن يفهم حقائق الأشخاص من هيئتهم ومنظرهم وحركاتهم، وأن يكون نقيّ الصفات غير قابل للفساد، نشيطاً رفيع النسب[2].

وقد اتبع المسلمون طريقتين في اختيار الرسل والسفراء:

أ- الطريقة الأولى: اختيار الرسل والسفراء والمبعوثين من أهل المكانة والنسب وممن يتصفون بالذكاء والفطنة، والقدرة على أداء المهمة التي أنيطت إليهم على أكمل وجه، وفي أحسن صورة.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة في اختياره لرسله وسفرائه، فقد كان عليه الصلاة والسلام يختارهم من بين الصحابة الكرام الذين شهد لهم بالمكانة والمعرفة والذكاء [3]، فكان

---

(1) منها الجزية، وأن يعرض على المستجير منهم الإسلام والقرآن، فمن دخل فيه فذلك وإن أحب اللحاق بمأمنه ألحقه به". أنظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم: أحكام أهل الذمة، ط 2، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان1983م، ج2، ص476.

(2) نفسه، ص477.

(3) عماد الدين أبو الضرار إسماعيل ابن كثير: تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد على الصابوني، ط7، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان1981م، ج2، ص128.

(4) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم: المرجع السابق، ص478.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.Smart-PDF-Creator.com

اختياره عليه الصلاة والسلام لبعض الصحابة دليلاً ثاقباً على هذا التوجه، فقد أرسل دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر الروم، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى فارس، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس بمصر، وأرسل عمرو بن العاص إلى جيفر، عبد ابن الجلندي، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي. وهؤلاء الصحابة كان لهم من النباهة، والحصافة ما سارت بذكره الركبان، ومن البراعة وحسن التصرف ما ذاع واشتهر. يقول ابن الفراء فيمن يتم اختيارهم للسفارة "ليكن من أهل الشرف والبيوتات، ذا همَّة عالية، فإنه لا بد من مقتف آثار أوليه، محبّ لمناقبها مساوٍ لأهله فيها؛ أي أن يكون ذا نسب رفيع وبيت نقي، قد عرف أهله بالفضل والصلاح وبعدهم عن كل ما يشين، فإن كان كذلك فلا بدّ من أن يتأسّى بهم، ويقلّد أصحاب الشأن منهم" [1].

ب– الطريقة الثانية: وهي للمبتدئين في هذا الميدان خاصة، و ذلك بتدريب المرشحين لهذا الميدان وتعليمهم أصول المهمة وممارسات القيام بها، ثم يُعقد امتحان لهم، فمن يوفق بالنجاح و تظهر عليه علامات الفلاح، فإنه لا بد معتمد من قبل من تولى تدريبه ومن ثم اختياره، وكان الأجدر في الاضطلاع بهذا العمل الخطير، ألا وهو تولي أعمال السفارة.

ثم تطور نظام اختيار السفراء من خلال"ديوان الإنشاء" الذي يشبه في عصرنا الحاضر وزارة الخارجية من حيث إعداد السفراء وتدريبُهم وإرسالُهم. يقول بن الفراء: "يجب على السائس أن يجتهد في تجهيزه لهذا العمل – أي السفير– من يصلح له، ويستقلّ به و يجريه على وجهه، لأن أي تقصير يقع منه سيعرض أمر السلطان لوقوع الخلل والانتشار فيه. فمسؤولية اختيار السفير وتدريبه تقع على الإمام أو السلطان، لأنه الناطق باسمه، الممثل لشخصه، فإن قصّر في أدائه لمهمته فإنه سيسيء إلى من أرسله، وربما أفسد عليه مآربه" [2].

---

(1) علي يوسف الشكري: المرجع السابق، ص89.

(2) عز الدين فودة: النظم الدبلوماسية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر1391هـ / 1961م، ص 90.

(3) أبو علي الحسين بن محمد ابن الفراء: رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط2، دار الكتب الجديدة، بيروت، لبنان 1392هـ/1972م، ص34.

(1) أبو علي الحسين بن محمد ابن الفراء: المرجع السابق.

(2) عماد الدين أبو الضرار إسماعيل ابن كثير: المرجع السابق، ص128.

(3) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي: نصيحة الملوك، تحقيق خضر محمد خضر، ط 1، مكتبة الفلاح، القاهرة 1403هـ/1983م، ص276.

(4) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي: الأمثال (الفرائد والقلائد)، دار الكتب العربية، مصر 1387هـ /1967م، ص228.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

يقول الماوردي: "على الملك أن يتفقد أمر رسله إلى العدو، فلا يرسل إلا من رضي أن يكون صورته الممثلة عند عدوه، ولسانه الناطق بحضرته، فلا يختار لرسالته إلا رائع المنظر كامل المخبر، صحيح العقل، وحاضر البديهة ذكي الفطنة، فصيح اللهجة، جيد العبارة، ظاهر النصيحة، موثوقاً بدينه، وأمانته مجرباً حسن الاستماع والتأدية، كتوماً للأسرار، عفيفاً عن الأطماع غير منهمك في الفواحش والسكر والشرب، فإنه في كل هذه الخلال عوائده يعود نفعها على الملك والمملكة إذا وجدت في الرسول، وفي انحدارها ضررٌ عليهما "[3]، وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه " ثلاثة دالة على صاحبها الرسول على المرسل، والهدّية على المهدي، والكتاب على الكاتب"[4].

إن من يقرأ تاريخ المسلمين يجد اهتماماً كبيراً باختيار السفراء؛ وذلك أن السفير عند المسلمين ليس فقط ممثلاً سياسياً لدولته أو لمملكته، بل هو ممثل للإسلام قبل كل شيء، وصحيح أن الرسول أو السفير يفوض لأداء مهمة سياسية، لكنه في الوقت نفسه صاحب دعوة مأمور بتبليغها بأحسن الوجوه وأنبل الطرق، ولا شك في أن شخصية السفير الناطقة بحاله، وأمانته وخلقه وتقواه هي بحد ذاتها عامل أساسي في نجاحه، ونجاح المهمة التي أوكل بها.

بعد استعراضنا لأهم المحطات التاريخية التي مرّ بها الرسل، والسفراء، والمبعوثين الدبلوماسيين **نخلص إلى مجموعة من النتائج أهمّها:**

1- أن البعثات الدبلوماسية لدى المسلمين لم تكن حديثة العهد، بل مارسها العرب حتى في عصر الجاهلية، ولم تكن تفتقر لميزات البعثات عند الغرب، والأوروبيين.

2- أن مهمة السفير، أو البعثة السفارية لم تقتصر مهامها على تسوية الخلافات بين الشعوب والدول، بل تعدت مهامها إلى إيفاد الرسل، والسفراء أوقات السلم، والمناسبات.

3- للرسل والسفراء الدور المهم في توصيل رسالة الأمة، التي يمثلونها للأمم الأخرى، فقد اهتمت الدول بهم قديماً وحديثاً، فالرسول أو السفير يعكس صورة شعبه أينما توجه.

4- البعثة الدبلوماسية هي وسيلة الاتصال البشري بين الدولة الموفدة لها، والدولة الموفد إليها، فمن خلال البعثة تقيم الدولة علاقاتها الدبلوماسية، وتتبادل من خلالها الآراء ووجهات النظر بشأن القضايا التي تهم البلدين.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message, purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

5- تعمل البعثة الدبلوماسية كذلك على تحسين العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية ، بين الدولة الموفدة لها والدولة الموفدة إليها.

6- البعثات الدبلوماسية أداة للسياسة الخارجية ، تنوعت وتوسعت وأخذت أشكالاً وأنماطاً مختلفة .

7- أن المضامين التي تعطيها الكتابة التاريخية للدلالات السفارية تبقى محدودة، فلم تتغير المعاني المخصصة لكلمة سفير عما كانت عليه في السابق، ولجأت هذه الكتابة إلى اقتباس كلمات ذات أصول أجنبية –رغم خارجيتها– فقد توغلت في الحقل الدلالي للدبلوماسية العربية وفي هذا الاقتباس اعتراف واضح باستحواذ أوربا على المبادرة بفضل حيويتها المتصاعدة والمتجددة في كل المجالات.

الوضع السياسي للمغرب الأقصى وفرنسا خلال القرن11هـ/17م:

عرف الوضع الدولي في النصف الأول من القرن السادس عشر تطورات حاسمة، تمثلت في الفتوحات العثمانية التي أفزعت أوروبا من ناحية ، والصراع بين ملك فرنسا فرنسوا الأول ، وشارل الخامس ملك إسبانيا من ناحية أخرى[37].

حاول الإسبان خلق إمبراطورية مسيحية وترؤسَها، وبمساعدة من البابا، توج شارلكان الإسباني إمبراطورا للعالم الكاثوليكي سنة 924هـ/1519م. ولا يجب في هذا الصدد أن نقلل من أهمية المنافسة التركية الإسبانية في حوض البحر المتوسط، فقد حاول الأتراك بدورهم في الفترة نفسها، جمع شتات المسلمين، واتخذ ملوكهم لقب الخلافة الإسلامية مباشرة بعد دخولهم مصر في سنة 922 هـ/1517م. واعتبر المؤرخ بروديل ميلاد هذين العملاقين – إسبانيا والدولة العثمانية– في مطلع القرن السادس عشر الميلادي مأساة للبحر المتوسط، لأنهما كانتا سببا في أغلب المواجهات التي عرفتها البلدان المحيطة بهذا الحوض طيلة قرن ونصف[2].

في إطار هذا الصراع الدولي شهد المغرب الأقصى تطورات هامة على الصعيد الداخلي والخارجي، حيث كان يئنّ تحت وطأة الإسبان والبرتغاليين الذين لم يجدوا مانعا يقف بينهم وبين

---

(37) عائشة غطاس: العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1694)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986، ص3.

(2)Fernand Braudel: La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, Tome2, Paris1976, p122.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message, purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

تحقيق رغباتهم في احتلال مناطق استراتيجية على طول سواحله المتوسطية والأطلسية. وأمام عجز الوطاسيين وتحالف بعض ملوكهم مع الإسبان، والبرتغاليين، تشكلت بالجنوب المغربي قوة أخرى استمدت شرعيتها من تبنيها الجهاد ضد المحتلين، وهي الدولة السعدية[3].

هذه الأخيرة سعت لتثبيت وجودها، وتوسيع نفوذها خاصة نحو الجنوب، في ظل ما كان يتهددها من أخطار خارجية؛ استهدفت القضاء على حكم السعديين فيه، أو فرض التبعية، أو الولاء عليهم لهذه الدولة أو تلك، وإلى اضطراب أحوالها الداخلية أحيانا بسبب قيام العديد من الثورات [1]. والافتتان على السلطة بين السعديين أنفسهم، مما كان يؤثر على علاقاتهم الخارجية، ونوعية تلك العلاقات[2]. يقول شارل أندري جوليان في هذا الصدد: "...ذلك أن كل ما يخسره النصارى بسبب كره الطرف المقابل، وتعصبه الديني، يعوضه لهم ما كانوا يكسبونه من جرّاء تناحر أعدائهم، وتنافسهم..."[3].

أما بالنسبة لفرنسا التي كانت تسعى لاستكمال وحدتها، واحتلال مكانة تسمح لها بتزعم أوربا الغربية، من أجل ذلك أقامت تحالف عثماني- فرنسي ضد شارلكان عدو فرنسا؛ مستغلة بلوغ الدولة العثمانية أوجّ قوتها في عهد السلطان سليمان القانوني، والذي جعلها عنصرا فعالا في التوازن السياسي في أوربا، وفي حوض البحر الأبيض المتوسط. فقد اتبع الملك الفرنسي سياسة "عدو العدو صديق"[4]. حيث عمل فرانسوا الأول على اكتساب ود العثمانيين أعداء عدوه شارلكان، ليستغل

---

(3) قدم السعديون من الجزيرة العربية حوالي القرن الثاني عشر ميلادي، واستقروا في واحات درعه الوسطى بالقرب من بلدة "زاقورة"، أين أسسوا زاوية "تيدسي" بنواحي السوس في الجنوب الغربي من "تارودانت". وفي سنة1511م بايعوا الشريف أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان القائم بأمر الله الجازولي، فكان النواة الأولى للدولة السعدية. انظر: شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، 2ج، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر1983، ج2، ص 265.

(1) عمّار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر، والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر1978، ج1، ص119.

(2) نفسه.

(3) شارل أندري جوليان: المرجع السابق.

(4) محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ط 6، دار النفائس، بيروت 1988، ص209.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

قوتهم المتنامية لمواجهة هذا الأخير، وسعى إلى عقد تحالف مع السلطان العثماني سليمان القانوني [5]؛ قصد إضعاف شارلكان ومحاصرته من جهتي الشرق والغرب[6].

كان الوضع السياسي لفرنسا خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر مضطربا في الداخل والخارج، ذلك بسبب الحروب الدينية بين المعسكر البروستانتي؛ الذي كان يسعى إلى إصلاح الأحوال الدينية للمسيحيين وتقليص نفوذ الكنيسة، والمعسكر الكاثوليكي الذي سعى للسيطرة على الكنيسة ووصايتها. ومع حلول القرن السابع عشر بدأت تلوح للأفق بوادر التغيير في فرنسا، من بداية الحكم المطلق، وظهور أسرة آل بربون، وانتهاء الحروب الدينية في أوروبا، إلى النهوض بالبحرية، ووصول الدولة الفرنسية إلى "عصر العظمة".

في إطار كل هذه التغيرات التي شهدها المغرب الأقصى وفرنسا نتساءل: كيف كان الوضع السياسي الداخلي لهما (المغرب وفرنسا)؟

المبحث الأول:

الوضع السياسي للمغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م:"عصر الفوضى والأزمات السياسية":

عاش المغرب الأقصى خلال الفترة الأولى من القرن 11هـ/17م أزمة حادة تجلت في اضطرابات سياسية، واقتصادية، واجتماعية عملت على تقويض أركان الدولة المغربية آنذاك، وساهمت في اندحارها بصفة سريعة، وهذا يجعلنا نتساءل عن سبب هذا الانهيار المفاجئ، وبالتالي هل فقدان سلطان عظيم (المنصور)[1]، بالضرورة يؤدي إلى مثل ما عرفه المغرب من تدهور؟ أم أنّ أسس الدولة لم تكن قوية بالدرجة التي تمكنها من مقاومة أي ضعف، أو تدهور قد يتسرب إلى صميم الدولة؟

ثم يمكن أن نتساءل أيضا عن السبب الرئيسي في هذه الأزمة، هل أبناء السلطة الحاكمة– أبناء المنصور– الذين انشغلوا بالصراعات فيما بينهم حول السلطة تاركين بذلك المجال مفتوحا لقوى محلية تعمل في الخفاء، وتنخر كيان الدولة من الداخل قصد الحصول على مشروعية حكم البلاد؟ أم

---

(5) من أشهر السلاطين العثمانيين، ولد في 27 أفريل 1495م، تولى الحكم سنة 1520م خلفا لأبيه السلطان سليم الأول ويعد السلطان سليمان من أبرز شخصيات القرن السادس عشر الميلادي، عاصر شارلكان وملك فرنسا فرنسوا الأول، بقي على رأس الدولة العثمانية حتى وفاته سنة 1566م. انظر: نفسه، ص251.

(6) نفسه، ص209.

(1) المنصور: أحمد بن عبد الله الملقب بالذهبي، وأشهر السلاطين السعديين ولد بفاس سنة 1578م. تولى الملك بعد استشهاد أخيه عبد الملك في معركة وادي المخازن 1578/08/04م، للمزيد من المعلومات انظر: عمّار بن خروف: المرجع السابق، ص ص 125، 126.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

رافقت ذلك عوامل اقتصادية، واجتماعية، ودينية عجلت بذلك الانهيار؟ في إطار إجابتنا عن كل هذه التساؤلات نتعرض للوضعية العامة للمغرب أوائل القرن الحادي عشر هجري السابع عشر الميلادي، والتي ساهمت في إعطاء المشروعية لقوة سياسية جديدة - الشرفاء العلويين - لإنقاذ البلاد من شر الفوضى، التي كادت أن تذهب بكل مقومات الدولة بالمغرب [2]. نوجز أبرز ملامحها في مايلي:

أ- أوضاع المغرب الأقصى بعد وفاة المنصور"فترة الفتنة" 1012هـ/1603م.

ب- نهاية الدولة السعدية وإمارة الشبانات.

ج- تردي الوضع الإقتصادي (الكوارث الطبيعية).

د- الزوايا الدينية ودورها في الحراك السياسي.

هـ- العلويين من الإمارة إلى الدولة.

و- عهد المولى إسماعيل بن الشريف (1645-1727م).

أ- أوضاع المغرب الأقصى بعد وفاة المنصور"فترة الفتنة"(1012هـ/1603م):

اعتلى الشرفاء السعديون عرش المغرب خلال النصف الأول من القرن 10هـ/16م فتصدوا بحماس لغزو البرتغال، وتحرير الثغور المحتلة مدة تصل إلى ستين عاما؛ أي من 915هـ/1510م، تاريخ قيام محمد القائم بأمر الله بسوس، وجهاده ضده البرتغال في المناطق الجنوبية، متخذا من قرية تيدسي قرب مدينة تارودانت؛ أول عاصمة للدولة السعدية[1]، إلى غاية حدوث معركة وادي المخازن في سنة 986هـ/1578م، وهي مدة طويلة حقق خلالها السعديون مكاسب مهمة ، لكنها لم تسجل انتصارا نهائيا على الاحتلال الإيبيري ، الذي ظل يتواجد بعدد من المدن المغربية كطنجة [2]،وسبتة[3]، ومليلية[4].

---

(2) محمد الصغير بن الحاج الأفراني: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق هوداس، باريس 1889م، ص64.

(1) إبراهيم حركات: السياسة والمجتمع في العصر السعدي، دا ر الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب 1985، ص 46.

(2) طنجة احتلتها البرتغال في عهد محمد الشيخ الوطاسي 876هـ/1471م أسبوعا بعد الاحتلال مدينة أصيلا. وقد بدأ تخطيط البرتغال لاحتلال هذه المدينة سنة 1437 منذ ذلك الحين تكررت محاولات السيطرة إلى أن سقطت المدينة في سنة 1471م. انظر: العياشي عبوب: طنجة في التاريخ المعاصر 1800-1956، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والمدرسة العليا للترجمة بطنجة، الرباط 1991. ص8.

(3) سبته تعتبر أول مركز تم احتلاله من طرف البرتغال سنة 1415م، وقد تم ذلك بمساعدة النصارى المقيمين بهذه المدينة، وخلال هذه المرحلة كانت الدولة المرينية تعيش مرحلة من الانحطاط ، الذي لازمها منذ هزيمتها في معركة

This document was created using SmartPDF Creator
To remove this message, purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

ومع أحمد المنصور الذهبي (986-1012هـ/1578-1603م)[5] أدرك المغرب أوج عزّه وعظمته، وعرفت معركة وادي المخازن الشهيرة (986هـ/1578م) حدا للأطماع الخارجية، وعززت من هيبة المخزن المغربي، وأخذت الدول الأجنبية تخطب ود العاهل المغربي، وتتقرب إليه بالسفارات، والهدايا مما أتاح للسعديين فرصة الاهتمام بتوسيع نفوذهم، الذي امتد إلى حدود بلاد السودان جنوبا[6].

وباحتلال المنصور للسودان تدفقت على المغرب سيولٌ من الذهب والرقيق ساهمت في تنشيط الحركة الاقتصادية، فعمّ الرّخاء، وساد جو من الاستقرار، والأمن داخل البلاد، لكن هذه الوضعية سرعان ما تبدّدت بعد وفاة المنصور (1012هـ/1603م)، وذلك بفعل تضافر مجموعة من العوامل:

فمن جهة فقد وزّع المنصور إمارة أهم أقاليم المغرب على أبنائه ، ومنحهم كافة الصلاحيات السياسية، بما في ذلك حرية الاتصال والتعامل مع الدول الأجنبية، حتى غدت إدارتهم شبه حكومات مستقلة، وحمل وليّ العهد لقب "خليفة السلطان"، ويتمتع بالامتيازات نفسها التي كان يحضا بها الملك تقريبا، فكان له وزيره وكتابه وحرسه الخاص، وجيش مسلح، الأمر الذي جعل كلا منهم يعتقد أنه أحقّ بالملك، وبالتالي فقد غدت لديهم رغبة الاستيلاء والسيطرة على الحكم، وهذا ما حدث بالفعل مع محمد الشيخ المأمون الذي ثار ضد أبيه وحاول الاستعانة بالأتراك، إلا أن المنصور ظفر به بعد مطاردة طويلة[1].

وقد زادت هذه الرغبة بعد وفاة المنصور الذي لم يحسم في أمر خلافته منذ ثورة ابنه المأمون سنة1001هـ/1592م، فنشب صراع بين أبنائه الذين كانوا حكاما للأقاليم، وانتهى الصراع بانقسام المغرب إلى مملكتين:

طريف. انظر: محمد بن القاسم الأنصاري السبتي : اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سَنِيِّ الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط، 1404هـ/1983م،ج1، ص15.

(4) كانت مدينة مليلة تعيش على عائدات الجهاد البحري ، الذي كان يستهدف السفن الإسبانية والبرتغالية مما دفع بالتفكير لاحتلال هذه المدينة من طرف الأسبان ، وقد ساعد على ذلك انفصال المدينة عن السلطة المركزية ، وسيادة الفوضى، والاضطراب مما سهل عملية الاحتلال سنة 1497م بقيادة (خوان دوكزمان). انظر: نفسه.

(5) السلطان أحمد المنصور الذهبي بن محمد الشيخ المهدي بن محمد القائم بأمر الله الزيداني الحسني السعدي، واسطة عقد الملوك السعديين، وأحد ملوك المغرب العظام. ولد بفاس عام 1549/956، وبويع في ساحة معركة وادي المخازن الظافرة يوم الاثنين من جمادى الأولى سنة 986هـ/4 أوت 1578. يعتبر عهده الذي دام حوالي ست وعشرين سنة أزهى عهود الدولة السعدية رخاء وعلما وعمرانا وجاها وقوة. انظر: محمد حجي: معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب 1990، ج1، ص173-175.

(6) يطلق السودان في الحرف الجغرافي القديم على مجموعة أراضي إفريقيا الغربية الواقعة جنوب الصحراء إلى حدود النيجر. انظر: إبراهيم حركات: أحمد المنصور الذهبي كرجل دولة، في: مجلة دعوة الحق، المغرب أوت 1978م، ع8، ص70.

(1) إبراهيم حركات: المقال السابق، ص77.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

– مملكة مراكش: يحكمها "زيدان" الذي وطّد علاقته مع الأجانب خاصة البرتغال.

– مملكة فاس: يحكمها "محمد الشيخ المأمون" الذي نزع السلطة من أخيه أبي فارس بدعم من إسبانيا، وقد كان من الطبيعي أن يؤدي الصراع الذي ظهر في الأسرة الحاكمة، إلى ضعف السلطة المركزية –المخزن– مما فتح المجال أمام الأطماع الداخلية والخارجية

ففي الداخل: أدى التناحر في إطار الأسرة الحاكمة إلى تزايد نفوذ الصلحاء، وأرباب الزوايا وبالتالي إلى ظهور نزاعات أو حركات استقلالية تهدف إلى تكوين إمارات مستقلة عن السلطة المركزية، كثورة "ابن أبي المحلي"، وثورة "أبي زكريا الحاحي"، "وأبي حسون السملالي"، "والعياشي"، والزاوية الدلائية، وأخيرا الحركة العلوية[2].

وعلى **الصعيد الخارجي**: استغلت بعض الدول الأجنبية ضعف السلطة المركزية، وانقسامها لربط علاقات دبلوماسية، وتجارية مع زعماء الثورة في مناطق نفوذهم، بل وتدعيمهم لبعض الثورات مقابل التخلي عن جزء من التراب المغربي مثل: "العرائش التي سلمها محمد الشيخ المأمون للأسبان في سنة 1610م، طمعا في مساعدته"[1].

1- أزمة الحكم السعدي وعوامله:

إذا بحثنا عن الأسباب التي أدت إلى ضعف السلطة المركزية، وإلى التجزئة السياسية نجد أن من بين تلك العوامل ما هو راجع لسياسة المنصور تجاه أبنائه، فقد ارتكب أحمد المنصور الذهبي خطأ سياسيا جنى به على الدولة السعدية [2]، وكان سببا في فتح باب الفتنة، والصراع حول السلطة ولم يغلق هذا الباب إلا بنهاية دولته ويتعلق الأمر بـ:

---

(2) يرجع أصل العلويين إلى الحسن السبط (عن طريق محمد النفس الزكية). جاءوا حوالي القرن الـ 13م إلى المغرب وسكنوا جنوب جبال الأطلس في واحة تافيلالت (بالقرب من سجلماسة). بمساعدة من الفرق الصوفية، والتي كانت تنشط في المنطقة حينذاك، أصبح مولاي الرشيد (1664-1672م) سيداً على منطقة تافيلالت والواحات، استطاع بعد ذلك أن يستولى عام 1666م على فاس (على حساب السعديين) ثم على باقي المملكة، وتابع جهوده بعد ذلك بأن وطد دعائم ملكه. أكمل ابنه مولاي إسماعيل (1672-1727 م) إعادة تنظيم المملكة، كما جعل للدولة اقتصادا قوياً (اعتمد على التجارة الصحراوية)، ثم وسع مدينة مكناس وجعلها من أهم مدن المغرب. انظر: محمد القبلي: مساهمة في تاريخ الدولة العلوية، في مجلة كلية الآداب بالرباط، ع3-4، المغرب1978م، ص68.

(1) محمد القبلي: المقال السابق.

(2) على الرغم من الأمجاد التي حققها المنصور في مختلف الميادين ،فإنه أساء إلى الدولة بتولية العهد أحد أسوأ أبنائه سيرة، ففتح بذالك خرقا استحال وثقه، وقضت الدولة قرابة نصف عمرها في نزاع مسلح على العرش منذ وفاة المنصور، وهذا النزاع عطل كل جهود الدولة تقريبا ع ن العمل السلمي المجدي وعن مواجهة المحتلين الدخلاء، وكان تقسيم المغرب إلى مملكتين هما مملكة مراكش ومملكة فاس بين أبناء المنصور أكبر مشجع لهم على التمرد وعدم

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

– ترشيحه لأسوإ أبنائه وليا للعهد.

– توزيع أهم أقاليم المملكة بين أبنائه تفاديا لوقوع نزاع مسلح بينهم.

أصيب المنصور بمرض عضال كاد أن يؤدي إلى وفاته، فأشار عليه وزراؤه بتعيين وليّ للعهد يتولى الأمر من بعده، فتّم ترشيح ابنه محمد الشيخ المأمون– وكان حينذاك خليفة لوالده على فاس ، وأعمالها– فتمت مراسيم البيعة بحضور العلماء، ورؤساء القبائل سنة 987هـ/1579م، "وفي سنة 992هـ/1584م؛ جدد المنصور البيعة لولده المأمون بحضور إخوته خصوصا لأنهم كانوا في البيعة الأولى دون سن البلوغ فأراد أن يستوثق منهم العهد لأخيهم حسما لمادة النزاع بينهم"[3].

"إلّا أنّ المأمون اشتهر بسوء سيرته حيث كان فاسقا، مدمنا على الخمور مولعا برفقة الصبيان سفاكا للدماء قاسي الطبع، شرس الخلق غير مكترث بأمور الدين"[4].

2- توزيع أقاليم المملكة بين أبنائه: بادر أحمد المنصور الذهبي بعد تجديد البيعة لابنه محمد الشيخ المأمون في سنة 992هـ/1592م إلى توزيع أهم أقاليم المملكة بين أبنائه، حتى لا تنشأ بينهم كراهية لتفضيل بعضهم على بعض فلا يبقى في نفوسهم أحقاد ولا تنطوي قلوبهم على ضغائن[1].

لهذا عمل المنصور على تعيين أبي فارس على سوس، وسائر عمائره بينما عقد لأبي الحسن على إقليم مكناسة، وعقد لزيدان على بلاد تادلا، وما والاها. غير أن هذه الوضعية ستتغير إبان ثورة محمد الشيخ المأمون؛ إذا سيخلف المنصور أبا فارس على مراكش بينما عقد لابنه زيدان على فاس. وقد استمرت هذه الوضعية بعد وفاة المنصور، الذي لم يحسم في أمر خلافته فكان ذلك سببا في استبداد الأمراء، ودخولهم في صراع طويل كان سببا في سقوط الدولة.

3- وفاة المنصور 1012هـ/1603م: تسلّط على المغرب وباء خطير (1007هـ/1016هـ)؛ ذهب ضحيته آلاف الأشخاص من بينهم عدد كبير من العلماء والشخصيات البارزة، وكان أحمد المنصور أحد ضحايا هذا الوباء حيث توفي بفاس في شهر ربيع الثاني 1012هـ/أوت1603م، ودفن بها ثم نقل

الإمتثال للملك المنصب. أنظر: إبراهيم علي حسن : أحمد المنصور الذهبي، سلسلة خالدون في تاريخ المغرب، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب 1407هـ /1987م، ص 35،36.

(3) محمد الصغير الأفراني: المصدر السابق، ص99.

(4) نفسه.

(1) محمد الصغير الإفراني: المصدر السابق، ص100.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

إلى مراكش ليدفن بقبور الشرفاء السعديين. وتُقدم بعض المصادر التاريخية روايات مختلفة عن سبب وفاة المنصور؛ منها الرواية التي تؤكد أن وفاته كانت بتدبير من زوجته عائشة بنت أبي بكر الشيبانية والدة زيدان، التي قامت بتسميم المنصور لأنه أوصى بولاية العهد لابنه، وخليفته بمراكش أبا فارس، غير أن الأفراني يدحض هذه الرواية، وينفي أن تكون وفاة المنصور من جراء السم ويؤكد على أن وفاته هو الوباء الذي عرفه المغرب خلال تسع سنين[2].

4- بيعة زيدان :[3] لما توفي المنصور بادر أعيان مدينة فاس لمبايعة ابنه زيدان، وكان زيدان أحق أخوته، وأجدرهم بولاية عهده. "وقالوا إن المنصور خلفه في حياته ومات في حجره"[4].

وكان ممن تولى زمام المبادرة في بيعته القاضي أبو الحسن علي بن عمران السلاسي [1]، والمفتي أبو عبد الله محمد القاسم القصار، والقاضي أبو القاسم ابن أبي النعيم [2]. وفي هذا الصدد يحكى أن القاضي ابن أبي النعيم قام في الناس خطيبا حيث قال "...**أما بعد السلام عليكم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات اجتمع الناس على أبي بكر الصديق رضي الله عنه ونحن كذلك نفعل، فقد مات مولانا أحمد رحمه الله، وهذا ولده مولانا زيدان هو أولى بالملك من إخوته فنبايعه** "[3]، فبايعه

---

(2) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا ء لأخبار دول المغرب الأقصى، 9ج، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب 1955، ج6، ص6.

(3) مولاي زيدان: الناصر ابن أحمد المنصور.من السلالة السعدية المغربية، وثامن ملوكها. تولى الحكم في المغرب سنة 1603م خلفا لوالده المنصور، وبقي فيه إلى غاية سنة 1628م. زيدان بن إسماعيل بن الشريف، هو المولى أبو محمد الحسني العلوي السجلماسي (ت: 1119هـ): أمير من بيت الملك بالمغرب الاقصى، استخلفه والده على مكناس سنة 1102هـ، ووجهه بجيش لقتال الترك في جهات تلمسان سنة 1111هـ، وعينه خليفة على فاس، واستقر بتارودانت إلى أن توفي بها. وهو جد المؤرخ ابن زيدان . للمزيد، انظر محمد الصغير الإفراني: المصدر السابق، ص ص77-79.

(4) خير الدين الزركلي: الأعلام، بيروت، لبنان1980،ج3، ص63.

(1) أبو الحسن علي بن عبد الرحمان ابن عمران السلالي (توفي 1018هـ/1609م) تولى قضاء الجماعة بفاس أواخر 1004هـ/1596م، وظل يشغل هذا المنصب طول ثلث قرن ، وقبيل وفاة المنصور استدعي علي بن عمران لتولي قضاء الجماعة بمراكش ، وقد كان علي بن عمران من فطاحل العلماء والفقهاء ذو مقدرة علمية، وقد تتلمذ على يده مجموعة من علماء البلاد كأحمد المقري والعربي. انظر: محمد حجي الفاسي: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ، مطبعة المحمدية، المغرب1977، ج 11، ص 486.

(2) أبو القاسم بن أبي النعيم توفي حوالي 1032هـ/1623م، اشتغل بالتدريس بالقرويين وكان إلى جانب أحمد المقري يعقدان مجلسا موحدا يحضره بالإضافة إلى الطلبة عدول المدينة وعلمائها ، وقد تعرض العالمان إلى رياح الفتنة فرحل على إثرها المقري إلى المشرق ليموت في مصر، في حين اغتيل أبو النعيم على قارعة الطريق وهو راجع من صلاة الجمعة في حي الزريطانة. انظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ص367.

(3) نفسه.

This document was created using SmartPDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

أهل فاس في ربيع الأول من سنة 1012هـ/1603م، وفي هذه الأثناء كان ولي العهد السابق محمد الشيخ المأمون قد نقل من سجن مكناس إلى سجن مراكش ليكون تحت مراقبة شقيقه أبي فارس[4].

لم يتمكن أبناء المنصور الثلاثة من التوافق؛ إذ وبعد موت والدهم أخذوا يتنازعون حول الحكم؛ إذ بويع زيدان بفاس، وأبو فار س بمراكش. وأخذ الأخوة في التحالف، والتآمر على بعضهم البعض، فاغتيل أبو فارس سنة 1610م وتمكن محمد الشيخ المأمون من الاستيلاء على فاس بمعونة الإسبان، واستبقى مولاي زيدان مراكش [5]، وإقليمها لنفسه بعد عناء كبير. وهكذا أصبح المغرب الأقصى في مطلع القرن السابع عشر ميلادي مقسما إلى مملكتين، فسادت الفوضى، وطمع أعداؤه فيه[6]. وبينما كانت دولة السعديين تحتضر، عمدت إسبانيا إلى احتلال بعض الموانئ المغربية، فتسلمت العرائش سنة 1610م، وأقامت قلعة في مصب وادي سبو سنة 1614م لتشديد رقابتها على مدينتي الرباط، وسلا اللتين كانتا تنشطان في البحر[7].

5- تعاقب أبناء زيدان على الحكم:

– وفاة زيدان:

توفي زيدان بعد فترة حكم دامت زهاء ربع قرن (1603-1627م)، وهي فترة مضطربة تخللتها فتن وفوضى واضطرابات كانت سببا في ضعف السلطة المركزية وبالتالي ساهمت في تعطيل كل الجهود التي كان ينبغي أن تصرف في البناء الداخلي، وفي مواجهة الأطماع الخارجية، وتحرير الثغور المحتلة، وقد اتخذت هذه الثورات ثلاثة أشكال :

1- ثورات قادتها عناصر من الأسرة الحاكمة في مراكش وفاس.

2- ثورات شعبية ظهرت في المدن وكانت ضد بعض الولاة كما حدث في مدينة سلا.

3- ثورات قادها الصوفية وأرباب الزوايا من أجل إقامة كيانات سياسية مستقلة عن السلطة المركزية.

– أبو مروان عبد الملك بن زيدان (1037-1040هـ/1627-1630م):

---

(4) عالم من علماء فاس الكبار اشتهر بدقة التفكير والتعمق في البحث وقد خلق السراج في الإفتاء والخطابة والكراسي العلمية إلا أن مجلسه لم يحضره إلا عدد قليل من النجباء وذلك لأن عبارته لم تكن تسعفه. انظر: نفسه، ص363.

(5) إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص92.

(6) محمد الصغير الإفراني: المصدر السابق، ص227.

(7) شارل أندري جوليان: المرجع السابق،ص279.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

بعد وفاة زيدان بويع ابنه عبد الملك، غير أن إخوته أحمد والوليد ثارا عليه؛ مما أدى إلى حدوث نزاع مسلح، انتهى بانتصار عبد الملك، الذي استقر بمراكش[1].

أما أحمد بن زيدان فقد فرّ إلى ابن عمه محمد زغودة فغدر به، وقتله واستولى على القصبة، وفي أواخر سنة 1037هـ/1627م، ثار عليه قائد جيش القصبة، فأودعه سجن فاس فبقي مسجونا عدة سنوات حتى خرج منه مستخفيا بين النساء في سنة 1044هـ/1634م، فحاول أن يسترجع نفوذه بفاس فلم يتم له أمر إلى أن اغتيل بيد أحد العامة سنة 1051هـ/1641م[2].

"وأما الوليد فقد حاول أن يستولي على الحكم لكنه فشل، ونفي إلى أن أعيد مرة أخرى إلى مراكش، لكنه في هذه المرة عمل على استمالة العلوج، فأوعز إليهم بقتل أخيه عبد الملك فتّم له ذلك سنة 1040هـ/1630م" [3].

– الوليد بن زيدان 1040-1045هـ/1630-1635م: لما قتل عبد الملك بويع أخاه الوليد بن زيدان "وقيل أنه كان متظاهرا بالديانة حتى رضي به الخاصة والعامة"[4]، وخوفا من تكرر الأحداث نفسها (أي ما وقع بين أعمامه من العنف، بعد وفاة والدهم زيدان)، "عمد الوليد إلى الفتك بإخوته وأبناء عمومته ولم يبق من الأمراء إلا أخاه محمد الشيخ الأصغر منه سنا، إذ كان حينذاك لا يتجاوز إحدى عشرة سنة، فحبسه في إحدى غرف القصر، وعزم على الفتك به، إلا أنه اغتيل قبل أن يتم له ذلك"[1].

وقد كانت وفاته بسبب اختلافه مع أحد قواده من الأعلاج؛ بشأن رواتبهم وأعطياتهم، حيث رفض أداءها، فتربص به بعضهم فقتلوه في الليل ة نفسها التي أراد فيها أن يفتك بأخيه محمد الشيخ في الرابع عشر من رمضان من سنة 1045هـ/1635م. وكان من أهم أعماله بناء قصبة الوليدية التي تقع قرب آسفي[2].

---

(1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج6، ص82.
(2) نفسه.
(3) نفسه.
(4) خير الدين الزركلي: المرجع السابق،ج8، ص119.
(1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج6، ص83.
(2) تعتبر مدينة آسفي من أعرق المدن المغربية نشأة. ونظرا لعراقتها في القدم فقد اختلف الباحثون والمؤرخون في أصل نشأتها وعلى يد من تم بناؤها، فمن قائل أنها مدينة بربرية، وقائل أنها مدينة فينيقية، وقائل أنها مدينة

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

– محمد الشيخ الأصغر(1045-1064هـ/1635-1653م):

بعد وفاة الوليد بن زيدان تم إخراج محمد الشيخ الأصغر من السجن، فبايعه أهل مراكش في 15رمضان1045هـ الموافق لـ: 22فيفري 1636م، وكان محمود السيرة، متواضعا متورّعا عن سفك الدّماء محبا للخير[3].

ورغم طول فترة حكمه فإن سلطته لم تتجاوز مراكش وأعمالها ففي عهده قوي نفوذ الزاوية الدلائية، وبدأت تتطلع لإقامة دولة تخضع لها جميع مناطق المغرب، فاحتلت بذلك مدينة فاس ودخلت في صراع مع السعديين انتهت بانهزام جيش محمد الشيخ الأصغر في "معركة بوعقبة" سنة 1048هـ/1638م، وفي عهده أيضا بدأ العلويون دعايتهم السياسية، "وقد توفي محمد الشيخ الأصغر سنة 1064هـ/1653م، بعد فترة حكم كانت الدولة السعدية خلالها تلفظ أنفاسها الأخيرة"[4].

لقد تضافرت عدة عوامل أدت إلى زوال الدولة السعدية؛ منها صراع الأخ مع أخيه على الحكم.

ب– نهاية الدولة السعدية وإمارة الشبانات:

تولى "أبو العباس أحمد بن محمد" (1654-1659م) الأمر بعد وفاة والده، وهو يعتبر آخر ملوك السعديين؛ وفي عهده قوي نفوذ أخواله الشبانات فأرادوا الاستبداد بالملك فأشارت عليه أمه بالتوجه إليهم ومحادثتهم فقتلوه [1] وكان ذلك سنة 1069هـ/1658م، وبايعوا زعيمهم عبد الكريم الشباني الملقب بكروم، الذي استولى على السلطة بمراكش، وأعمالها باستثناء آسفي، التي رفضت الخضوع له، وعبثا حاول السيطرة عليها لكنه فشل في ذلك، وقد استمر حكمه مدة وصلت حوالي عشر سنوات من 1069هـ إلى 1079هـ، "عرفت خلالها البلاد أزمة خانقة تمثلت في ارتفاع الأسعار،

كنعانية، وقائل أنها مدينة إسلامية، وقائل أنها مدينة إفريقية. غير أن المتعارف عليه تاريخيا أن منطقة آسفي كانت مسكونة منذ القدم من طرف قبائل مصمودية بربرية، وفي هذا المجال يشير بن خلدون إلى أن استقرار البربر بالمنطقة كان منذ أحقاب متطاولة لا يعلم قدرها إلا الله . ولا بد من الإشارة كذلك إلى ما أورده المؤرخ الحسن الوزان بخصوص نشأة آسفي بقوله: "آسفي بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر المحيط " انظر: محمد بالوز : صفحات من تاريخ مدينة آسفي، ط1، الرباط، المغرب2004، ص10.

(3) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق.

(4) نفسه.

(1) Ernest Mercier : Histoir de L'afrique septentionale depuis les temps recule j'uque la conquéte francais, 4éme partie, edition Elibon, paris2005, p257.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

وحدوث المجاعة، فبلغ الجوع ذروته[2]، حتى إن الناس أقدموا على أكل الجيفة حتى عرفت هذه السنة بعام كروم الحاج"[3]، وقد تم اغتياله على يد بعض جنده في سنة 1079هـ/1668م فتولى ابنه أبو بكر الشباني الذي لم يدم ملكه أكثر من أربعين يوما، إذ سرعان ما تمكن المولى الرشيد من مدينة مراكش، فخرج أبو بكر الشباني فارا بنفسه إلى أن ألقي عليه القبض فتم إعدامه مع جماعة من أصحابه، وبقضاء المولى الرشيد على إمارة الشابانات[4]. وبدخوله مراكش؛ تنتهي الدولة السعدية لتقوم مكانها دولة ناشئة بتافيلالت[5].

دخلت الدولة السعدية مع مطلع القرن 11هـ/17م، مرحلة حاسمة من تاريخها السياسي، وقد شكلت هذه المرحلة –بداية النهاية– للدولة فموت أحمد المنصور الذهبي 1603م؛ جعل البلاد تعيش مشاكل على مستوى الخلافة خاصة وأنه لم يحسم في هذا الأمر قبل وفاته، فنشب صراع بين أبنائه حول السلطة مما أدى إلى انقسام المغرب إلى مملكتين مملكة مراكش بويع فيها أبو فارس، ومملكة فاس بويع فيها زيدان، وأدى صراع الأخوين إلى حرب بحث فيها كل طرف عن الأحلاف، فاتصل زيدان بعد هزيمته بالأتراك، أما محمد الشيخ الذي تخلى في الحرب لصالح أبي فارس فقد انقلب عليه وأعلن نفسه حاكما على مدينة فاس واستنجد بالإسبان مسلّما إياهم العرائش سنة 1610م، وبذلك يكون قد حطم إحدى الركائز التي قام عليها الحكم السعدي، ألا وهي الجهاد، والذي كان يجمع حول السعديين القوى المحلية، وبالتالي بدأ عدد معارضيهم يزداد، وفي الفترة نفسها ازداد الثقل الضريبي على السكان؛ فتجنيد الجيوش وتسليحها تطلب من الإخوة مصاريف مالية كبيرة، اضطر على إثرها رفع الضرائب على السكان، والذهاب إلى حد اغتصاب هذه الأموال من أصحابها كما فعل محمد الشيخ المأمون مع أعيان فاس[1].

هـ– تردي الوضع الإقتصادي (الكوارث الطبيعية):

---

(2) محمد الصغير الإفراني: المصدرالسابق، ص20.

(3) حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، ط1، دار الرشاد الحديثة، ج 2، الدار البيضاء، المغرب 1978، ص101.

(4) هي قبيلة عربية استقرت بإقليم السوس، وكانوا من أنصار الدولة السعدية. انظر: عبد الكريم مصطفى: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان1996، ص37.

(5) هي الدولة العلوية الناشئة.

(1) المجهول: تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، ط1 ، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش 1994، ص104 .

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

لقد انعكس تردي الأوضاع الاقتصادية، وظهور الأوبئة والمجاعات؛ على الوضع السياسي في المغرب الأقصى، يقول الحسن الوزان:" ...ويظهر الوباء في بلاد البربر على رأس كل عشر سنوات...أو خمس وعشرين سنة، وعندما يأتي؛ يذهب بالعديد من الناس"[2].

لقد كادت الأوبئة والمجاعات أن تكون متصلة من مطلع القرن 11هـ/17م، حتى نهاية العقد السادس منه،فالوباء الطويل الذي ظهر سنة 1006هـ/1598م، واستمر حتى سنة 1016هـ/1607م، ذهب من ويلاته خلق كثير ومن مختلف الفئات الاجتماعية بما في ذلك السلطان أحمد المنصور في سنة 1603م[3].

ومما أسهم في تعميق الأزمة تعاقب مجموعة من الكوارث الطبيعية دفعت القبائل إلى اللجوء من جديد للزوايا التي تضاعف نفوذها. في نفس الوقت وكنتيجة لضعف السلطة المركزية تدهور الاقتصاد المغربي، وزاد من حدة ذلك التحولاتٌ الجهوية والدولية التي أدت إلى فقدان المغرب لجزء من موارده الاقتصادية الرئيسية، فتدهورت صادرات السكر بعد اكتشاف مراكز جديدة لإنتاجه في أمريكا اللاتينية، وتراجعت كمية الذهب الواردة من السودان بفعل التحول الذي شهدته التجارة الصحراوية لفائدة الأوربيين والأتراك بعد أن تزايدت المنافسات الأوربية حول تجارة السودان، وظهور ممالك إفريقية تحكمت في تصديره[4].

واستفاد الأتراك أيضا من ضعف الحكم السعدي في الجنوب المغربي فحولوا القوافل التجارية نحو الشرق، فانهارت مداخل المخزن المغربي، وتدهور الإقتصاد القروي، وتضررت الحرف والصناعات في المدن، وقلّ الرواج الداخلي فتعمقت أزمة البلاد، وتصعدت وحدته وتنافست الإمارات المتعددة المصالح، ونمت حركة الزوايا من جديد، واستهدف أصحابها إقامة كيانات سياسية مستقلة عن السلطة المركزية، ولذلك تقاسمت النفوذ في البلاد إمارات مختلفة نذكر منها:
إمارة ابن أبي المحلي، إمارة يحيى الحاحي، الحركة العياشي، الزاوية الدلائية، الزاوية السملالية، وأخيرا الحركة العلوية.

د- الزوايا الدينية ودورها في الحراك السياسي:

---

(2) الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص68.
(3) عمار بن خروف: ملامح من الحياة الإقتصادية في المغرب في عهد السعديين، في مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، ع3، الجزائر1987، ص67.
(4) محمود علي عامر ومحمد خير فارس: تاريخ المغرب العربي الحديث، منشورات دار دمشق، دمشق، سوريا1999، ص70.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

عرف المغرب ظهور الحركات الصوفية، والزوايا الدينية التي كان لها بالغ الأثر عل ى أوضاع المغرب وحراكه السياسي، فتعددت الأربطة والزّوايا وانتشر تعظيم الصلحاء وازداد عددهم في المدن والبوادي، وقوي نفوذهم في نفوس العامّة وخشيت من سطوتهم السّلطة الحاكمة، فراحت تكسب ودّهم وتتقرب منهم، وتأخذ منهم الشّرعية والبركة، وتدخّلوا في القضايا السّياسية عن طريق مراقبة السّلطة، وتوجيهها أ و تعويضها أحيانا في حالة عجزها، وحلّ بعض المشاكل الاجتماعية، بتسوية الخلافات بين الأشخاص أو بينهم وبين المخزن، أو طلب التوسّل لهم في استنزال المطر [1].وقد ذكر الوزان أنّ في منطقة جبل "بني مسكنّة" ما نصّه:"... أنّه يوجد من بينهم عدد من علماء الشّريعة الإسلامية، لهم طلاّب كثيرون يلحقون أكبر الضّرر بهذ هالجبال لا سيما في الأماكن التي يستقبلون فيها بالتّرحاب، ولا تفرض عليهم ضرائب ثقيلة، لأنهم ينفقون على الفقهاء والطّلبة... "[2].

1- الزاوية العياشية :

تأسست الزاوية العياشية في سفح جبل العياشي على ضفة أحد روافد وادي زير على يد الشيخ محمد بن أبي بكر العياشي [3]عام 1044هـ/34-1635م بطلب من شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي؛ الذي أشار عليه باتخاذ زاوية لإطعام الطعام واستقبال الغرباء والوافدين عليه من الطلبة والمريدين وتلقينهم الأوراد الشاذلية [1]، وقد قصد الزاوية العياشية عدد من الوافدين حتى ضاق مسجدها بالمصلين خصوصا يوم الجمعة فتم توسيعه وجدد بناؤه في عام 1066هـ/55-1656م.

ولما توفي الشيخ محمد بن أبي بكر العياشي تصدى لمشيخة الزاوية العياشية ابنه أبي سا لم العياشي، فبذل جهده في سبيل نشر العلم وهداية الناس، فأصبحت الزاوية محجا دينيا وعلميا لعدد من طلاب العلم والمعرفة، ولما توفي أبو سا لم العياشي 1090هـ/1679م آلت أمور الزاوية إلى ابنه حمزة بن أبي سا لم، وقد عرفت الزاوية على عهده توسعا وشهرة نتيجة للعناية التي حضيت بها من طرف شيخها حمزة الذي اهتم بالجانب العلمي، وأنفق كل ثروته من أجل اقتناء الكتب واستنساخها، غير

---

(1) أبو عبد الله محمد بن عيشون الشراط: الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق زهراء النظام، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب 1997، ص ص26 -27.

(2) الحسن بن محمد الوزان: المصدر السابق، ج1، ص339.

(3) محمد بن أبي بكر العياشي التمكروتي أحد صلحاء درعة وهو مؤسس زاوية تمكروت الناصرية، أسسها في النصف الثاني من القرن (10هـ/16م)، فاشتغل بتربية المريدين، وتلقينهم الأوراد توفي حوالي سنة 1010هـ/1602م. انظر: محمد القبلي: المرجع السابق، ص77.

(1) مجموعة من الأدعية يداوم عليها مريدي الطريقة الصوفية الشاذلية. للمزيد من التفاصيل انظر إسماعيل العربي: معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، ط1، دار الأفاق، المغرب1993، ص113.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

أن هذه الزاوية سرعان ما تعرضت لهجمات "المولى الرشيد" في إطار الحملات التي قادها في مواجهة الزوايا غداة سيطرته على البلاد فاستولى عليها وعزل أهلها حيث نزحوا إلى فاس لكنه صعب عليهم العيش داخل المدينة، فظلوا ينشدون العودة إلى ديارهم، وقد تم لهم ذلك في عهد السلطان المولى إسماعيل[2].

2- الزاوية الناصرية

تأسست الزاوية الناصرية على يد الشيخ أبي حفص عمر بن أحمد الأنصاري عام 1576/938م بمنطقة تامكروت على ضفاف وادي درعة جنوب الأطلس الكبير، وقد واصلت الزاوية نشاطها الديني في عهد حفيده أحمد بن إبراهيم الأنصاري[3] مع شيخه عبد الله بن حسين الرقي[4]، وإلى هذا التاريخ يعود استقرار أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي[5] بزاوية تامكروت عام 1040هـ/30-1631م؛ حيث تتلمذ على يد شيخها، وأخذ عنه الطريقة الشاذلية حتى غدا من أكفئ أطرها العلمية فقصده الطلاب من جهات مختلفة لحضور مجالسه العلمية، وبعد وفاة الشيخ عبد الله بن الحسين(1045هـ/35-1636م) خلفه في مشيخة الزاوية تلميذه أحمد الأنصاري إلا أنه لن يستقر طويلا في هذا المنصب إذ سرعان ما تم اغتياله بيد أحد زعماء درعه سنة 1052هـ/1642م.

وقد كانت الزاوية الناصرية قبلة لعدد من العلماء، فتطور أمرها وكثر أتباعها حتى أصبحت معلمة من معالم العلم والهداية في مغرب النصف الأول من القرن 11هـ/17م[1].

هـ- العلويون من الإمارة إلى الدولة:

---

(2) عبد اللطيف الشاذلي: الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م، مطبعة النجاح، الدار البيضاء. المغرب، ص13.

(3) أحمد بن إبراهيم الأنصاري آلت إليه أمور الزاوية الناصرية بعد وفاة شيخه عبد الله بن الحسين الرقي كان يلقن فيها أوراد الشاذلية ، لكنه سرعان ما اغتيل سنة 1052هـ/1642م. انظر: محمد كرامي: قيام الدولة العلوية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب1986، ص94.

(4) عبد الله بن حسين الرقي توفي حوالي 1045هـ/35-1636م من أكبر صلحاء درعة، أخذ عن عدد كبير من شيوخ التصوف كالشيخ أحمد بن علي الحاحي الدرعي المتوفي عام 998هـ/73-1574م) ، وقد اهتم الشيخ عبد الله بن حسن بتلقين الأوراد الشاذلية للمريدين الذين يفيدون على الزاوية الناصرية. انظر: نفسه.

(5) أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي تنسب إليه الطريق الناصرية، وهو مؤسسها، درس في البداية بكل من درعة وتافيلالت ثم رحل عن زاويته لطلب العلم فاستقر به المطاف بزاوية تمكروت عام 1040هـ/1630م، فأخذ عن شيخها عبد الله الرقي عهد الشاذلية، بعد وفاة أحمد بن إبراهيم الأنصاري آلت إليه أمور زاوية تامكروت فانتدب نفسه للاهتمام بشؤونها فعرفت في عهده تطورا، وشهرة تجاوزت حدود البلاد إلى المشرق العربي، توفي حوالي 1085هـ/74-1675م. أنظر: نفسه.

(1) محمد المنوني: دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتامكروت، مطبوعات وزارة الأوقاف، المغرب1985م، ص5.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

1- ظروف نشأة الدولة العلوية: في ظل ظروف الأزمة التي عاشها المغرب بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي سنة 1603م، ظهرت قوى جديدة دخلت في صراع فيما بينها لإقرار سلطتها على مجموع التراب المغربي، ومن بين هذه القوى الحركة العلوية، التي ظهرت بالجنوب الشرقي للمغرب واستطاعت أن تفرض وجودها على المستوى السياسي، وأن تعوض السعديين في السلطة، في هذه الظروف بدأت نشأة الحركة العلوية، "والواقع أن هذه الحركة لم تظهر بدافع الجهاد أو الدفاع عن التراب الوطني، مثلما حدث مع السعديين، لكن هدفها كان اقتصاديا بمعنى الدفاع عن الطرق التجارية ولحماية مصالحها التجارية داخل القصور، التي كانت تتخذ ضد أي خطر خارجي لكن هذا الدافع الاقتصادي سيتحول إلى دافع سياسي، مستغلة بذلك الفراغ السياسي، وعدم وجود قوة مركزية قوية تعمل على فرض الأمن"[2].

"...فسنة 1636م هي السنة التي بويع فيها المولى علي بن الشريف [3] هذه البيعة ستكون منطلقا لمجموعة من التحولات الاقتصادية والاجتماعية ستعرفها منطقة تافيلالت، وأمام صعوبة البيئة الصحراوية، وقلة الإنتاج الفلاحي، وضغط الرحل، وكذا للأهمية التجارية للمنطقة ارتبط سكان الواحة بعقود التحالف حفاظا على التوازنات المحلية، التي سهر على حمايتها الأشراف والمرابطون"[4].

وقد حظي الأشراف العلويون بتافيلالت بمكانة متميزة منذ دخول جدهم الحسن بن قاسم المنطقة في القرن7هـ/13م قادما من ينبع الحجاز، وقد تمتعوا بسمعة وهيبة كبيرة تجاوزت حدود المنطقة لتشمل المغرب كله حتى الأندلس، وبمرور الزمن تمكن العلويون من بناء أنفسهم، واشتّد أمرهم خاصة بعد ضعف السعديين[1].

تميزت الفترة السابقة لاعتلاء العلويين الحكم بالمغرب بالرغبة الشديدة في رد الاعتبار إلى الأشراف الذي آل المرينيون على أنفسهم القيام به لإصلاح أخطاء الزناتيين الذين اضطهدوا

---

(2) عبد الله العمراني: مولاي إسماعيل بن الشريف حياته، سياسته، مآثره، تطوان، المغرب1978، ص 99.
(3) محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص78.
(4) سعيد بنسعيد العلوي: أوروبا في مرآة الرحلة صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع 23- 33، الرباط، 1995، ص 26.
(1) عبد الكريم كريّم: المغرب في عهد الدولة السعديّة، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب1978، ص331.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الأدارسة، فكان قدوم الحسن الداخل من الحجاز إلى المغرب خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م، وخاصة أهل سجلماسة الذين ناصروا أسرة الأشراف العلويين[2].

كان المغرب الأقصى في هذه الفترة مقسما بين الدلائيين الذين سيطروا على مدينة فاس، وأبو حسون السملالي الذي تمركز بإقليم السوس، والأطلس الكبير، والخضر غيلان الذي سيطر على منطقة الشمال، أما السعديون، والشبانات فكانوا في مراكش وضواحيها[3].

2- العلويون يسيطرون على إليغ:

لما توفي أبو حسون السملالي 1070هـ خلفه في شؤون منطقة سوس ابنه محمد إلا أن هذا الأخير لم يكن في مستوى وحنكة والده، كما أن الظروف السياسية كانت تسير في اتجاه معاكس لطموحات السملاليين، وهكذا فقد أسفرت سنة 1081هـ عن دخول المولى الرشيد تارودانت ليواصل فتوحاته بالقطر السوسي إلى أن سقطت عاصمته إيليغ، وهكذا صفا للسلطان العلوي أمر سوس.

وفي سنة 1082هـ قاد حملة جهادية ضد المحتلين لطنجة وتمكن من القضاء على جل الثورات التي ظهرت بسوس، "وهكذا تمهدت له الأمور لقيام دولة ناشئة [4]. "كان وفاة الرشيد في عيد الأضحى من سنة 1082هـ، وقيل في سبب وفاته أن فرسه جمع به ببستان الممرة فأصابه غصن شجرة في رأسه فهلك منه"[5].

و- عهد المولى إسماعيل بن الشريف (1082-1139هـ/1672-1727م):

1- التعريف به:

"وهو السلطان المولى اسماعيل الذي ولد سنة 1646م، وارتقى عرش المغرب الأقصى سنة 1672م بعد أخيه الرشيد"[1].

استطاع السلطان مولاي إسماعيل إعادة توحيد المغرب كما نجح في بناء سلطان مطلق في البلاد وقد جاءت الوحدة الترابية على حساب دويلات الزوايا، التي اقتسمت النفوذ الأكبر في البلاد في أعقاب

---

(2) نفسه.

(3) محمد حمام: قراءة في كتاب السفر إلى تافيلالت، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، (أعمال الدورة السابعة)، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، المغرب 1997، ص141-151.

(4)) محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص79.

(5) خالد الناصري: المرجع السابق، ج 7، ص39.

(1) جلال يحي: المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1983م، ص36.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

انهيار دولة الشرفاء السعديين، كما جاء بناء السلطان المطلق على أنقاض نفوذ الزعامات المحلية والجهوية، ولا سيما منها أرباب الربط والزوايا[2].

ولعل الفترة التي حكم فيها المولى إسماعيل تعتبر فترة بناء وتحصين لهذه الدولة حديثة التكوين، فالمولى إسماعيل تولى أمور الحكم بعد وفاة أخيه المولى الرشيد سنة 1082هـ/1672م فكان قوي العزيمة صلبا، واجه الثورات الداخلية من أجل بناء قواعد قوية لدولته[3].

لقد أضعف المولى إسماعيل من نفوذ الزوايا وحدد لها مهامها الدينية، فهادن بعض الزوايا (الناصرية) وخلق البعض منها (الدرقاوية والوزانية) ، وتعصب لأخرى (أحنصال وتاسفت)، إلا أنه سوف يعمل بكل طاقاته على نشر ألوية الطمأنينة في ربوع المغرب فمجده بعض الشعراء قائلا:

وأطلت أيـــــام السرور فلم يصب من قال أيام السرور قصار

وجبرت من جرح الذمات فكذبت أقوالهم جرح الزمان جبـــار[4]

ووصفه شاعر آخر فقال:

مولاي إسماعيل يا شمس الورى يامن جميع الكائنات فدى لـــــه

ما أنت إلا سيف حتى منتضى الله من دون البريـــة سنـــــــــهُ[5]

يذكر لنا المؤرخ محمد الضعيف الرباطي فيما يخص الصفات الشخصية للمولى اسماعيل مايلي: " السلطان المؤيد المنصور الملك المظفر المشهور الكيل، ملوك الزمان الملك المجاهد القاطع، أنّ الشريف الجليل المنيف الأصيل، أمير المؤمنين أبو النصر المولى إسماعيل بن المولى الشريف، الذي شرفت سجلماسة بمكانه، وديارة بل وجميع المغرب بجهاته وأقطاره. به رسوم الدين بعد دروسه، وأضحك الذقان بعد طول عبوسه، وأخمد به الفتن بعد تأجج نارها وأحيى به المعالي بعد الأخذ بثأره، وبسط الله له اليد على رعيته فعلى أقدارها، ولاحت في آفاق الدنيا شموسه وأقماره وتكاملت في الحسن أنحاء المغرب وأغواره، وشمخ منه

---

(2) عبد الله العمراني: المرجع السابق، ص101.

(3) محمد بن الطيب القادري: التقاط الدرر ومستقاة المواعظ والعمر من أخبارأعيان القرن الحادي والثاني عشر، في مجلة دعوة الحق، ع16، ص43.

(4) نفسه.

(5) نفسه.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

ملكه فدار بالنصر والتمكين فلكه فانتعش به كل الأرامل واليتامى ورسمت الدين في الأئمة والأعلام، وأولاه الزمان زمامه وأكمل السعد واليمن صرامة..."[1].

أما عن صفاته الشخصية فكان: "أذمر اللون، أكحل العينين، أجعد الشعر، معتدل القد، ليس بالطويل، أشيب كأن لحيته من بياضها قطع ثلج، سميح الوجه، كريم اللقاء، حسن العفو، حكيما، متواضعا، ورفعا للعلماء، أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طول أيامه، فصيح اللسان، ذاكرا للتواريخ، نافذ الرأي، ذو حزم وسياسة وشجاعة، واسترجع من أيدي الروم المهدية، طنجة، العرائش، وبقي محاصرا لهم، ومضيقا عليهم طول أيامه إلى أن توفي رحمه الله"[2].

2- منجزاته:

يعتبر المولى إسماعيل أحد الرجال العظماء في التاريخ المغربي، ولعل من اهتم به وبأعماله وإنجازاته الكبيرة هم الغربيون فأساؤوا إليه وشوهوا شخصيته بسبب عزمه وصلابته، على طرد المستعمر الأجنبي سواء الإسبان أو البرتغال، بل حتى الإنجليز. وهؤلاء الذين أثاروا الشبهات حول شخصية المولى إسماعيل هم من الأسرى والتجار، فأتت أوصافهم في التقارير والمذكرات الدبلوماسية[3].

استطاع المولى إسماعيل أن يحرر العديد من المناطق التي كانت تحت السيطرة الأجنبية، كما وجد نفسه أمام تناقضات سياسية، واجتماعية وثقافية عرفها المغرب في نهاية القرن16م، وبداية القرن 17م، خصوصا وأن الحوار السياسي كان منعدما في هذه الفترة التاريخية، "فقد كانت كل المشاكل تحسم بقوة السلاح، لا قوة السلام،..وذلك لحدة الصراع بين شمال المتوسط وجنوبه..."[4].

3- بناء مدينة مكناس(العاصمة الجديدة للمغرب):

لقد بدأ المولى إسماعيل حياته واليا على مكناس في عهد أخيه المولى الرشيد، وبويع كملك دون عهد رسمي، وفي 15ذي الحجة 1082هـ/الموافق لـ13أفريل1672م، وكان عمره حينئذ ستة عشرة عاما. وكان اختياره لمدينة مكناس عاصمة سياسية للمغرب يستجيب لعدد من الظروف التي لها علاقة بالبحث

---

(1) محمد بن عبد السلام الرباطي: تاريخ الضعيف الرباطي، تحقيق محمد البوزيدي، ط 2، دار الثقافة المغربية، الدار البيضاء، المغرب2007، ص99.

(2) نفسه.

(3) محمد بن الطيب القادري: المقال السابق، ص44.

(4) Chantal de laveronne: les relations entre le Maroc et la Turquie du 16 siecle au début du 17 siecle (1554-1616), in R.O.M.M ,N1, 1973, P399.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

عن وسائل عمل الدولة الجديدة، وكذلك لموقع المدينة الاستراتيجي بين الشمال والجنوب، فأتم بناء المدينة، وأصبحت عاصمة لملكه[1].

ومما تقدم يمكن القول:

- إن أوضاع المغرب الأقصى من وفاة أحمد المنصور الذهبي سنة (1012هـ/1603م) إلى سقوط الدولة السعدية كان نتيجة الافتتان على السلطة بين أبنائه وهم زيدان، ومحمد الشيخ، وأبو فارس، وآل النقسيس. فدخل في حالة من الضعف والتفكك، وآل به الأمر إلى سقوط الدولة السعدية. فالمغرب الذي وحّده محمد الشيخ السعدي في أواسط القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، وعرف فترة ذهبية في عهد أحمد المنصور، مال من جديد إلى التجزؤ، والانقسام في عهد أحفاده.

- ويلاحظ أن معظم أبناء المنصور، وهم يتنازعون أمر الحكم؛ راحوا يتزلفون إلى قادة الإسبان، مستعدين لتلبية مطالبهم، طمعا فيما يتلقونه من معونات وتأييد بعضهم على بعض[2] فعادت القوى الدينية والقبلية إلى نشاطها على نطاق واسع، وتفككت أواصر الدولة فلم يتجاوز سلطان الوليد مراكش وأعمالها، في حين عصفت الفتن في فاس وبقية المغرب، وبقي السعديون في مراكش إلى أن انقرضت دولتهم عام 1069هـ/1659م، بمقتل أحمد بن محمد الشيخ بن زيدان واستيلاء أخواله آل الشبانات على الأمر إلى سنة 1079هـ/1668م، حين دخلها مولاي الرشيد بن محمد الشريف السجلماسي.

- قبل أن يتمكن أبناء الشريف بن علي من القضاء على كل الإمارات التي أنشأتها تلك القوى على حساب دولة السعديين بعد أن أنهكتها الفتن الداخلية؛ بحيث لم تعد تقوى على محاربتها، بل انهارت أمامها نهائيا في سنة 1659م، وبذلك دخل المغرب في طور جديد هو طور الدولة العلوية.

---

(1) أبو القاسم الزياني: الترجمان المعرب في دول المشرق والمغرب، باريس، فرنسا1886م، ص15.
(2) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ص191.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

المبحث الثاني:

الوضع السياسي لفرنسا خلال القرن 11هـ/17م:

عرفت فرنسا خلال القرن 11هـ/17م، أحداثا هامة على الصعيد السياسي، نوجز أبرز ملامحها في مايلي:

أ- انتقال الحكم من عهد هنري الرابع إلى لويس الثالث عشر997-1018هـ/1589-1610م.

ب- فرنسا في عهد لويس الثالث عشر27 سبتمبر1601م- 14 ماي 1643م.

ج- ريشيليو ومركزية السلطة 1033-1051هـ/1624-1642م.

د- مزران كوزير أول 1051-1071هـ/1642-1661م.

هـ- حرب الفروند 1057-1063هـ/1648-1653م.

و- عصر لويس الرابع عشر 1071-1126هـ/1661-1715م.

أ- انتقال الحكم من هنري الرابع إلى لويس الثالث عشر(1589-1610م):

تولي هنري الرابع العرش الفرنسي انتقل الحكم من أسرة **فالوا** إلى أسرة **البوربون**. وتركز اهتمام هنري الرابع في المقام الأول على إنهاء النزاع المسلح بين البروتستنت والكاثوليك. لذا دعا إلى سياسة التسامح، وشرع في إجراء محادثات مع زعماء البروتستانت بشأن قبول تسوية تضمن لهم حرية العبادة[1]. وهكذا صدر في سنة 997هـ/1589م، مرسوم يعد بمثابة معاهدة بين العرش، والبروتستانت في فرنسا. وعندما اغتال كاثوليكي متعصب في: صفر 1019هـ/ماي1610م، **هنري الرابع** آل العرش لوريثه في الحكم **لويس الثالث عشر** (1610-1643)[2]، وآلت الوصاية إلى أمه **ماري دي مديتشي (Marie de Medici)** الإيطالية الأصل، ومرّت فرنسا بفترة حرجة (1610-1624م)، عادت خلالها البلاد ضحية الصراعات الداخلية بين النبلاء والعرش، وانفردت الملكة الأم الوصية بإدارة

---

(1) أحمد ميلاد المقرحي: تاريخ أوروبا الحديث 1453-1848م، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي 1996، ص183.

(2) لويس الثالث عشر: هو أكبر أبناء هنري الرابع ملك فرنسا (1589-1610م)، وماري ميديشي. ولأنه أكبر أبناء الملك أصبح هو خليفة عرش فرنسا. طالب لويس الثالث عشر بالعرش في سنة 1610م، في سن الثامنة والنصف، وذلك بعد اغتيال والده. تصرفت أمه كوصية على العرش إلى أن بلغ لويس الثالث عشر سن الثالثة عشرة، ولكن نظرا لقوتها وتحكها في العرش فهو قد استلم السلطة فعليا وبدأ التحكم في الحكومة عندما بلغ سن الخامسة عشر، عبقرية ونشاط الكاردينال ريتشليو لعبت دور أساسي في حكم لويس الثالث عشر من 1624م، وأدت إلى تشكل مصير فرنسا خلال 18 سنة التي تلت الحكم. وكنتيجة لعمل ريتشليو، أصبح لويس الثالث عشر واحد من الأمثلة المتعددة على الملك المطلق. انظر: نور الدين حاطوم: تاريخ القرن السابع عشر في أوربه دار الفكر، دمشق 1986، ص36.

This document was created using SmartPDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

شؤون البلاد، وقد انتهجت سياسة خارجية جديد ة تكاد تكون مخالفة تماما لسياسة زوجها الملك السابق. فتقربت من إسبانيا وتعاونت معها، وأحاطت نفسها بزمرة من المستشارين، والمتعاونين الإيطاليين[1].

أدت هذه السياسة إلى استياء كبار الملاك، والنبلاء الذين أرادوا استعادة ما كان لهم من امتيازات ونفوذ. ووجد النبلاء في عجز الحكومة المركزية وفسادها، الفرصة لاسترداد سيادتهم الإقطاعية القديمة. لقد أدت هذه السياسة إلى اضطراب كبير في أحوال فرنسا الداخلية؛ من ظهور نزعات معارضة للحكم على مختلف المستويات، وقد تنبه الملك الصغير **لويس الثالث عشر** إلى تردي الأوضاع في البلاد، وإلى نقمة الفرنسيين عامة على تزايد نفوذ مستشاري الملكة الوصية من الإيطاليين، وكذلك إلى الاتجاهات الإنفصالية عند البروتستنت[2].

وفي سنة 1614م، دعا مجلس طبقات الأمة(البرلمان) للنظر في شؤون البلاد، وخاصة الأمور المالية، والتأم شمل هذا المجلس في أكتوبر 1614م، وكان مكونا من رجال الدين، والأشراف، والبرجوازية، وكان لكل طبقة مصالحها الخاصة، التي تدافع عنها دون الاهتمام بمصلحة الوطن العامة. وقد أقلق النبلاء الطبقة الثالثة [3]، ومقترحاتها، هذا ما عجل بفشل المجلس على الاتفاق، نتيجة الاختلافات الحادة بين أعضائه، فقرر الملك حله في مارس 1615م، وكان هذا آخر اجتماع لمجلس الطبقات عقد قبل الثورة الفرنسية سنة 1789م؛ حينما انهارت الملكية المطلقة، وطبقتا النبلاء، ورجال الدين معا[4].ليبدأ عهد جديد سمي بعهد الكاردينال "ريشيليو" الذي استطاع أن يقبض على زمام الأمور السياسية في فرنسا لمدة ثمانية عشر سنة[5].

---

(1) عبد الحميد البطريق: المرجع السابق، ص162.

(2) أحمد ميلاد المقرحي: المرجع السابق، ص184.

(3) هي كتلة شعبية ممثلة من المحامين، ومعبرة عن قوة الطبقة الوسطى من عامة الشعب، ورغباتها، أنظر: نفسه، ص 185.

(4) إن نشأة مجلس طبقات الأمة تبدو غامضة، فقد بدأت في العصور الوسطى، وكان يتكون من أشخاص يدعون لتقديم المساعدة، والنصح للملك. وكان هذا المجلس عبارة عن جمعية تمثل الطبقات الثلاث، التي يتكون منها المجتمع الفرنسي: رجال الدين، والأشراف، وطبقة العامة، التي تتكون أساسا من أفراد الطبقة الوسطى من سكان المدن الفرنسية، وقد أخفق هذا المجلس في الحد من نمو السلطة الملكية المطلقة في فرنسا، انظر: ويل ديورانت: المرجع السابق، ج29، ص239-241.

(5) كمال حسنة : العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث (1789-1807م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2005م، ص30.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message, purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

ب– فرنسا في عهد لويس الثالث عشر(27 سبتمبر1601– 14 ماي 1643):

وفي هذه الفترة عرفت فرنسا مرحلة صعبة وعسيرة، والتي دامت حوالي أربعة عشر سنة [1]، حيث أصبحت البلاد فريسة لأنانية، وشجع فئة من الأشراف، وعصبة من الانتهازيين [2]، وأصبح بلاط "ماري دي مديتشي" (Marie de Medici) [3] في يد حاشية من الإيطاليين بعد وفاة زوجها ، فرغبت في تنفيذ سياستها ألا وهي التحالف مع إسبانيا، حيث إنها عقدت زواجا مزدوجا بين الأسرتين فعقدت زواج ابنها لويس الثالث عشر الذي لم يكن يتجاوز الحادية عشر من عمره على الأميرة النمساوية[4].

وفي الوقت نفس هتم زواج الأميرة إليزابيت شقيقة الملك الفرنسي بالأمير الإسباني فليب، وتمت صفقة المصاهرة سنة 1616م، وهو ما يعرف بالزواج السياسي، وقد وقعت هذه المرأة تحت تأثير وزيرها كونسيني (Concini)؛ والذي أوصلته ماري إلى رتبة "مارشال فرنسا"وقد حاول بعض المتألبين عن أشراف فرنسا الثورة على هذه الأوضاع القائمة[5].

ولما بلغ لويس سن الرشد سنة 1614م، دعا مجلس الأمة [6] النيابي للنظر في شؤون البلاد، وخاصة الجانب المالي، فأراد أن يتخلص من النفوذ الطاغي الذي كان يتمتع به كونسيني رئيس الوزارة،[7] فألقى عليه القبض، وقتله سنة 1617م، وأدى هذا الحادث إلى انزواء الملكة الوالدة عن البلاط الفرنسي [8]. وفي هذا الوقت ظهرت أخطار تهدد الملكة الفرنسية [9]، وأدّت هذه الأخطار

---

(1) صالح حيمر: التحالف الأوروبي ضد الجزائر سنة 1541م، وتأثيراته الإقليمية والدولية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، 2006-2007م، ص 45.
(2) عبد الحميد البطريق: المرجع السابق، ص 162.
(3) لم تكن ماري دي مدتشي سعيدة في زواجها مع هنري الرابع، لأنها كانت تختلف معه في آرائه وفي سياسته التي اتبعها في الحكم، فقد كانت ترى على عكس سياسة زوجها، وهي ضرورة التحالف مع إسبانيا وتنسيق السياسة الفرنسية معها. انظر : عبد الفتاح حسن أبو علية، وإسماعيل ياغي: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص195.
(4) نفسه،.
(5) نفسه:ص 196.
(6) مجلس الأمة: ويتألف من طبقات الأشراف ورجال الدين والطبقة البرجوازية، وكان لكل طبقة مصالحها الخاصة التي تدافع عنها ولا شيء غير ذلك، لم يستطع المجلس أن يتفق مع المبادئ التي يرجى منها إصلاح مالية البلاد، ولما رأى الملك اختلافهم قرر رفضه نهائياً. انظر عبد الحميد البطريق: التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، ص 166.
(7) عبد الحميد البطريق: المرجع السابق، ص 167.
(8) عبد الفتاح حسن أبو علية: المرجع السابق، ص 197.
(9) عبد الحميد البطريق: المرجع السابق.

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

والحوادث إلى عودة الوئام بين الملك وأمه سنة 1620م، كما توسط الكاردينال ريشيليو [1] بينه م ا، ورجعت المياه إلى مجاريها، وعادت ماري إلى القصر الملكي ، ثم حدث خطر جديد على الملكية الفرنسية من قبل جماعة الهيجونوت الذين ثاروا بسبب النزاع القائم بين الملك وأعوانه، وبين الملكة وأعوانها في فترة الخلاف بين الملك وأمه، وزاد خطرهم في حرب الثلاثين سنة التي برهنت على أن الشعور الديني مازال قويا في فرنسا. [2].

وبالرغم من الصمت الظاهري بعد مرسوم نانت سنة 1598م، أخذ الهيجونوت ينفصلون بمدنهم في جنوب فرنسا، وأسسوا حكومات من نوع حكومة جنيف الجمهورية الكالفونية، ثم أنشأوا من هذه المدن حكومات محلية[3].

وبهذا أصبحت لهم دولة داخل دولة، وهو ما دفع بلويس الثالث عشر إلى إعلان حرب عليهم، وقد استمرت هذه إلى سنة 1622م، ولم تنته إلا بصلح مونبيليه بين الملك والهيجونوت وجاء في هذا الصلح:

–عدم السماح للهيجونوت بعقد المجالس المحلية[4].

وقد أطلق على هذه الفترة من حكم لويس الثالث عشر بفترة حكم الوزيرين "كونسيني" وعدوه "لوين" الذي أيد الملك ضد "كونسيني" وأمه ماري دي مديشتي، وبعد وفاة "دي لوين" بالحمى بدأ عهد جديد سمي بعهد الكاردينال "ريشيليو" الذي استطاع أن يقبض على زمام الأمور السياسية في فرنسا لمدة ثمانية عشر سنة[5].

خطط "ريشيليو" لأن تكون فرنسا صاحبة التفوق السياسي في أوروبا، ورأى من أجل أن يتم هذا المشروع أن تدخل فرنسا في حرب ضد إسبانيا والنمسا أي ضد عائلة آل هامسبورغ[6].

وقد نجح نجاحا كبيرا في سياسته الخارجية سواء مع الدول الأوروبية أو مع الدولة العثمانية، ويكون بهذا قد انتهى عهد الملك لويس الثالث عشر(Louis XIII).

---

(1) ريشيليو: هو كاثوليكي لكنه استعان بالبروتستانت، وذلك من أجل تحقيق أهدافه الخارجية. انظر: عبد الحميد البطريق: المرجع السابق، ص165.

(2) نفسه.

(3) عبد الفتاح حسن أبو علية: المرجع السابق، ص198.

(4) كمال حسنة: المرجع السابق، ص30.

(5) عبد الفتاح حسن أبو علية: المرجع السابق، ص ص197، 198.

(6) نفسه، ص ص199، 200.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

ج- ريشليو ومركزية السلطة 1033-1051هـ/1624-1642م:

كانت معارضة النبلاء والأرستقراطية، ما تزال مصدرا للفوضى والمتاعب الداخلية في فرنسا. فهؤلاء كانوا يهدفون إلى المحافظة على ما كان لهم من نفوذ، وامتيازات وراثية منذ زمن العصور الوسطى، وتلك التي حصلوا عليها في عهد **هنري الرابع**. فكان لا بد من وجود رجل يساعد الملك في إدارة شؤون البلاد. فلويس الثالث عشر كان يدرك أنه يفتقر إلى صحة الجسم، وقوة الذهن اللتان تتطلبهما هذه التحديات، "فقد كان يشكو من مرض السل والتهاب الأمعاء" [1]. لذا تولى الوزارة الكاردينال **ريشليو**، وهو في التاسعة والثلاثين[2].

لم يكن ريشليو وزيرا عاديا، وإنما كان صاحب نظرية متكاملة في الحكم، والإدارة، فقد كان إداريا قديرا يعشق مظاهر العظمة، والثياب الفاخرة، فكان بذلك رجلا كبيرا في السياسة، كرس حياته لعظمة بلاده، وحينما كان يحتضر ذكر أنه قال:"ليس لي من أعداء سوى أعداء فرنسا"[3].

وآمن ريشليو بأن أول واجباته هو تحقيق قوة وعظمة فرنسا، وجعل الملكية الفرنسية قوة مطلقة في الداخل، ومهيمنة في الخارج، وإذا كان القرن 10هـ/16م هو عصر إسبانيا، فإن القرن 11هـ/17م هو عصر التفوق الفرنسي[4].

ومن أجل الوصول إلى هذه الأهداف اعتقد ريشليو أن مركزية السلطة أمر ضروري لتحقيق وحدة فرنسا وعظمتها. ومن ثم رأى أن ما كان يتمتع به النبلاء، والأرستقراطيون من نفوذ، وامتيازات وراثية؛ يعد من المعوقات في طريق تحقيق وحدة البلاد، وقوة الحكم، والدولة [5].

لهذا قرر محاربتهم، والحد من نفوذهم، وقد نجح في ذلك لإيمانه الشديد بفكرة الملكية المطلقة، وتأييد الملك، كما اعتقد ريشليو أن ما بقي للبروتستانت من قوة عسكرية يعد عقبة في طريق إقامة الملكية

---

(1) المرجع السابق، ص ص 239-241.

(2) عين ريشليو كاردينالا في سنة 1622م، وبقي الحاكم الفعلي لفرنسا حتى 4 ديسمبر 1642م، وهو الرجل الجبار الذي هزم الرجعية الإقطاعية، وأحال الفوضى نظاما، وهدأ ثورة البروتستانت الفرنسيين، وأخضع الكنيسة للدولة، ورفع الملكية الفرنسية إلى سلطانها المطلق في فرنسا، والى أسمى مرتبة في أوربا. ووافق ميكيافلي على أن أخلاق المسيح لا يمكن إتباعها بأمانة في حكم الأمة و صيانتها، فهو يرى أنه لا بقاء للدولة بغير فضيلة الصرامة. انظر: نفسه، ص223.

(3) نفسه، ص224.

(4) حول موضوع عصر التفوق الفرنسي خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي يراجع:

-Villain Gandossi : France à la Renaissance, sources et champs de recherche, Paris, 2001, p 39-40.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message, purchase the product at www.Smart-PDFCreator.com

المطلقة، فمرسوم نانت (Editde Nontes) الذي أصدره هنري الرابع في شهر أفريل 1598م[1]؛ وقد منح للبروتستانت استقلالا سياسيا، وعسكريا معينا، لذا قرر ريشليو محاصرة مركزهم في لاروشيل، ومونتوبان[2] في سنة 1036هـ/1627م.

إن أكبر مشكل واجهته فرنسا كان مشكل الهيجونوت(Hugenots). فلم يضع مرسوم نانت حدا للخلافات المذهبية، وأصبحت حكومة لويس الثالث عشر في صراع مع هذه الطائفة.

لقد نجح ريشليو في تنفيذ الخطة التي وضعها لتحقيق التفوق السياسي لفرنسا في أوربا، ورفع من شأن التاج الفرنسي في الداخل، والخارج، لنقل السلطة كلها إلى الملك، وبذلك خلص الملكية من القيود التي كبّلتها قرونا عديدة، فأصبحت فرنسا مطلقة السلطة.

مات ريشليو، ومن بعده بشهور قليلة لويس الثالث عشر في سنة 1052هـ/1643م، تاركا العرش لابنه الصغير لويس الرابع عشر ، الذي كان طفلا في الخامسة من عمره، وتولت الوصاية عليه أمه آن النمساوية، أما عن منصب رئاسة الوزراء فانتقل إلى الكاردينال **مزران** (Mazarin)؛ الذي تدرب على شؤون الحكم في رعاية سلفه ريشليو، وتبنى سياسته، وخططه، مسترشدا بالمبادئ التي وضعها[3] لتأييد سلطة الملكية المطلقة، وإحراز التفوق الدولي في الخارج[4].

د– مزران كوزير أول:

جول مزران إيطالي الأصل فرنسي الجنسية، استطاع شق طريقه حتى وصل لمنصب رئيس الوزراء للويس الرابع عشر ، ساعده في ذلك ذكاءه المتوقّد ، وشخصيته الطموحة وموهبته السياسية الفذّة رجل بهذه العبقرية ، وهذا الذكاء لابد أن تكون آراؤه السياسية ، وسلوكه الواقعي في حياته

---

(1) La dimension religieuse dans les relations internationales en Europe au XVIIe siècle (1721-1618) In :Histoire économie et société10 ,1991 .e année ,n3, °pp.398-379 .

(2) مدينتا لاروشيل، ومونتوبان تقعان غرب العاصمة باريس بما يقرب من 550 كيلو مترا. أنظر: نور الدين حاطوم: المرجع السابق، ص37.

(3) نلخص هذه المبادئ في النقاط التالية:

- أنه أرغم النبلاء على الخضوع التام للملكية في فرنسا.

- قام بالقضاء على الأعمال الانفصالية التي يقوم بها الهيجونوت في فرنسا.

- عاد إلى سياسة هنري الرابع المعادية لإسبانيا الكاثوليكية، وذلك من أجل رفع كيان فرنسا في الداخل والخارج.

- تقوية سلطة الملكية على أساس أن يصل إلى السلطة المطلقة.

- إحراز تفوق سياسي لفرنسا في أوروبا. أنظر: عبد الحميد البطريق: المرجع السابق، ص 163.

(4) نفسه، ص189.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الخاصة، والعامة محل اعتبار وتقدير، لأنها نبعت من تجربة عملية ، ووصلت بصاحبها إلى أقصى غايات المجد والشهرة[1].

فبعد موت **ريشيليو** في سنة 1052هـ/1642م، آلت رئاسة الوزراء إلى الكاردينال جول مزران[2].(Jules Mazarin)، الذي كان يسمى في ايطاليا: جوليو مازاريني . وفي سنة 1053هـ/ 1643م مات لويس الثالث عشر، تاركا العرش لابنه الصغير القاصر لويس الرابع عشر (1643-1715م)، وتسلمت أمه آن (Anne) النمساوية الأصل الوصاية على العرش، وتعاونت مع مزران إلى أبعد الحدود[3].

رأت وصية العرش أن تضع كل ثقتها في مزران، وأيدت سياسته تأييدا كاملا. فكان عليه أن يتم العمل الذي بدأه سلفه ريشيليو، وبالرغم من الاختلاف الواضح بينهم في أساليب الإدارة، والحكم، فإنهما كانا متفقين على ضرورة، وأهمية تقوية الحكم الملكي، ومد نفوذ الدولة الفرنسية إلى الخارج، وقد دعم مزران مركزه بالانتصارات الكثيرة في الجانب الدبلوماسي والعسكري[4]

هـ– حرب الفروند 1057–1063هـ/ 1648–1653م:

جاءت حرب أو ثورة الفروند **(La fronde)** لثلاثة أسباب هي: استياء بعض الطبقات في المجتمع الفرنسي من النظام الاستبدادي المطلق، الذي وضع أسسه ريشليو. ولكراهية البلاد لمزران وسياسته، وطموحات النبلاء باستعادة نفوذهم وامتيازاتهم[5]. بدأ برلمان باريس حرب الفروند الأولى (1648–1649م) محاولاً أن يكرر في فرنسا تلك الحركة التي كانت لتوها قد رفعت البرلمان الإنجليزي

---

(1) خميس حسن: جول مزاران دليل السياسي الناجح (وصايا السياسي الفرنسي الداهية جول مزاران للدخول في عالم السياسة والشهرة)، دار الطلائع للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة 2006، ص3. جمع مزاران خلاصة فكره وتجاربه في كتيب صغير في حجمه، قيم في محتواه. نال من الشهرة والذيوع درجت صرفت الناس عن تتبع باقي ما تركه مزاران من مذكرات.
هذا الكتيب أسماه الدليل أو الوصايا، وبسبب الشهرة الواسعة التي أحرزها، حتى في زمن لويس الرابع عشر، كان يعتبر، بحق عصارة ذلك الذهن الوقاد، الذي كان يجسده مزاران في عمله السياسي، وتعكس تجربته الطويلة في الحكم، ومعرفته العميقة بنفسية الحكام والمحكومين. لذا لم يكن ثمة حاجة للتفتيش عن أوراق مازاران الخاصة لمعرفة ما تتضمنها من فلسفة سياسية، طالما أن خلاصة هذه الفلسفة كانت موجودة في هذا الكتيب البسيط، السهل المنال، المسمى "الدليل". انظر نفسه.
(2) جول مزران Jules Mazarin (1602-1661) كردينال فرنسي، وكبير وزراء الملك لويس الرابع عشر، وهو إيطالي الأصل. انظر: أحمد ميلاد المقرحي: المرجع السابق، ص189.
(3) نفسه.
(4) نفسه، ص190.
(5) Louis clair: Histoire de la fronde,T1, paris, france1827, p140-166.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.smart-pdfcreator.com

فوق الملك مصدراً للقانون وحكماً فيه. وكان برلمان باريس، بعد الملك، المحكمة العليا لفرنسا، وقد قضت التقاليد ألا يقبل الشعب قانوناً أو ضريبة إلا إذا سجل هؤلاء الموظفون القضائيون (وكلهم تقريباً محامون) القانون أو الضريبة[1].

كان ريشليو قد اختزل هذه السلطات أو تجاهلها، فصمم البرلمان الآن على تأكيدها، وأحس أنه قد آن الأوان لجعل الملكية الفرنسية ملكية دستورية، خاضعة للإرادة القومية يعبر عنها مجلس نيابي، ولكن برلمانات فرنسا الاثني عشر لم تكن مجالس تشريعية انتخبتها الأمة كما كان الحال في برلمان إنجلترا، بل هيئات قضائية وإدارية ورث أعضاؤها مقاعدهم أو وظائفهم القضائية عن آبائهم، أو عينهم الملك فيها[2].

ولو أن حرب الفروند الأولى كتب لها الفوز لعاد الحكم في فرنسا إلى أرستقراطية من المحامين. وكان في الإمكان تطوير مجلس طبقات الأمة، المؤلف من مندوبين عن الطبقات الثلاث–النبلاء ورجال الدين، وباقي الشعب–إلى مجلس نيابي يكبح جماح الملكية، ولكن مجلس الطبقات لم يكن يملك دعوته للانعقاد إلا الملك، ولم يدعه أي ملك من 1614م حتى 1789م، ومن هنا اندلاع الثورة الفرنسية[3].

و– عصر لويس الرابع عشر1071–1126هـ/1661–1715م:

1– توليه الحكم:

تولى لويس الرابع عشر [4] شؤون الحكم في فرنسا بنفسه، في 9 مارس 1661م، فبعد موت مزران قرر أن ينفرد بالسلطة، ولا يترك المجال لوزير، أو غيره من رجال الدولة لتوجيه شؤون البلاد مستقلا عن الملك. فأقبل عليه رؤساء الإدارات يسألونه: إلى من يأتون ليتلقوا التعليمات؟ فأجاب ببساطة: إليّ، وقد عبّر عن سياسته هذه بقوله: (L'état c'est moi)، بمعنى: "الدولة أنا"[5].

---

(1) Louis clair: Op.Cite.

(2) Ibid.

(3) محمد مظفر الأدهمي التاريخ الأوروبي الحديث، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب1984م، ص29.

(4) Katia Béguin: Louis XIV et l'aristocratie : coup de majesté ou retour à la Tradition, In :Histoire économie et société ,2000 .n°4, p497.

(5) PICCARET(C.G.): La Diplomatie Française au Temps de Louis XIV. 1661–1715, Institutions Mœurs et coutumes, Paris, Can 1930, p 159.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

كانت أوتوقراطية لويس الرابع عشر هي الحقيقة المسيطرة على تاريخ أوربا في هذه الفترة، فمنذ أن انفرد بالسلطة في سنة 1071هـ/1661م، حتى وفاته في سنة 1661هـ/1715م، وأصبح واحدا من أعظم ملوك فرنسا، وهو الذي رفع فرنسا إلى مصاف كبار الأمم. كان لويس يحكم عن طريق وزراء يعينهم، ويفصلهم كما يشاء، دون أن يجرأ أحد على مساءلته، أو انتقاد أفعاله[1].

استفاد لويس الرابع عشر من دروس من سبقه، وخاصة الوزيران ريشليو، ومزران، وكان أول ملك فرنسي جعل من الملكية مهنة جديدة، وفاخرة؛ بحيث لا يمكن لأحد أن يشاركه فيها [2]، واقترنت نظرة لويس للملكية بإحساس صارم بالمسؤولية. وكان يعلم بأنه من الضروري أن يكون جديرا بولاء الفرنسيين، لذا كان يعمل ما لا يقل عن عشر ساعات لتحقيق أكبر مجد لفرنسا[3].

ويبدو أن لويس قد آمن حقيقة بأنه مبعوث العناية الإلهية لحكم فرنسا، وحكمها بسلطان مطلق، وقد أفصح عن مذهبه في الحكم المطلق حينما أراد برلمان باريس سنة 1665م، أن يناقش بعض مراسيمه، فحوّل لويس الرابع عشر وظيفة البرلمان إلى مجلس ملكي خاص، خاضع للملك بشكل دائم[4].

حكم **لويس الرابع عشر** فرنسا مدة أربع وخمسين سنة، عرفت فيها البلاد مرحلة جديدة، ظهرت آثارها واضحة تماما على التاريخ الأوربي السياسي، فسميت هذه الفترة بعصر لويس الرابع عشر(عصر الملكية المطلقة، والتفوق الفرنسي) دون أن ننسى مجهودات الوزيرين ريشليو، ومزران في تحضير الأرضية الجيدة لحكم الملك الشمس[5].

2- النهوض بالبحرية الفرنسية:

إلى غاية مطلع القرن السابع عشر لم تكن البحرية الفرنسية ذات اعتبار يذكر ، فلم يتمكن هنري الرابع من رفع شأنها ، ورغم وصول ريشيليو للحكم والحماس الذي تميز به في عملية النهوض بالبحرية وتطويرها فإنها ظلت ضعيفة، حيث لم يتجاوز عدد بوارجها واحدا وعشرين[6]، لكن ريشليو

---

(1) أحمد ميلاد المقرحي: المرجع السابق، ص196.
(2) هربرت فيشر: أوصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة إلى الثورة الفرنسية، ترجمة زينب عصمت راشد وآخرون، ط3، دار المعارف، مصر1970، ص74.
(3) أحمد ميلاد المقرحي: المرجع السابق، ص197.
(4) ويل ديورانت: المرجع السابق، ص26.
(5) نفسه.
(6) عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 45.

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

استطاع أن يدفع بالبحرية الفرنسية إلى الإمام بعض الشيء؛ إذ أصبح الأسطول الفرنسي قبيل وفاته يتشكل من ثلاثة وستين سفينة واثنتين وعشرين بارجة (Galeres) محكمة التجهيز[1].

وفي عهد لويس الرابع عشر عرفت البحرية الفرنسية تطورا كبيرا ، تمثل أساسا في الإصلاحات التي قام بها كل من الوزير كولبير، الذي عزم على إعادة مجد وشرف المملكة في البحر [2]، ومجهودات مزران في تطوير البحرية من أجل مجابهة البحرية الجزائرية[3].

ورغم مختلف المحاولا ت التي بذلت، ظلت البحرية الفرنسية حتى النصف الثاني من القرن 11هـ/17م ضعيفة وهو ما يتضح من تقرير كولبير المؤر خ في سنة 1664م: "إن قوة الملك البرية لا تضاهيها أية قوة في أوروبا لكن قوته البحرية ضعيفة" [4]، ومع ذلك مثلت فترة حكم لويس الرابع عشر عصر التطور، والنهوض بالبحرية الفرنسية.

3- عصر مجابهة أوروبا:

لقد احتلت طوال عهد لويس الرابع عشر، المكانة الأولى بين الدول الأوربية، وكانت أقوى مملكة ومركز السياسة العامة، وحين كان يذكر خارجها اسم (الملك) فإن ذلك يعني ملك فرنسا دون غيره. فقد أظهر لويس الرابع عشر منذ أول حكمه اهتمامه بألا يتقدم سفير دولة أجنبية سفير فرنسا في أية عاصمة، وحين دعت إنجلترا إلى ضرورة تحية السفن الأجنبية لعلم الإنجليزية، رفض لويس الرابع عشر، وأصر على ضرورة تقديم السفن الإنجليزية التحية للعلم الفرنسي، ثم تقوم سفن فرنسا بالرد على ذلك[5].

كما يمكننا أن نقسم الحروب التي خاضها لويس الرابع عشر إلى سلسلة بدأت دورها الأول من سنة 1667م إلى سنة 1668م ، ثم مرحلة ثانية، وهي الحرب مع هولندا منذ سنة 1675م إلى سنة 1697، وأخيرا حرب الوراثة الإسبانية من سنة 1701م[6].

---

(1) PRECLIN (Ed) :Le XVIIe siècle les monarchies centralisées (1610 -1715) ,Paris 1943 ,P323.

(2) عبد الحميد البطريق: المرجع السابق، ص197.

(3) Preclin: Op.Cit, pp 328 - 329.

(4) Ibid, P334.

(5) Ibid.

(6) جيفري براون: تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة علي المرزوقي، ط 1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2006، ص291 .

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

مرت سياسة لويس الرابع عشر مع أوروبا بمرحلتين متميزتين، يفصل بينهما عام 1688م الذي شهد الثورة في إنجلترا، ولا جدال في أن لويس الرابع عشر قد سيطر على أوروبا، وأعطى توسعات لفرنسا زادت من مساحتها[1]. "وكان عصره هو عصر تفوق فرنسا في أوروبا"[2].

ومما تقدم يمكن القول:

- عرفت فرنسا فترة حروب دينية بين الكاثوليك والبروتستانت، بالإضافة إلى التنافس الشديد بينها وبين إسبانيا، كل هذه الأمور دفعت بفرنسا إلى توطيد علاقاتها الخارجية ضد اسبانيا.

- وقد شهد نظام الحكم في فرنسا عدة تغيرات ، فبعد اغتيال هنري الثالث خلفه هنري الرابع حيث انتقل الحكم من أسر ة فالوا إلى أسرة البوربون ، وقد واجه هذا الأخير صعوبات كثيرة منها كونه بروستانتيا، كما أنه قام بعدّة إصلاحات مست جميع الميادين ، وعرفت فرنسا في عهده فترة من الازدهار والرقي.

- وفي عهد لويس الثالث عشر عادت الأوضاع إلى ما كانت عليه سابقا ، حيث عاشت فرنسا في هذه المرحلة ظروفعصيبة أطلق عليها المؤرخون فترة حكم الوزيرين كونسيني و دي لوين، وبعد وفاة هذا الأخير بدأ عهد جديد يسمى بعهد الكاردينال ريشيل ي الذي استطاع أن يتولى زمام الأمور السياسية لفرنسا مدة ثماني عشر سنة.

- نجح ريشليو في تنفيذ الخطة التي وضعها لتحقيق التفوق السياسي لفرنسا في أوربا، ورفع من شأن التاج الفرنسي في الداخل والخارج، لنقل السلطة كلها إلى الملك، وبذلك خلص الملكية من القيود التي كبّلتها قرونا عديدة، فأصبحت فرنسا مطلقة السلطة.

- وفي عهد لويس الرابع عشر مرت فرنسا بفترة حرجة، عرفت خلالها أزمات خطيرة في مختلف المجالات، خاصة المجال الاقتصادي، فالحروب العديدة التي خاضتها على جبهات مختلفة ؛ تسببت في عجز كبير في خزينة الدولة ، أما على الصعيد السياسي فإن الهزائم البحرية المتكررة التي منيت بها في سنوات 1690-1692م؛ قد أفقدتها هيبتها وهيمنتها ، بل لم يعد بإمكان البحرية الفرنسية مواجهة البحرية الانكليزية والهولاندية.

---

(1) جيفري براون: المرجع السابق، ص292.
(2) محمد فريد بك: المرجع السابق، ص239.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

البعثات الدبلوماسية المغربية نحو البلاط الفرنسي خلال القرن 11هـ/17م:

لقد كانت بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي تكريسا لقطيعة تامة بين شمال المتوسط وجنوبه، وهي قطيعة تولّد عنها كثير من سوء الفهم والمحن، أدت إلى استعمار دول الشمال لدول الجنوب، فظهر معها نشاط القرصنة، وكثر عدد الأسرى ، وتأثرت المبادلات التجارية بين الضفتين[1].

ومع بداية النصف الثاني من القرن نفسه انجلت هذه القطيعة باستقلال دول الجنوب، والتعايش بين شعوب البحر المتوسط، وكذلك الهجرة من الجنوب نحو الشمال التي نتج عنها وجود جاليات إسلامية في أوربا، فكان للمغرب الأقصى السبق في التواجد الدبلوماسي لدى بلاط مملكة آل بربون، التي سعت بكل جهودها للفوز بمكانة تجارية ودبلوماسية في المغرب الأقصى[2].

كانت فرنسا ممثلة في المغرب بصفة دائمة ابتداء من سنة 985هـ/1577م، وذلك من طرف القناصل أو القائمين بالأعمال أو الوزراء المفوضين. أما المغرب الأقصى فلم يكن له ممثلون مقيمون لدى الحكومة الفرنسية. لذا رأى سلاطين المغرب من الأفيد في الكثير من المناسبات إيفاد سفراء أو مندوبين إلى فرنسا لمدة قصيرة ومكلفين بتسوية قضايا خاصة، أو للإعراب فقط للحكومة الفرنسية عن مشاعر السلطات الودية نحوها، وتأكيدها لها، وهذه السفارات والبعثات هي موضوع هذا البحث بالذات.

وقد قسمت دراسة هذه البعثات إلى قسمين: قسم أرسل في العهد السعدي؛ فكان القناصل والتجار الفرنسيون يمثلون سلاطين المغرب لدى ملوك فرنسا، حيث لم نجد ذكرا لبعثة مغربية نحو البلاط الفرنسي إلاّ مع بداية القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، وهي بعثة أحمد بن قاسم الحجري الملقب بأفوقاي، ثم من بعده أحمد الجزولي، ثم بعثة سيدي فارس، أما القسم الثاني أرسل في العهد العلوي فكانت بعثة الحاج محمد تميم الأولى ثم الثانية، وبعثة عبد الله بن عائشة ممثلة لهذا العهد، والتي سأحاول دراستها في الفصل الموالي.

---

(1) Fernand Braudel, Op.Cit, p49.

(2) محمد بن شريفة: صورة تاريخية من التعايش بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط، في مجلة جامعة بن يوسف، العدد 2، مراكش، المغرب2003، ص48.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

المبحث الأول:

محركات العلاقات بين المغرب الأقصى وفرنسا خلال القرن 10هـ/17م:

مرت علاقات المغرب الخارجية بتقلبات عديدة، عكست واقع العلاقات الدولية آنذاك، وواقع ومكانة المخزن الدولية والمحلية. ونتج عن هذه العلاقات توقيع عدة اتفاقيات بين المغرب والدول الأجنبية شكّلت كلها إطارا لامتيازات أجنبية في المغرب، جسدت سلسلة التنازلات التي كان يقدمها المخزن لهذه الدولة أو تلك، في إطار معاهدات الصداقة والتجارة، أو تسوية الخلافات السياسية الناجمة عن الاصطدامات المسلحة، بسبب الأطماع الأجنبية في المغرب.

وقد شكلت فرنسا القطب المهيمن على علاقات المغرب الخارجية في هذه الفترة، فتحكمت في العلاقات بين البلدين أحداث هامة نوجزها فيما يلي:

أ- الجهاد البحري (القرصنة).

ب-الأسرى.

ج-المبادلات التجارية.

أ- الجهاد البحري (القرصنة):

1- طائفة رياس البحر والجهاد البحري (القرصنة): مثلت طائفة رياس البحر الذين يعيشون على الجهاد في البحر، أو القرصنة كما يسميها الغربيون، حيث عرف هؤلاء الرياس على أنهم قراصنة [1]، هنا يجب التوقف عند مصطلح القرصنة بالمفهومين: الإسلامي، والمسيحي.

إنّ الحديث عن الظروف التاريخية، التي أفرزت ظاهرة القرصنة على امتداد سواحل المغرب الإسلامي كشكل من أشكال الدفاع الشعبي تارة، ومظهر من مظاهر الرفض الرسمي للهيمنة الأوربية وتهديداتها في ظل اختلال القوة تارة أخرى، ينبغي أن لا يخفي الوجه الآخر للقرصنة الأوربية المتمثل في نشاط القراصنة الأوربيين[2].

---

(1) كورين شوفالييه: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر(1510-1541م)، ترجمة جمال حمادة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر2007، ص48.

(2) محمد أمين: القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان بالجزائر في القرن الثامن عشر، في: المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع21، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، سبتمبر 2000م، ص 24.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

2- الجهاد البحري (القرصنة) بالمفهوم الإسلامي: اقتحم العرب المسلمون مجال البحر، ولم تكن لهم حاجة في ممارسة الجهاد البحري (القرصنة)، فكانت الهجمات البحرية تهدف؛ إما لتأمين الفتوحات الإسلامية، أو في شكل حروب بحرية دفاعية هدفها ضرب اقتصاديات العدو، فكانت ملتحمة بمفهوم الجهاد في سبيل الله، الذي يعتبر ركنا من أركان الإسلام الأساسية، كما يستمد مقوماته الشرعية من وصايا الصحابة، والخلفاء الراشدين، ومن فتاوى الفقهاء، واجتهاداتهم[1].

يقول ابن خلدون في هذا الصدد: **"إنه بدأ بصفة منظمة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، بعد أن ضعفت أساطيل المسلمين، وأصبحت الغلبة للفرنجة في البحر المتوسط، وعندما أصبحت الأمم النصرانية دولا متعددة...يجمع النفر والطائفة من غزاة البحر، ويصنعون الأسطول ويتخيرون له الأبطال الرجال ثم يركبون إلى سواحل الفرنجة، وجزائرهم على حين غفلة فيخطفون منها ما قدروا عليه، ويصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة فيظفرون بها غالبا، ويعودون بالغنائم والسبي والأسرى"**[2].

وتقول **كورين شوفالييه**: **"إن القرصنة هي حرب مشروعة تتم بواسطة بيان صريح للحرب...إذا بالنسبة للمسلمين فان القرصنة قبل كل شيء هي شكل من أشكال الجهاد في البحر "** [3].

لقد أغرقت الأدبيات الأوروبية، عبر الأجيال هذه المسألة في بحر من الزيف، والتضليل والتحامل إلى درجة أن كلمة القرصنة أصبحت مرادفة في المفهوم العام الشائع لكلمة اللصوصية، وعنوانا يطلق على البحرية، والبحارة المغاربة في هذا العصر. وهذا التسميم هو في الواقع عبارة عن استمرار للحملة الصليبية السياسية على المسلمين وتطوير لأسلوب من أساليب شحذ الأذهان، الذي مارسته الكنيسة في هذا العصر [4]. فالحديث عن الجهاد البحري "القرصنة"، يحيلنا إلى مفاهيم وتصورات كثيرة. فالكتابات الإسلامية جاءت بمفاهيم، والكتابات المسيحية، والغربية جاءت بمفاهيم أخرى؛ حسب الجهات التي صدرت عنها، والأزمنة التي كتبت فيها، والعقلية، التي أوحت بكتابتها[5].

---

(1) زكي مبارك: الجهاد البحري في الغرب الإسلامي، المفهوم الإسلامي والمفهوم المسيحي، في: مجلة البحث العلمي، السنة الإحدى والثلاثون، ع45، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب 1998م، ص16.

(2) ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد): مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، 1424هـ/2004م، ص243.

(3) كورين شوفالييه: المرجع السابق، ص49.

(4) جمال قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830. المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار الجزائر، 2007، ص ص 249-250.

(5) نفسه.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

3- المفهوم المسيحي: "إنّ القرصان هو الذي كان حرّا في النهب، ولا يعترف بأي سلطة فوق إرادته الخاصة فقد كان يهاجم بدون تمييز سفن أية دولة. وكان هدفه الوحيد هو النهب"[1]

أما لفظ القرصان مشتق من اللفظ اللاتيني كورسارو (Corsaro)، والذي كان يطلق في الأصل على كل سفينة مسلحة رخص لملاّحيها بأن يجوبوا البحار، ويقاتلوا سفن الأعداء[2]، ثم تطور مفهوم القرصنة لدى الطرف المسيحي ليتحدد في مجموعة من المعاني، والألفاظ تدخل في دائرة النهب البحري (Piraterie)[3]، والنشاط القرصاني (Activité corsaire)، والقرصنة البربرية الإسلامية (Course Barbaresque Musulmane)، التي كانت كردة فعل ضد التحرشات الأوروبية الصليبية على سواحل المغرب الإسلامي[4].

لقد وضعت الدراسات الأوربية القراصنة المغاربة ضمن نطاق النشاط القرصاني المتمركز في سواحل إفريقيا الشمالية على البحر الأبيض المتوسط، بيد أن نشاط القرصنة الأوروبية، بدأ في تاريخ مبكر، عندما أغارت اسبانيا على مدينة سلا سنة 659هـ/1260م[5].

ووصفت القرصنة في بداية القرن السادس عشر، بأنها استراتيجية تسمح بشن الحملات، ولذلك ارتبطت القرصنة بتلك الحروب التي قامت في أوروبا، ثمّ اتسع نطاقها مع ظهور الدولة العثمانية على السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، وبذلك اتخذت القرصنة منحى آخر، منفصلا عن الحروب، مما أدى إلى اتساع هذه الظاهرة، وتطور عملياتها، وتعدد اتجاهاتها، وبالأخص خلال القرن السابع عشر، الذي أطلق عليه "**قرن القرصنة**" [6]؛ وهذا لما امتازت به فترة القرن 17م من صراع بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط، الشمالية منه، والجنوبية، وما انجر عنه من تداعيات.

---

(1) جون وولف بابتيست: الجزائر وأوربا 1500-1830، ط2، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان 2005، ص43.

(2) صبحي الصالح: الحماية من القرصنة في نظر الشريعة الإسلامية، أعمال أكاديمية المملكة المغربية، الدورة 9، الرباط، المغرب 1986، ص20.

(3)Dan Le Pere: Op.Cite, p9.

(4) زكي مبارك: المقال السابق، ص24.

(5) جيروم. ب. وايز: المغرب وقراصنته المغاربة في القرن السابع عشر، تعريب طارق العسكري وعبد الهادي التازي، في: مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، السنة السادسة عشرة، ع 29-30، الرباط، المغرب 1399هـ/1979م، ص ص، 14-17.

(6) Lemnouar Merouche: Recherches sur l'Algérie à l'époque Ottomane, v2. La course mythe et réalité, édition Bouchene, France2007, p106.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

ومنه نقول إن الصراع المسيحي الإسلامي، كان مسرحه البحر الأبيض المتوسط، وبالرغم من ذلك فإنه على عكس الطرف المسيحي ، الذي شجع قيام مؤسسات قرصانية خاصة، لا تخضع في الظاهر لأي نفوذ، ولا لأية دولة كانت، فإن دول المغرب البحرية قد أشرفت على هذا النشاط عن كثب، وضبطته ضمن القوانين والأعراف، التي كانت سائدة، وربما يرد على هذا بكون البحريات المغربية كان يقوم على شؤونها، ويشرف عليها الخواص، وليس الدول، وبالتالي فإنه من الصعب إن لم يكن مستحيلا، ضبط نشاط البحارة الخواص في إطار القوانين، والأعراف الجارية[1].

لقد تم تشويه عملية الجهاد البحري للمغاربة من طرف الأوروبيين، عندما وضعوا البحارة المغاربة في إطار القراصنة المتطوعين؛ لمهاجمة السفن التجارية في عرض البحر المتوسط [2]، "ولكن القرصنة أو الجهاد البحري عند المغاربة كانت تعتبر حربا مقدسة"[3].

4- دور الجهاد البحري في تحريك العلاقات المغربية الفرنسية:

نشأت غارات القراصنة المغاربة الواسعة والكثيفة من مدينة الرباط، التي بها ميناء الرباط المدينة، وميناء سلا، الواقعين على المحيط الأطلسي [4]، توجهت فرنسا إلى تكثيف العلاقات التجارية مع الإيالات العثمانية، ومع المغرب الأقصى، ولذلك حرصت على حرية الملاحة في البحر الأبيض المتوسط وعلى سلامة سفنها التجارية، التي كثيرا ما كانت تتعرض للقرصنة المغربية، فاستغلت فرنسا علاقاتها التاريخية الحسنة مع الدولة العثمانية، فكتب الملك الفرنسي "هنري الرابع" رسالة إلى السلطان العثماني "محمد الثالث" يشكو فيها أمر القرصنة المغربية، ويدعوه لمراسلة السلطان المغربي أحمد المنصور لينظر في الأمر، وقد كان بالفعل ما أراد الملك الفرنسي؛ حيث وجّه السلطان العثماني الرسالة إلى السلطان المغربي بتاريخ 23 أوت 1603م[5].

ويتّضح من كل هذا، أنّ علاقات فرنسا بالمغر ب في أواخر القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، كانت علاقات في مجملها تدور حول الأسرى الفرنسيين في المغرب الأقصى، ومحاول ة تحريرهم، أو طلبات السماح للسفن التجارية الفرنسية باستعمال الموانئ المغربية، وحتى مطلع القرن السابع عشر الميلادي، لم تكن البحرية الفرنسية ذات اعتبار يذكر، حيث قام الملك هنري الرابع بالرفع من شأنها برغم من وصول الكاردينال ريشيليو إلى السلطة، فعمل جاهدا إلى تطوير البحرية

---

(1) زكي مبارك: المقال السابق، ص25.

(2) نفسه

(3) سعيود إبراهيم: الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف الدكتورة عائشة غطاس، قسم التاريخ، جامعة الجزائر02 بوزريعة، الجزائر2010/2009م، ص112.

(4) محمد بن عبد السلام الرباطي: المرجع السابق، ص165.

(5) Lemnouar Merouche, Op.Cit, p324.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

وتقوية قطعها، ومع ذلك ظلت غير قادرة على التطور، فلم يتجاوز عدد سفنها الواحد والعشرون سفينة[1]. لقد مثّل موضوع القرصنة محورا أساسيا في علاقات المغرب الأقصى مع مملكة آل بربون.

وهكذا كان الوضع السياسي الداخلي فيما يسمى "بجمهوريات أبي رقراق الثلاث"؛ هو الظرف الحاسم الذي تحكم في اتساع وشدة غارات القراصنة في الرباط وسلا، فكانت غارات القراصنة أحيانا تشتد في الفترات التي كانت تنجو فيها الرباط من الفتن التي تعم بقية أرجاء المغرب[2]. وكانت غارات القراصنة تتقلص وأحيانا تختفي فعلا في الأوقات التي كانت الأحوال السياسية في مدينتي الميناء تمثل صورة الأحوال السائدة في عموم المغرب، أي عندما كان النزاع الأهلي والتنافس بين المستوطنات في الرباط وسلا تمثل صورة المنازعات القبلية والإقليمية التي دمرت القطر بكامله، وفي الفترات التي كانت الرباط وسلا خارج سيطرة حاكم إقليمي كبير أو سيطرة أسرة حاكمة كبرى كانت شدة غارات القراصنة ترتفع أو تنخفض حسب الظروف المحلية الراهنة[3].

لقد كانت القرصنة خلال القرن السابع عشر الميلادي هي سمة النشاط البحري في البحر المتوسط، يمارسها المسلمون وغير المسلمين، فساهمت هذه الأعمال البحرية في سقوط العديد من الأسرى من كلا الجانبين في أيدي الجانب الآخر، وبسببها توترت الأجواء السياسية بين بلدان البحر المتوسط التي تعرض مواطنوها للوقوع في الأسر، كما تبادلت بسببها العديد من السفارات وجرت الكثير من المفاوضات والحروب، بعضها أفضى إلى نتائج ايجابية والبعض الآخر لم يحقق نتائج مرضية[4].

ولعل قضية الحرب القرصانية بين المغرب وفرنسا واحدة من أشهر ما عانت منها شعوب البلدين، وخاصة من وقع منهم في أسر الآخر، حيث أن مشكلة الأسرى بين المغرب وفرنسا قد ظلت واحدة من أعقد المشاكل التي لم يتم التوصل إلى حل مناسب لها في عهد كل من لويس الرابع عشر ومولاي إسماعيل[5].

---

(1) Paul Masson: les galeres De France guerre (1481-1781), edition Hachette, paris1938, p104.

(2) محمد الفاسي: الرحلات السفارية المغربية، في مجلة البيّنة، المملكة المغربية، ع5، المغرب1962، ص16.

(3) جيروم. ب. وايز: المقال السابق، ص19.

(4) فهد بن محمد السويكت: سفارة عبد الله بن عائشة إلى بلاط لويس الرابع عشر 1110ه/1698م أسبابها ونتائجها، في مجلة بحوث تاريخية ، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ع 16، الرياض، السعودية محرم 1425ه/مارس2006م، ص 15.

(5) نفسه.

This document was created using SmartPDFCreator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

ب– الأسرى: شكلت محاولة تحرير الأسرى الأجانب بالمغرب إحدى أهم انشغالات القناصل الأوروبيين، فقد كانت أغلب المراسلات الدبلوماسية بين ملوك فرنسا، وسلاطين المغرب تدور حول مسألة تحرير وتبادل الأسرى من الجانبين[1].

لقد تميزت فترة القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، بانتشار ظاهرة القرصنة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، بين العالمين المسيحي والإسلامي [2]، حيث أصبحت ظاهرة الأسر آفة عالمية، والأسرى بضاعة للتفاوض والتّناور، والاتّجار، والاستغلال اللاإنساني، خاصة في العالم المسيحي؛ الذي في أقل من أربعة قرون أسر واشترى وباع في ظروف جد قاسية، خمسون مليونا من البشر، إلى درجة أنها اعتبرت أكبر جريمة لم ترتكب مثلها من قبل ضد الإنسانية[3].

وصف ابن جبير الأسرى المسلمين بقوله: "...ومن الفجائع التي يعانيها من حلّ ببلادهم أسرى المسلمين، يرسفون في القيود، ويصرفون في الخدمة الشاقة تصريف العبيد، والأسيرات المسلمات كذلك، في أسواقهم خلاخيل الحديد، فتنفطر لهم الأفئدة ولا يغني الإشفاق عنهم شيئا..."[4].

إنّ قتل الأسرى المسلمين في أوروبا آنذاك كان أمرا طبيعيا، فالأوربيين كانوا يعمدون إلى قطع أنوف، وآذان المسلمين الذين يقعون أسرى لديهم، ويقتلونهم بعد تعريضهم لعذاب شديد إلى حدّ لا يمكن للعقل تصوره وإدراكه[5].

1– اهتمام ملوك المغرب بالفداء:

اهتم سلاطين المغرب بهذا الجانب الإنساني، وكان لهم دور قيادي في افتداء أسرى المسلمين بدون تمييز، وخلف لنا السفراء المغاربة كتابات عديدة في هذا المضمار[6].

---

(1) محمد الفاسي: المقال السابق، ص23.

(2) Charles Penz : les Captifs Français du Maroc au XVII siècle, Paris 1944, p970.

(3) أحمد بلفريج: اهتمام ملوك المغرب بالفداء، في: مجلة المغرب، ع14، الرباط، المغرب1934، ص3.

(4) ابن جبير: أبو الحسن محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار القصبة، الجزائر، 2001، ص230.

(5) عزيز سامح ألتر: الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان1409هـ/1989م، ص101.

(6) من بين هذه الكتابات نذكر: رحلة الوزير في افتكاك الأسير لمحمد بن عبد الوهاب الغساني؛ وهي رحلة إلى اسبانيا من طرف المولى إسماعيل إلى كارلوس الثاني سنة 1102هـ/1690م، ونتيجة الجهاد في المهادنة والجهاد، لأحمد بن المهدي الغزال، والإكسير في فكاك الأسير، لمحمد بن عثمان المكناسي، والبدر السافر في فكاك الأسارى من العدو الكافر؛ حيث ترتبط هذه الكتابات بالجهاد البحري، وافتداء الأسرى. انظر: حسن الصادقي: الجهاد البحري في التاريخ الإسلامي، بعض المصادر العربية في الجهاد البحري، في المجلة المغربية للتاريخ البحري، معهد الدراسات الإفريقية، سلا، المغرب 30-31 ماي، 1-2 جويلية1997، ص368.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

كان اهتمام السعديين، وخاصة أحمد الذهبي الذي حكى عنه ابن القاضي في المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور مانصه: "...ومن صدقاته أيضا إخراجه الكثير من الأسرى في كل وقت من أقطار الكفرة، وجزيرة الأندلس، وغيرها، وما جاء معتق من المسلمين أو اليهود، الذي تحت ذمته قط يطلب أسيرا نصرانيا عوضا عن المسلم الأسير، إلا ويبذله قصدا به في الآخرة، والقربات الفاخرة وكثيرا ما يقول في مجالسه من تعذرت عليه حاجة في أسير، أو غيره فلياتنا لنقضيها له، حدثني بهذا غير واحد ممن أثق به، ولقد أخرج يهوديا من الأسر من مالطة بمال طلب منه..."[1].

كانت مسألة الأسرى دائما ضمن مكاتبات ومراسلات سلاطين المغرب مع الدول المسيحية مثلا: "الجنويين انتهزوا فرصة استمرار إسبانيا في مخططها التوسعي، وذلك بتقديم كل العون والمساعدة كي يضمنوا لأنفسهم الاستمرار في تحقيق المكاسب من جراء ممارسة القرصنة"[2].

اهتم السعديون بالفداء، وخاصة منهم أحمد المنصور الذهبي، الذي حكى عنه ابن القاضي في المنتقى المقصور، على مآثر الخليفة المنصور: "...ومن صدقاته أيضا إخراجه الكثير من الأسرى في كل وقت من أقطار الكفرة وجزيرة الأندلس وغيرها وما جاءه معتق من المسلمين أو اليهود الذين تحت ذمته قط يطلب أسيرا نصرانيا عوضا عن المسلم الأسير، إلّا ويبذله قصدا به الدار الآخرة والقربات الفاخرة، وكثيرا مايقول في مجالسه من تعذرت عليه حاجة في أسير أو غيره فلياتنا لنقضيها له حدثني بهذا غير واحد ممن أثق به ولقد أخرج يهوديا من الأسر من جزيرة مالطة بمال إذا طلب منه...." [3]. ولكن لم يجر أحد من ملوك السعديين مخابرات رسمية في ذلك مع ملوك أوربا، بإرسال السفارات كما سيقع ذلك في عهد الدولة العلوية، وخاصة في عهد المولى إسماعيل[4].

تدل المراسلات العديدة حول موضوع افتداء الأسرى، وتحريره م، وإصرار، واهتمام القناصل للقيام بذلك؛ على أهمية القضية بالنسبة للقنصل في كسب رضا الملك عليه، والبقاء في المنصب. وبل للملك نفسه نتيجة الضغوط التي كانت الكنيسة، ومنظمات افتداء الأسرى الأوروبية تمارسها على

---

(1) ثريا فاروقي: الدولة العثمانية والعالم المحيط بها. ترجمة حاتم الطحاوي، مراجعة عمر الأيوبي، ط 1 دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان2008، ص229.

(2) إبراهيم سعيود: لمحة عن الصراع الجزائري الإيطالي خلال العهد العثماني، في مجلة الدراسات في العلوم الإنسانية، ع7، جامعة الجزائر،2007، ص206.

(3) بلفريج أحمد: المقال السابق، ص1.

(4) جلال يحي: المرجع السابق، المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب، ص27.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الرأي العام، والبلا ط، إذ اعتبرت من أهم الأولويات لضمان مواصلة قتال المسلمين تحت راية الصليب[1].

لقد تعمد الأوربيون تضخيم قضية الأسرى المسيحيين في بلاد المغرب وذلك بتشويه حالتهم، كما عزز رجال الكنيسة تيار التعصب الديني تجاه هذه القضية، بالمقابل فقد قللوا من شأن قضية الأسرى المسلمين الذين تحولوا من أسرى إلى عبيد[2]

كان الأسرى المسلمون، ومن بينهم المغاربة يعانون من ويلات الأسر والتجديف الشاق المميت، ويقضون نحبهم في هذا الجحيم دون أن يعرف مكانهم أحد، أو يستطيع الاطّلاع على وضعهم اللاإنساني. فغطرسة لويس الرابع عشر حوّلت عصر الأنوار إلى الظلمات، بالمعاملة السيئة والاحتكارية للشعوب الأخرى. ففي سفارة ابن عائشة إلى فرنسا لم يتمكن السفير من رؤية، أو الوصول إلى الأسرى المغاربة، بالرغم من إلحاحه على ضرورة الاطّلاع على وضع بني جلدته المغاربة، لكن إلحاحه قوبل بالمراوغة، والتماطل وإنكار مكان تواجدهم[3].

2- دور مسألة الأسرى في تحريك العلاقات المغربية الفرنسية:

يعتبر موضوع الأسرى من بين أهم القضايا، التي طبعت العلاقات المغربية الفرنسية، وازدادت خطورة هذه القضية بحكم طبيعة الصراع، والظرفية التاريخية التي هيمنت على منطقة غرب المتوسط، حيث رافق ذلك وقوع أسرى مغاربة في يد النصارى، ووقوع أسرى مسيحيين في يد المغاربة، فقضية الأسرى شكلت عنصرا أساسيا في تنشيط العلاقات الدبلوماسية، وإبرام المعاهدات، وتبادل الرسائل، والسفارات بين ملوك فرنسا وسلاطين المغرب[4].

وللتوصل لحل مرض لمشكلة الأسرى بين المغرب وفرنسا، كانت هناك محاولات عديدة تهدف لمشروع عقد سلام، يتم من خلاله تقارب العلاقات واستئناف المفاوضات[5].

---

(1) عبد العزيز نوار ومحمد جمال الدين: التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى، دار الفكر، دمشق 1999، ج1، ص59.

(2) إبراهيم سعيود: علاقات الجزائر بالدويلات الايطالية خلال القرنين 17-18م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000، ص89.

(3) فهد بن محمد السويكت: المقال السابق، ص28.

(4) رشيد السلامي: قضية الأسرى في العلاقات المغربية الأوروبية، في المجلة المغربية للتاريخ البحري ، معهد الدراسات الإفريقية، سلا، المغرب 30-31 ماي، 1-2 جويلية1997، ص281.

(5) فهد بن محمد السويكت: المقال السابق، ص15.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

طغت قضية افتداء الأسرى على العلاقات الفرنسية– المغربية بشكل كبير فقد أولى لها البلاط الفرنسي اهتماما بالغا. ويبدو أن الملك نفسه، قد سيطرت عليه تلك القضية بالنظر إلى تلك الرسائل التي كانت تصله من القناصل، والسفراء والمخبرين. ويبدو أن المغرب لم يكن يمانع في تحرير الأسرى الأوروبيين؛ لأنهم كانوا بالنسبة للملك أحد موارد الخزينة العامة ، خاصة الأسرى المثقفين، والقديسين منهم، كانوا الأغلى فدية. ومع رواج عملية افتداء الأسرى، ازدادت عمليات أسر المزيد منهم لضمان استمرار المداخيل، خاصة مع تراجع تجارة المغرب، بسبب الحظر الذي فرضه الإسبان، وتحول محاور التجارة العالمية ناحية المحيط الأطلسي، وما نتج عن ذلك من تأثير على مجموع سياسة المغرب الخارجية[1].

ج– التجارة:

كانت المملكة السعدية بالرغم من تزايد شأنها، تفتقر إلى ميناء يتناسب والأهمية التي أصبحت عليه هذه الدولة بهدف التفتح على العالم الخارجي لجلب موارد إضافية تسمح بتعزيز موقف السلطة اقتصاديا، وتصريف فوائضها من السكر، والقمح، والجلود.فعمل السلطان محمد الشيخ على تحرير ميناء أغادير في شهر ذي القعدة 947هـ/1541م، فأصبح هذا الميناء قبلة للتجار الأوروبيين لشراء السكر، والجلود، والشمع [1]. "...وقد كان محمد الشيخ يتبادل السكر بالأسلحة الأوروبية، والعتاد الحربي..." [2].

كانت أوروبا تعتمد على أقاليم المغرب للحصول على ما يلزمها من منتجات إفريقيا السوداء. وكان تجارها يتعاملون مع سكان المغرب باعتبارهم وسطاء؛ إذ كان المغرب يشتمل على طرق قوافل تسمح له باستيراد المواد الأولية الاستوائية.وكانت المبادلات تقع في الموانئ "...ومن عادة سفن البندقية أن تأتي إلى بادس مرة، أو مرتين في السنة حاملة بضائعها، فتنجز فيها بالمبادلة، والبيع نقدا بالإضافة إلى أنها تنقل البضائع، وحتى الركاب المسلمين أنفسهم من هذا الميناء، إلى تونس، وأحيانا إلى البندقية، أوحتى الإسكندرية، وبيروت... "[3]. ولم يكن التجار الأوروبيين يغامرون بأنفسهم في

---

(1) عثمان بن خضراء: السلطان مولاي إسماعيل وعلاقاته بالدول الأوروبية، في مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ع 383، الرباط، المغرب شوال1426هـ/ ديسمبر2005م، ص51.

(1) جلال يحي: تاريخ المغرب الكبير، 3ج، دار النهضة، بيروت، لبنان1981، ج3، ص4.

(2) عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن السادس عشر الميلادي، دار الأمل، الجزائر2006، ج1، ص60.

(3) الحسن بن محمد الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة، محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامية، بيروت، لبنان1983، ص327.

This document was created using Smart PDF Creator
Torrent version of this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

المدن الواقعة داخل البلاد إلا بصفة استثنائية، إذ كانت المبادلات تقع في الموانئ التي توجد فيها الحماية، وفنادق النصارى. وقد كان الملوك الكاثوليك يبعثون بمسافرين، وجواسيس لهم لمراقبة، ودراسة سواحل المغرب[1]. بالرغم من وزن فرنسا في أوروبا، إلّا أن دورها في المغرب كان باهتا "ولم يتعامل السلطان أحمد المنصور، معها إلا في نطاق ضيق، واقتصر على استقبال بعض قناصلها"[2]. واكتفت بفدية الأسرى في المغرب. وكان يمثلها قناصل من مرسيليا، وأطباء، ومغامرون. وقد كلف مولاي زيدان "فليب دوكاستلون" [3] بنقل البضائع عبر النيجر، فآثر أن يتقاضى أجره بنفسه بالاستحواذ على مكتبة مولاي زيدان وأمتعته [4]، ومن سوء حظه أن مركبه وقع في يد الأسبان، وعجز السلطان عن استرداده. فكان لهذا الحادث أثره السيئ في العلاقات الفرنسية–المغربية، امتد لسنوات طويلة. إلّا أن "إسحاق رازيلي" [5] تمكن من إصلاح الأمور؛ عندما تمكن من إبرام صلح مع السلطان "عبد الملك" سنة1631م، ثم مع الموريسكيين سنة1635م[6].

1 دور التبادل التجاري في تحريك العلاقات المغربية الفرنسية:

تأثرت المبادلات التجارية كثيرا بالاضطرابات التي شهدها المغرب، نتيجة الصراعات الداخلية على السلطة، والتحرشات الأسبانية، والبرتغالية على سواحله، وموانئه. إذ كان لغياب الأمن في الطرق، والسواحل، والأسواق أثره على المبادلات؛ إذ كثيرا ما تعرضت القوافل التجارية إلى غارات العصابات، وبعض القبائل التي لم تعترف بسلطة السعديين عليهم. كما تأثرت التجارة البحرية بالغزو، والاحتلال الإسباني، والبرتغالي، وبأعمال القرصنة، "...كما تأثرت بالحظر الذي فرضه الأسبان، والبرتغاليون على غيرهم من الأوروبيين الذين يريدون التجارة مع المغرب، خوفا من أن يهرّبوا له الأسلحة النارية التي كان المغاربة في حاجة إليها، بحيث بات المغرب في اختناق شديد" [7].

---

(1) شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص ص 247- 255.

(2) نفسه، ص ص 278-279.

(3) فليب دو كاستلون: قنصل فرنسي من منطقة بروفانس الفرنسية في ضواحي مرسيليا، للمزيد من المعلومات: انظر هنري دوكاستري: الوكلاء والرحالة الفرنسيين 1660/1530، ص ص 34-35.

(4) تعود هذه المكتبة إلى السلطان "أحمد المنصور" إذ بعد موته آلت إلى ابنه "مولاي زيدان". وبعد أن عرف المغرب اضطرابات سياسية في عهده، حاول أن ينجو بها بمعاونة الفرنسيين سنة 1612م، بعد أن فقد مراكش لصالح" أبي المحلى".فقام القنصل الفرنسي القبطان"فليب دوكاستلون" بنقلها على متن سفينة فرنسية، فوقعت في أيدي الأسبان، ولم يستردها المغرب إلى اليوم. فهي معروضة في متحف"الأسكوريال" باسبانيا.

(5) إسحاق دو رازيلي: (1635/1587م) كان عضوا في البحرية الملكية الفرنسية، عين حاكما لإقليم أكاديا الكندي سنة 1632م إلى غاية وفاته سنة 1635م. انظر: شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص285.

(6) نفسه.

(7) عمار بن خروف: المرجع السابق، ص48.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.smartpdfcreator.com

ظهرت رغبة البرتغال، واسبانيا في افتكاك المناطق الساحلية للمغرب، بهدف استغلال خيراته، وإقامة قواعد عليها للأشراف على الطرق التجارية، والقضاء على قواعد التجارة المغربية. ولقد وصل الحد بهم إلى التفكير باحتلال مراكش نفسها سنة 1515م. إذ من خلال هذه السواحل يستطيعون شراء القمح، والجلود، والجياد، وملاحف الصوف يبادلونها في إفريقيا السوداء بالذهب، والعبيد[1].

كانت المبادلات التجارية مع الدول الأوروبية تقع غالبا في هذه الموانئ، أو بالقرب منها. وكان للأوروبيين عدد من الوكلاء الذين يقومون مقام القناصل، والأعوان التجاريين. وكانت الأسواق تشهد قدوم العديد من التجار، والمغامرين خاصة بعد شيوع خبر تدفق الذهب من السودان إثر نجاح حملة المنصور على واحات قرارة وتوات سنة 1583م، وعلى السودان سنة 1590م[2].

كانت العلاقات المغربية مع الدول الأوروبية خارج إطار التبادل التجاري حذرة، ولم تستقر على حال واحد، وذلك لتعدد المصالح وتفرعها، إلّا أن ملوك المغرب أرادوا التأسيس لعلاقات تجارية، واقتصادية على أساس المصلحة المشتركة خاصة مع الإنجليز أعداء الإسبان ومنافسيهم، "...فأقدم السلطان محمد الشيخ، وابنه عبد الله الغالب على تشجيع التجارة مع الإنجليز،كما قام أحمد المنصور بكراء طواحين السكر لليهود، والمسيحيين.وبادر لتأسيس تجارة العبيد ذكورا، وإناثا..."[3].

مثّل موضوع المبادلات التجارية بين موانئ المغرب وفرنسا، خاصة ميناء مرسيليا من جهة الجنوب، وميناء بريست (Brest) من جهة الغرب[4] حيزا هاما في علاقات البلدين.

ومجمل القول: إنّ مسألة الأسرى، والقرصنة، والتجارة؛ شكلت أهم القضايا التي تحكمت وحركت العلاقات السياسية، والدبلوماسية مابين المغرب الأقصى وفرنسا، وكانت أهم عامل نشّط عجلة الدبلوماسية المغربية، في وقت كانت فيه أوروبا قد تسلحت بالدبلوماسية الدائمة كأداة لحماية مصالحها. فهل سعى سلاطين المغرب لاستخدام البعثات الدبلوماسية كأداة فاعلة في حل المشاكل العالقة مع مملكة آل بوربون، أم أنّ المبادرة كانت من بلاط ملوك فرنسا؟ هذا ماسأحاول الإجابة عنه في المبحث الثاني.

---

(1) شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص255.

(2) عمار بن خروف: المرجع السابق، ص ص132-133.

(3) شارل أندري جوليان: المرجع السابق، 268-279.

(4) يعتبر هاذان الميناءان من أهم مراكز التبادل التجاري بين دول جنوب البحر المتوسط وفرنسا، للمزيد من المعلومات انظر: - Brizen la maitiere : le grand dictionnaire géographique et Critique , T6 ,P157

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message, purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

المبحث الثاني:

البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي خلال العهد السعدي (1603-1659):

كان المغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر ذا أهمية استراتيجية، وكان الملك الفرنسي فرنسوا الأول يبحث عن تأييدات ضد إسبانيا، وملكها شارل الخامس، مع ضمان نقاط لمرابطة سفنه في الشواطئ المغربية، غير أن ملك فاس كان مهددا من طرف محمد الشيخ السعدي ملك مراكش، وقد مرت ست وعشرون سنة، قبل أن يرى المغرب سفارة فرنسية جديدة.

اعتمد السلاطين المغاربة على بعض الفرنسيين كوسطاء ومبعوثين لهم، لدى البلاط الفرنسي ليسهلوا المهمات التجارية والدبلوماسية وحل بعض القضايا العالقة بين البلدين، والتي كانت تحدث نوعا من التوتر والقطيعة، فكانت بعثة "لويس كابريط "سنة 1576م، وسفارة غوم بيرار سنة 1577م، ثم تتابعت هذه السفارات، حيث نجد أصداء عن وجود قنصلية فرنسية في المغرب الأقصى ابتداءً من سنة 985هـ/1577م. في حين لم نسمع بوجود قنصلي ودبلوماسي حقيقي للمغرب الأقصى في فرنسا.

ومنه سأحاول دراسة التبادل الدبلوماسي بين البلدين في الفترة الممتدة من وفاة أحمد المنصور إلى نهاية الدولة السعدية (1603-1659)؛ هذه الفترة التي عرفت تطورات حاسمة في تاريخ المغرب الأقصى، وقد بيّنا ذلك في الفصل الأول من وفاة أحمد المنصور، إلى تفرق الأمر بين بنيه، وحتى سقوط الدولة السعدية، وفي هذا المبحث أتعرض إلى مايلي:

1- التمثيل الدبلوماسي لفرنسا في المغرب الأقصى قبيل القرن 11هـ/17م:

أ -مهمات القناصل والدبلوماسيين الفرنسيين في المغرب الأقصى.

ب- القنصليات والبعثات الدبلوماسية الفرنسية إلى المغرب الأقصى.

2- البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي(1603-1659م):

أ- بعثة أحمد بن قاسم الحجري الملقب "بأفوقاي" (1018-1019هـ/1610-1611م).

ب- بعثة أحمد الجزولي (1020-1021هـ/1612-1613م).

ج- بعثة سيدي فارس (1028هـ/1619م).

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

1- التمثيل الدبلوماسي لفرنسا في المغرب الأقصى قبيل القرن11هـ/17م:

أ- مهمات القناصل والدبلوماسيين الفرنسيين في المغرب الأقصى:

1- التوزيع الجغرافي للقناصل:

تركزت القنصليات الأجنبية في المراسي، والموانئ، وأقام قناصل أوروبيون في العاصمتين فاس ومراكش، وكان القناصل والدبلوماسيون الفرنسيون أكثر عددا، وأطولهم مدة، ومن أهم المراسي التي أقاموا بها نذكر: سلا، تطوان، أسفي، المزمة، مراكش، وفاس. والملاحظ أن هذه القنصليات بشكل عام كانت تغطي أهم المراسي التجارية في مغرب القرن السابع عشر، مع تركيز واضح على سلا وتطوان، ويفسر هذا التوزيع مهام القناصل التي كانت تعنى بشكل خاص بتسهيل العمليات التجارية، ومحاولة ضبط نتائج عمليات الجهاد البحري والقرصنة[1].

2- تواجد القناصل:

تعتبر القنصلية الفرنسية في المغرب من أقدم القنصليات الأجنبية، فقد زامن تعيين أول قنصل فرنسي بكيفية رسمية مرحلة استقرار السلطة السعدية قبيل معركة وادي المخازن 986هـ/1578م، واستمرت مع انقطاع دام حتى بداية القرن الثامن عشر، فقناصل فرنسا كانوا أكثر عددا وأكبر انتشارا من غيرهم، فقد بلغ عددهم ما بين سنة 1577-1713م خمسة وثلاثين قنصلا، وانتشرت القنصليات الفرنسية في تسع مدن مغربية، وكان قناصل فرنسا يعينون من ينوب عنهم في غير مدن إقامتهم، وتكون هذه القنصليات بذلك شبكة تغطي كل القسم الغربي من البلاد[2].

3- مهمة القناصل:

أ- تنظيم التجارة: اهتمت القنصلية الفرنسية بشكل خاص بالوقوف على حسن سير العمليات التجارية مثل: تزويد التجار بجوازات المرور ومراقبة شحن سلعهم، وإفراغها [3]، وقد نصّت

---

(1) زهراء إخوان: بدايات آليات التدخل الأوروبي في المغرب، والقنصليات الأجنبية في القرن السابع عشر، في مجلة مكناسة، جامعة المولى إسماعيل، ع11، مكناس، المغرب1997، ص68.

(2) نفسه.

(3) Le Père Noel: Les rapports de la France et du maroc.Etude d'histoir diplomatique et droit international, paris1905. P26.

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الكثير من الوثائق على هذا الاختصاص، فقد جاء في رسالة من الولايات العامة إلى السلطان محمد الشيخ الأصغر أنّ هدف مبعوثها هو تنمية التجارة بين البلدين[1].

ب- تحرير الأسرى: شكلت محاولة تحرير الأسرى الأجانب بالمغرب إحدى أهم انشغالات القناصل الأوروبيين، فقد كانت أغلب المراسلات الدبلوماسية بين ملوك فرنسا، وسلاطين المغرب تدور حول مسألة تحرير وتبادل الأسرى[2].

ج- إدارة الوظائف الدبلوماسية: من الصعب التمييز بين الوظائف الدبلوماسية، والوثائق القنصلية خلال القرن 11هـ/17م، وهذا وليد التطورات التي أدت بالوضع إلى ما هو عليه الآن، فإن الوثائق التي تتوفر عليها تشهد بتكليف القناصل بمهمات دبلوماسية، ففي سنة 1612م، عقد القنصل الفرنسي كاستيلان باسم ملك فرنسا معاهدة سلام وصداقة بين المغرب وفرنسا، نضيف إلى هذا الصنف من الاختصاصات تقديم التهاني، ونموذج ذلك تقديم القنصل الفرنسي بيرار تهنئة ملك فرنسا إلى السلطان المنصور سنة 1579م، وبعثة القنصل براصول (Parasol) إلى السلطان المولى إسماعيل لتهنئته بمناسبة تربعه على العرش سنة 1672م[3].

د- الاستعلام والتجسس:

كان القنصل الفرنسي بحكم اتصالاته وتحركاته وعلاقته بالناس والبلاط مهيئا لجمع معلومات كثيرة عن المغرب، وقد ورد في رسالة أحد القناصل: "أنه سيتعرف على أخبار المغرب بواسطة ابن أخيه الذي ينوب عنه في سلا، وسيبلغ كولبير بكل مايجري في هذه البلاد، وسيبعث مذكرة حول أحداث المغرب"[4]. عمل في هذه المهمة مجموعة من الأشخاص، فمنهم التجار، والأسرى، ورجال الافتداء، والقناصل، وحتى المبعوثين الدبلوماسيين عملوا في مهمة التجسس لصالح بلدانهم، وحكوماتهم.

ومنه نقول: إنّ الوجود الفرنسي في المغرب بدأ يغرس جذوره ابتداءً من القرن السادس عشر الميلادي، حيث شكلت القنصلية الفرنسية بالمغرب بداية التغلغل الأجنبي في الإطار الدبلوماسي.

---

(1) زهراء إخوان: المقال السابق.
(2) أحمد بلفريج: المقال السابق، ص2.
(3) زهراء إخوان: المقال السابق، ص69.
(4) نفسه، ص72.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

ب– القنصليات والبعثات الدبلوماسية الفرنسية إلى المغرب الأقصى:

تعتبر فرنسا من أول الدول الأوروبية التي كانت ممثلة بصفة دائمة على الأراضي المغربية، إما عن طريق القناصل أو المبعوثين الدبلوماسيين، الذين أنيطت بهم مهام دبلوماسية ضمن علاقات رسمية مع سلاطين المغرب، حيث كانوا يسهرون على مصالح التجار الفرنسيين في المغرب، ومصالح بلادهم في آن واحد.[1]

ونقلا عن أحد المؤرخين الفرنسيين المشهورين وهو (أندري جوليان) المعروف جداً في المغرب بفضل كتابه" تاريخ إفريقيا الشمالية قال: "...كان القناصل والتجار المسيحيون غالبا من المغامرين المنتفعين، يستثمرون أبناء دينهم وأبناء البلاد على السواء، وكانت فرنسا أبعد الدول هدفاً، وأكثرها نفوذا، وأشدّها صولة وطمعا في ذلك المغرب..."[2].

وهو رأي جل الباحثين المغاربة، فالإرهاصات الأولية لهذه الاتفاقيات التي كان المغرب هدفا لها هي التي جرت عليه الحمايات، والأطماع الدولية، مما جعل المغرب في الأخير يقع في فخ الاستعمار كما خطط له، وسنرى خطورة هذه الاتفاقيات في مجريات الأحداث عن العلاقات المغربية– الأوربية فيما بعد[3].

1- البعثات الفرنسية:

– بعثة أومون دومولون: (Aumon de molon) في عام 1532م، على فاس هذا التاجر الفرنسي لاغتناء ريش النعام، الذي كانت تحلى به القبعات آنذاك، وكانت لديه مهمة خاصة عند الأمير السعدي أحمد بن محمد الوطاسي، من طرف فرنسوا الأول، وصف ثراء المغرب للملك الفرنسي مما زاد في أطماعه، فقرر إرسال سفير إلى ملك فاس (كما كان يسمى في البلاط الفرنسي)؛ وهذا هو سبب أول بعثة دبلوماسية فرنسية إلى المغرب[4].

---

(1) عبد العزيز بن عبد الله: السفارة والسفراء بالمغرب عبر التاريخ، سلسلة قسم الدراسات الدبلوماسية والقنصلية، الرباط، المعهد الوطني للدراسات القضائية، الرباط، المغرب1405هـ/1985م، ص62.

(2) عمرتوفيق كمال: الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، ط1، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية، مصر1998، ص17.

(3) نفسه، ص37.

(4) عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص94.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

– **بعثة بيار دوبيتون** (Pierre de piton): سنة 1533م، وجه ملك فرنسا فرنسوا الأول سفيره إلى المغرب، وقد كان قد ارتكب جريمة قتل قبل ذلك بعامين، حيث غادر فرنسا، وقد رافقه التاجر مولون المبعوث السابق، والطبيب بلانك، وخمسة رجال اختارهم السفير رفقاء له، وقد ورد السفير على ظهر سفينة فرنسية يقودها قبطان جنوي. تمثلت مهمة السفير في الحصول على تسهيلات للسفن الفرنسية، والحصول على مجموعة من الطيور والدواب، لحديقة الحيوان الملكية بفرنسا، ونقل معه إلى السلطان هدايا[1].

– **بعثة دازفيدو** (Dazevedo)[2]:

هذا السفير أوفده والد هنري الرابع ملك نافاريا (Navarre) ، إلى بلاط فاس في جويلية 1559م، التقى بالسلطان السعدي مولاي عبد الله، حاملا رسالة من ملك نافاريا، ثم حمل جوابا عنها من سلطان المغرب، مع معاهدة سلام هي عبارة عن حلف هجومي دفاعي، وقد وعده الملك مولاي عبد الله؛ بتسليمهم القصر الصغير [3]، مقابل جعله خمسمائة جندي مسلح رهن إشارة السلطان، وتحت إمرته. "نصت هذه المعاهدة على إلغاء حق تملك المخزن لأموال البحارة الفرنسيين، اللذين يموتون بالمغرب، بحيث تودع حتى تسلم لورثتهم، كما سمحت للسفن الفرنسية المرابطة في الشواطئ المغربية، وسمحت بإسهام المسلمين في التمتع بفيء القرصنة التي تحصل عليها السفن الفرنسية، مع العمل على افتكاك الأسرى" [4]. عمل هذا السفير جاهدا على ربط علاقات جدّية مع البلاط السعدي، هذا من جهة، وعلى تحقيق أهداف ملك نافاريا، الذي كان يطمع في امتلاك ميناء مغربي يعوضه عن أرض نافاريا الإسبانية، لكنه فشل في تحقيق ذلك، ليرسل سفارة جديدة على رأسها مونفور[5].

---

(1) Charle roux: missions diplomatiques françaises a Fès, édition lacrosse, paris, france1955, p92.

(2) ترجع أصول هذا السفير إلى عائلة يهودية في البرتغال، انتقل إلى الديانة المسيحية، وعمل قبطانا وسفيرا لملك نافاريا في البلاط السعدي، للمزيد من المعلومات. انظر: عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص88.

(3) مدينة القصر الصغير أو قصر المجاز، كانت تتوفر على دار لبناء السفن، ثم شكلت خلال العهدي المرابطي والموحدي، ملتقى للعلماء والشعراء ورجال الدولة أثناء السفر بين المغرب والأندلس. الموقع شهد فترات استعمار حتى وقت المولى إسماعيل مؤسس الدولة العلوية، الذي عمل على طرد قوات بريطانيا العظمى سنة 1683م عن المنطقة التي كانت تتخذها قاعدة لإحكام السيطرة على ضفتي مضيق البوغاز. انظر: عبد الهادي التازي: دور القصر الصغير في التبادل الحضاري بالمتوسط (ندوة حول تاريخ الموقع الأثري)، في مجلة تطوان، ع15، تطوان، المغرب2010، ص36.

(4) عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص89.

(5) نفسه.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message, purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

2- القنصليات الفرنسية:

قنصلية بيرار (Guillaume Bèrard): أول قنصل فرنسي في المغرب هو Guillaume Bèrard شغل هذا المنصب لدى مولاي عبد المالك السعدي بتاريخ 1577/6/10م، ونص قرار تعيينه على أن يتمتع بكل الحقوق الواجبة للقناصل الفرنسيين في البلاد المشرقية[1]. واحتفظ السلطان أحمد المنصور لهذا القنصل باختصاصاته، حيث نجده سنة 1583م يمارس مهامه في المغرب[2] إلى سنة 1588م[3].

- قنصلية فورنيي(Fournier):

عندما شغر منصب قنصل فرنسا في المغرب سنة 1591م، ظهر على مسرح الأحداث فورنيي (Fournier)[4]، وقد سبق له أن تقدم بطلب الحصول على منصب قنصل فرنسا بالمغرب في فبراير1589، وسانده في هذا الالتماس التجارُ الفرنسيون بفاس ومراكش[5]. وتم تعيينه قنصلا لفرنسا بناء على قرار برلمان بروفانس (Provence) المؤرخ في 19سبتمبر 1591م[6] .وقد التحق فورنيي بفاس، وقضى في مهمته حوالي 17سنة؛ حيث ورد اسمه في وثيقة بتاريخ 1608/10/6م، كقنصل لمرسيليا بالمغرب[7].

– قنصلية دوليسل: عرفت فرنسا مطلع القرن السابع عشر الميلادي انقساما سياسيا ناتجا عن الحروب الدينية، وفي الوقت الذي كان فيه هنري الثالث يحكم جزءً من فرنسا، كانت أجزاء أخرى، وبالأخص في جنوب وجنوب غرب فرنسا، خاضعة للحلف الهوكنوتي، تسير أمورها بواسطة عدد من المجالس المحلية. ويفسر هذا الانقسام – بالنسبة لما نحن فيه– وجود قنصلين فرنسيين في المغرب، أحدهما في فاس، وهو فورنيي المذكور سابقا، والثاني وهو أرنو لدي ليسل في مراكش.وصل دي ليسل إلى المغرب سنة 1588م، وقضى به 11سنة، شغل فيها منصب قنصل فرنسا في مراكش، ووظيفة

---

(1) Henry De Castries: les sources inédites de L histoire du Maroc ,1serie, dynasty saadienne Archives bibliothèques de France, T2, éditeur Ernest leroux, Paris, France 1909.p26.
(2) Ibid, p105.
(3) Ibid.
(4) تاجر فرنسي كان ينوب أحيانا عن القنصل بيرار ثم عاد إلى فرنسا سنة 1589م، إلى أن عين رسميا قنصلا سنة 1591م. انظر:
- Ibid, p194.
(5) Ibid, p758.
(6) Charles penz: Op.Cite, p77.
(7) Henry De Castries: Op.Cite.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الطبيب الخاص للسلطان المنصور. وقد ظل دي ليسل على صلة بالمغرب، حيث زاره سنة 1605م، كمبعوث خاص للملك هنري الرابع[1].

– **قنصلية كوريول** (Guillaume curiol): أصدر الملك الفرنسي هنري الرابع قرارا بتسمية هذا الشخص قنصلا لفرنسا، وذلك في سنة 1607م ويكلف مرة أخرى بمهمة القنصلية سنة 1610م، ليتخلى عن مهامه نهائيا سنة 1611م[2].

– **قنصلية كاستيلان** (Philippe castellane): خلف القنصل كوريل في مهامه في المغرب في ديسمبر 1611م، وقد سبق للملك هنري الرابع أن أصدر قرارا بتسمية كاستيلان قنصلا في المغرب سنة 1607م، وصادق على هذا القرار لويس الثالث عشر في يوم 22سبتمر 1610م، ووصل هذا القنصل إلى مدينة آسفي في شهر سبتمبر 1611م[3]. وقد أنجز كاستيلان عدة مهام دبلوماسية في المغرب، حيث عرض على السلطان مولاي زيدان مشروع اتفاقية على نمط الاتفاقية التي عقدت بين فرنسا والإمبراطورية العثمانية ، ثم كلفه السلطان زيدان، بمهمة لدى "لويس الثالث عشر " ولدى حاكم مقاطعة بروفانس [4]، وبعث معه هدايا لهما. " كاستيلان" هذا هو صاحب قصة اختفاء مكتبة مولاي زيدان، التي أثارت توترات سيئة بين الدولتين إلى سنة 1627م، تاريخ وفاة السلطان مولاي زيدان، الذي خلفه على العرش ابنه مولاي عبد الملك بن زيدان.

– **قنصلية برا أندري** (Prat Andrè): عادت فرنسا للاهتمام بالمغرب في أواخر سنة 1626م، فكلفت رازيلي بمهمة إعادة العلاقات الفرنسية إلى ماكانت عليه قبل مشكلة كاستيلان. في هذا الإطار تم تعيين أندري برا (PratAndrè) قنصلا لفرنسا في مدينتي تطوان وسلا. وكلف بمهمة حماية التجار الفرنسيين في المغرب[5].

---

(1)Charles Penz: Op.Cite, p73-75.

(2) Henry De Castries: Op.Cite. p376.

(3) Charles Penz: Op.Cite p20.

(4) هنري دوغويز (Henry de guise): هو ملك فرنسا الجنوبية حاكم مقاطعة بروفانس الكاثوليكية . للمزيد من المعلومات أنظر هامش مقال بدايات آليات التدخل الأوروبي في المغرب: زهراء إخوان: المقال السابق، ص143.

(5) Jacques Caillé : La Représentation diplomatique de la France au Maroc, Institut des hautes-études marocaines, france1951, p24.

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

– **قنصلية مازي** (Pierre Mazet):

عين مازي قنصلا لفرنسا في مراكش سنة 1630م، وقد كان له معرفة جيدة بالمغرب، حيث عينه رازيلي للتفاوض باسمه مع ديوان سلا، وقد وقعت لمازي مشاكل مع السلطان مولاي الوليد، فسجنه سنة 1632م[1].

– **قنصلية بور كارون** (Bourganone):

تنفيذا لمقتضيات الاتفاق المغربي الفرنسي الموقع بتاريخ 1631/9/17م، تم تعيين (Bourgaronne) قنصلا بأسفي، إلا أن مقتضيات خاصة بوضعية القناصل منعته من ممارسة مهامه، واحتفظ بصفة نائب قنصل بأسفي[2].

– **قنصلية كاسبار دي راستان** (Casper de Restane) :

كان مفوضا من "برا أندري" (Prat Andrè)، وصل إلى سلا في نهاية 1634م وقد ركز نشاطه على افتداء الأسرى الفرنسيين في المغرب الأقصى، بالإضافة إلى تسوية التجارة الفرنسية وضبط شؤونها في المنطقة، بالرغم من التعقيدات الموجودة في المدينة، إلا أنه استمر في نشاطه إلى وفاته سنة1643م[3]

– **قنصلية بوايي** (Boyer Sieur de bandol): عين بوايي [4] قنصلا بآسفي، وأمكدور في 29 مارس 1647م، مكلفا برعاية مصالح التجارة الفرنسية على طول الساحل المغربي الجنوبي، ونظرا لكون هذا الأخير لم يكن يتجاوز الثانية عشرة من عمره، فإن مهمته كانت شكلية ولم تتم[5].

– **قنصلية هنري برا** (Andry Henry brat): استمر في القيام بمهامه في تطوان، وسلا حتى سنة 1643م، حيث دخلت هاتان المدينتان تحت حكم "محمد الحاج الدلائي " فأصدر الملك الفرنسي أمرا بتعيين ابن القنصل "هنري برا" لدى الملك الدلائي سيدي عبد الله، فصادق برلمان "بروفانس"

---

(1) Henry De Castries: Op.Cite.
(2) Charles Penz: Op.Cite p46.
(3) Caillé : Op.Cite p25.
(4) هذا القنصل من طبقة النبلاء، كان أبوه (جولي بوايي) من المقربين من الكاردينال ريشليو، وقد كافئه على إخلاصه هذا بتعيين إبنه قنصلا بالمغرب، ثم مستشارا بالبرلمان سنة 1647م، ثم رئيسا لغرفة حسابات بروفانس سنة 1675م، انظر: هامش مقال بدايات آليات التدخل الأوروبي في المغرب. زهراء إخوان: المقال السابق.
(5) نفسه.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

على تعيينه في 1649/01/20م،كقنصل في سلا وتطوان، ولم يلتحق بمهامه، بل أناب عنه عددا من التجار في مدينة سلا[1].

– قنصلية بيار سيتيواني(Pierre Citrani):

صدر أمر تعيينه في 9مارس1650م، غير أن ديوان سلا لم يعترف به إلا بعد مدة، لأنه لم يقم بمهمته كما يجب، وكثرت شكاوي التجار منه، فصدر أمر إعفائه من مهامه وغادر سلا[2]

– قنصلية أنطوان جوليان براصول (Antoine Jilien parasol):

عرفت قنصليته عددا من المشاكل بفعل عدم اتفاقه مع التجار، ومن أهم ما قام به تمكنه من الحصول على حق بناء مصلى في القنصلية، مع حق إقامة الشعائر الكاثوليكية فيه، وقد عزل من منصبه[3].

– قنصلية فرانسوا جوليان براصول (François jilien parasol):

وعين سنة 1671م. وقد واجه عددا من الصعوبات في تعامله مع التجار الفرنسيين. واستمر في عمله إلى مابعد سنة 1672م، حيث نجده يتدخل في مشاكل القرصنة في سلا، ويقدم لمولاي إسماعيل تهانئ ملك فرنسا بمناسبة وصوله إلى الحكم [4]، وتمكن فريجوس من استصدار قرار بتعيين الفرنسي لومبير قنصلا بتطوان. ويبدو أن هذه القنصلية لم تعمر بسبب نجاح هنري برا في التقرب من كولبير، الذي كلف سنة 1669م بشؤون البحرية الفرنسية، وأسندت إليه مهمة تدبير القنصليات الفرنسية في الخارج . فقد اتصل به برا وأخبره بتفرغه لقنصلية تطوان بعد أن عين ابن أخيه فرانسوا جوليان نائبا عنه في سلا، والتزم بتقديم مذكرات عن الأوضاع في المغرب[5].

– قنصلية بيرلي (Pèrilliè): لم يفلح مسعى برا في تعيين قريبه ريمون قنصلا بسلا، فعين قنصلا بهذه المدينة هو بيرلي أواسط عام 1685م. وقد سلم السلطان مولاي إسماعيل براءة اعتماده له قنصلا لفرنسا في سلا بتاريخ 11أفريل1685م، وأظهر هذا القنصل للسلطان المغربي أثناء المقابلة التي خصه

---

(1) للمزيد من المعلومات حول هذا القنصل انظر: -Henry De Castries: Op.Cite, T1, p249
(2) زهراء إخوان: المقال السابق، ص133.
(3) نفسه.
(4) Henry De Castries: Op.Cite.
(5) Ibid, T2 , p420.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

بها أن مهمته تهدف إلى تنمية التجارة بين البلدين [1]، وقد استمر بيرليي في مهمته إلى مابعد سنة 1686م، حيث نجده يتدخل في مناسبتين ، في مشاكل مترتبة عن القرصنة[2].

– **قنصلية بيير إستيل** (Pierre Estille): نجح المغاربة في تخليص طنجة من الاحتلال الإنجليزي، حيث انسحبت الحامية الإنجليزية من هذا الثغر في 5 أفريل 1685م، هو بيير إستيل[3]. إلا أن حالة طنجة التي كانت لم ترمم بعد مما ألحقه بها الإنجليز من التخريب والتدمير ألزمت القنصل الفرنسي بالإقامة في تطوان . وقد عرفت مهمته عدة صعوبات وعاد إلى فرنسا سنة 1702م، مريضا عاجزا عن العمل لكبر سنه[4].

– **قنصلية دي فاتري** (De Vatry): خلف بيير إستيل في قنصلية تطوان، De Vatry والتحق بمقر عمله يوم 3ماي 1703م، وقد سبق لفرنسا أن عينت المدعو مايي Maillet يوم 7فيفري 1703م، وتوفي في طريقه إلى تطوان ولم يطل مقام دي فاترى في هذه المدينة، حيث توفي سنة1705م[5].

– **قنصلية استيل جوان باتست** (Estille join batiste): التحق بسلام يوم 19 فيفري 1689م، ومارس مهامه إلى ديسمبر 1701م، حينما أمره السلطان مولاي إسماعيل بمغادرة المغرب، لما ثبت تسليمه معلومات للأسطول الفرنسي حول تحركات السفن الجهادية في سلا[6].

نخلص في الأخير: إلى أنّ فرنسا منذ الأيام الأولى للسعديين كانت تبحث عن ربط علاقات دبلوماسية مع المغرب الأقصى، وتجلت هذه المحاولات في التواجد المكثف للقنصليات الفرنسية في المغرب، والتجار، والبعثات الدبلوماسية، التي لم تتوقف حتى في فترات العداء والحروب.

نستنتج كذلك أنّ القنصليات الفرنسية بالمغرب الأقصى كانت أكثر دقة، وتنظيما، ونشاطا من قنصليات البلدان الأوروبية الأخرى، ففرنسا كانت ممثلة بصفة دائمة على الأراضي المغربية، إما عن طريق القناصل أو المبعوثين الدبلوماسيين.

---

(1) Op.Cite. pp561-565.
(2) Ibid.
(3) بيير إستيل هو نبيل فرنسي من مقاطعة بروفانس، عمل قنصلا عاما لفرنسا بمدينة طنجة، لكن الظروف التي كانت تمر بها المدينة أجبرته على الذهاب إلى مدينة تطوان القريبة، حتى موعد عودته إلى فرنسا. انظر زهراء إخوان: المقال السابق، ص144.
(4) Henry De Castries: Op.Cite, p270.
(5) Ibid, p278.
(6) Ibid, p220.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

2- البعثات المغربية إلى البلاط الفرنسي:

أ -نظرة عن البعثات قبل القرن 11هـ/17م:

بدأت فرنسا محاولاتها الأولى لإيجاد منفذ في المغرب الأقصى منذ فترة مبكرة لدولة السعديين، فحصلت على إذن مكتوب بحرية الملاحة في السواحل المغربية سنة 962-963هـ/1555م[1]، وأصبحت ممثلة في المغرب بصفة دائمة ابتداء من سنة 1577م، وذلك من طرف القناصل أو القائمين بالأعمال أو الوزراء المفوضين. أما سلاطين المملكة المغربية فلم يكن لهم ممثلون مقيمون لدى الحكومة الفرنسية، ولم يصبح لملك المغرب سفير مقيم بباريس إلا ابتداء من سنة 1656م[1].

1- سفارة إدريسية إلى قصر شارلمان:

بعث سلطان فاس "الإدريسي" سنة 801م سفارة أقامت بقصر إمبراطور الغرب شارلمان ، في الوقت الذي وفد فيه مندوب الخليفة العباسي هارون الرشيد نفسه، إلا أن الذي كان يحكم فاس على هذا العهد هو مولاي إدريس الثاني ، إلا أن المصادر المعروفة لدينا الآن لا تجعلنا قادرين على التأكيد بأنه قد أمكن إرسال سفير مغربي إلى قصر شارلمان في مستهل القرن التاسع[2].

2- بعثة لويس كابريط سنة 1576م:

كان الفرنسي لويس كابريط[3] رب سفينة وصاحب ميول إلى المغامرة فتعرف بمدينة الجزائر سنة 1573م على الأمير السعدي مولاي عبد الملك الذي كان يقيم بها آنذاك. و بعد ثلاث سنوات بويع الأمير سلطانا على المغرب فسارع إلى تكليف كابريط بحمل كتاب له إلى الملك هنري الثالث يحيطه علماً بجلوسه على العرش[4]. ووصل الفرنسي المذكور إلى باريس في أواخر شهر جويلية 1576م، فقام بمهمته ثم ذهب إلى إسبانيا بطلب من السلطان أيضاً[5].

---

(1) عبد الهادي التازي: الدبلوماسية المغربية في عشر سنوات، إصدار وزارة الشؤون الخارجية، المغرب2006.

(2) جاك كايي: السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا، في مجلة تطوان للأبحاث المغربية الأندلسية ، ع6، منشورات كلية الآداب معهد مولاي الحسن، تطوان، المغرب1961، ص156.

(3) يعد لويس كابريط رسول السلطان عبد الملك، بعث هذا الأخير سفارة ثانية في: 16 أفريل 1577م، مع الأب دييكو مارتان (Diego martin). انظر: عبد الهادي التازي: المرجع السابق(التاريخ الدبلوماسي)، ج8، ص172.

(4) رسالة هنري الثالث إلى مولاي عبد الملك في شهر نوفمبر 1576م، نشرها هنري دي كاستري بباريس سنة 1905-1911م. انظر: نفسه، ص171.

(5) نفسه، ص172.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

3- بعثة غيوم بيرارد سنة 1577م:

كان غيوم بيرارد حلاقاً جراحاً وأحد رعايا دوق سافوا، فنجح سنة 1574م، بمدينة القسطنطينية في معالجة الأمير السعدي مولاي عبد الملك من داء الطاعون، فظل الأمير معترفاً له بالجميل فلما بويع سلطاناً على المغرب استقدمه وجعله طبيباً له. وفي سنة 1577م، أوفده إلى الملك هنري الثالث لإبرام الحلف بينهما، كما كان يطلب منه في الكتاب الذي كان يحمله بيرارد معه أن يعتمد الحلاق الجراح ممثلا لدى حضرته، وقد وافق الملك هنري الثالث على هذا المطلب[1].

قدّم غيوم بيرارد بتاريخ 10 جويلية 1577م، رسالة اعتماده (قنصلاً للأمة الفرنسية) بالمغرب، "...وهكذا كان بيرارد أول المندوبين الذين مثلوا فرنسا في المغرب بصفة دائمة..." [2]. لقد لعب هذا الطبيب- ولو أنه غير محترف للدبلوماسية- دورا بارزا في توطيد العلاقات الدبلوماسية بين المغرب وفرنسا، "...واستمر على صلة بالبلاط السعدي أيام المنصور بعد وفاة عبد الملك، وقد عهد إليه من طرف المنصور السعدي بحمل رسالة إلى ملك فرنسا هنري الثالث، يخبره فيها باعتلائه العرش، ويجدد الصداقة التقليدية التي تربط بين البلدين..."[3].

كما كلفه ملك فرنسا بتاريخ: 21جمادى الأولى987هـ/16جويلية 1579م، بتقديم تهاني فرنسا لأحمد المنصور، مذكرا إياه بالعلاقات الطيبة التي كانت بينها وبين أخيه المولى عبد الملك، وأن يعمل على تحرير مايوجد من أسرى فرنسيين في المغرب، يقول عبد العزيز الفشتالي: " فقضوا فرض التهنئة، واقتفوا سنن غيرهم من أرسال ملوك الأرض..."[4].

4- سفارة لمولاي أحمد المنصور الذهبي سنة 1583م:

لم نعرف لهذه السفارة ذكراً إلا في رسالة كتبها غيوم بيرارد يوم 28 أوت 1583م، حيث قال: "إن مولاي أحمد المنصور كان يرغب في إرسال سفير وحاشيته مع عدد من الخيول التي كان يريد تقديمها هدية إلى ملك فرنسا على متن سفينتين من سفن روان. "ومن الراجح أن السلطان قد تخلى عن مشروعه نظراً لتلك المصاعب لأننا لم نعثر على ذكر لتلك السفارة في جهة أخرى"[5].

---

(1) جاك كايي: المقال السابق، ص163.
(2) نفسه، ص164.
(3) Henry De Castries: Op.Cite, T2, p22.
(4) أبو فارس عبد العزيز الفشتالي : مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء ، تحقيق عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط، د ت، ص51 .
(5) جاك كايي: المقال السابق، ص165.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

ب– بعثة أحمد بن قاسم الحجري الملقب "بأفوقاي"[1] لفرنسا سنة 1613/1610م:

1- التعريف بالسفير:

قام بعض المغاربة بسفارات إلى فرنسا، ووصفوا مدنها وأوضاعها، ومن هؤلاء" أحمد بن قاسم بن أحمد بن فقيه بن شيخ الحجري الأندلسي" الملقب بأفوقاي وشهاب؛ أصله من قرية أحجار (Ahdjar) بالقرب من غرناطة، خرج منها صغيرا برفقة عائلته باتجاه الساحل الإسباني، حتى يتمكنوا من الهروب من الاضطهاد، دخل المغرب الأقصى سرا في سنة 1599م، ونزل بميناء البريجة (Bérija) واستطاع الوصول إلى السلطان السعدي مولاي زيدان في عاصمته مراكش وعمل عنده مترجما[2]. يقول فان هاربين (Van Herbin)؛ وهو مترجم للغة العربية عن الحجري:"... أنه رجل متحضر وذكي، يتقن الإسبانية والبرتغالية والفرنسية والعربية..." [3]، وقد عاش في مراكش إلى سنة 1046هـ/1636م.

2- ما كتبه السفير في رحلته:

سافر الحجري إلى فرنسا سنة 1611/1610م، وألّف كتابا حول سفره هذا بعنوان:" **مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب أو ناصر الدين على القوم الكافرين وهو السيف الأشهر على كل من كفر**"؛ الذي جمع فيه ملاحظاته حول سفره إلى فرنسا في سنة 1610م، والمقاطعات المتحدة في سنة 1613م، وحجه إلى مكة المكرمة في سنة 1636م. يعتبر كتابه هذا أهم مصدر تاريخي أندلسي كتب بعد قرار النفي بحق الأندلسيين الموريسكيين، فصاحبه أرّخ لفترة بداية القرن 11هـ/17م، وهو بمنأى عن محاكم التفتيش، يجادل المسيحيين واليهود، ويستعرض من خلال ذلك مافعله الإسبان بشعبه، وظروف انتقال هؤلاء إلى شمال إفريقيا. واعتبر خروجهم منها بمثابة هجرة الخلاص[4].

---

(1) عاش في مراكش بعد قدومه مع طائفة الموريسكيين، وعاش بها حتى عام 1046هـ/1636م، كان كاتبا لدى المولى زيدان، وترجمانه الخاص للفرنسية، أشرف على سفارة إلى فرنسا، وزار خلالها مدن: باريس، بوردو، لهافر، امستيردام، لندن، لاهاي. أنظر: عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص13.

(2) Louis Nicolas: Extraits des Mimoires de Breteuil, dans :Sources inédites de l'histoire du maroc, 2emme serie, dynastie filalien, tome v,paris, france 1953, p230.

(3) عبد المجيد القدوري: سفراء عرب في أوروبا 1610-1922م، ط1، الوعي بالتفاوت، الدار البيضاء، المغرب2006، ص17.

(4) أحمد بن قاسم الحجري أفوقاي: المصدر السابق، رحلة أفوقاي (مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب) 1611م/1613م، تحقيق محمد رزوق، ط1، السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ص11.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

3- بعثة مغربية وهمّ موريسكي:

بعد قرار الطرد الذي أصدره العاهل الإسباني فليب الثالث ضدّ طائفة المورسكيين في سنة 1017هـ/1609م، اكترى هؤلاء سفنا فرنسية لتحملهم إلى السواحل المغربية. فاستغل أرباب هذه السفن وضعية المورسكيين ليستولوا على ممتلكاتهم جورا. وفي هذا السياق سافر أبو القاسم الحجري إلى فرنسا قصد **استرجاع ما سرقه البحارة الفرنسيون ونهبوه من إخوته**؛ وقد قام بذلك بأمر من السلطان **زيدان** (1603-1618م):"...وبعد أخذ كل ما كان لهم، أخرجوهم في بعض الجزر من بلاد المسلمين...وأربعة من تلك السفن المنهوبة خرجت من المغرب الأقصى فأحسن المسلمون البربر بالأندلسيين، وجاءوا إلى مدينة مراكش...وطلبوا من السلطان مولاي زيدان أن يأذن في إرسال بعض أصحابهم وأعطانا السلطان (الفرنسي) كتابه وذهبنا..."[1].

4- مهمة البعثة:

لقد توجه الحجري إلى البلاط الفرنسي مشحونا بآلام الجالية المورسكية وآهاتها، فجاءت سفارته انعكاسا لهذا الواقع المرير، فكان يعتبر نفسه سفيرا للمورسكيين قبل أن يكون سفيرا للسلطان، حيث استطاع أن يحقق بعض المكاسب في سفارته أهمها تسوية مرتبات الرياس من أهل الأندلس في مدينة بوردو فيقول:"...توجهت إلى هذه المدينة بعد عام ونصف العام، فوجدتها قد حلت. شكرا لله لأنّ كل الأندلسيين الذين فوضوني لتسوية مسائلهم قد تلقوا بعض الدراهم..."[2].

فقام بسفارته بين سنتي 1611م و1613م، وقد وصلت البعثة إلى أمستردام في سنة 1613م، وكلفت بمهمة استرجاع المكتبة المسلوبة، والتوسط للموريسكيين المحتجزين في فرنسا، وقد وصلت البعثة إلى البلاط الفرنسي وزار أفرادها عددا من المدن الفرنسية وقفلت راجعة إلى المغرب سنة 1613م دون تحقيق أي نتيجة تذكر[3].

5- المغرب وفرنسا من خلال رحلة السفير: تعطي الرحلة صورة حيّة عن تطور اللغة العربية عند المورسكيين، بعد تجربتهم المريرة مع الإسبان، وهذه المذكرات تتضمن وقائع رحلته المؤلمة منذ خروجه

---

(1) أحمد بن قاسم الحجري: المصدر السابق، ص ص 17-18.
(2) نفسه، ص102.
(3) عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص13.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

من الأندلس وحتى وصوله إلى لاهاي في هولندا، مرورا بمراكش، وما يهمنّا من هذه الدراسة هو زيارته لفرنسا في عهد السلطان زيدان.

أدرك أحمد بن قاسم الحجري من حياة أحمد المنصور، الخمس سنوات الأخيرة، وعمل عنده بالترجمة، وأعجب أفوقاي بالسلطان المنصور، وبعلمه وثقافته، حيث ذكر أن لديه مكتبة تحتوي على اثنين وثلاثين ألف كتاب في مختلف صنوف العلم[1].

وقد وصف أفوقاي أحمد المنصور، وقوة جيشه، والوباء الذي حلّ بالمغرب بقوله : " ... ولما بلغنا إلى محلة السلطان مولانا أحمد ابن مولاي محمد الشيخ الشريف الحسني وكان يقرب المدينة بنحو الستة أميال بسبب الوباء العظيم الذي نزل بتلك البلاد، وكان عيد الأضحى في اليوم الآتي من بلوغنا، وخرج السلطان في جنود – لم نظن ذلك – وأعجبني حال الرماة فحزامهم هو أفضل وأحسن وأزين من حزام النصارى بكثير. أما العرب الذين جاؤوا وحضروا مع قوادهم فكانوا تسعة وعشرين ألف فارس، وكذا مائة ماعدا الصبايحية، وفرسان المدينة، والجند الكثير... "[2].

وتحدث عن عاصمة الدولة الفرنسية باريس بقوله: "... هي دار سلطنة الفرنج، وبينها وبين مدينة روان نحو ثلاثة أيام ... بيوتها عالية ... وكلها عامرة بالناس، وديار الأكابر مبنية بالحجر المنجور ... وتقول النصارى إن أعظم مدن الدنيا القسطنطينية ثم مدينة بريش..." [3]. فرحلة أفوقاي تعتبر مصدرا تاريخيا هاما لمعرفة أوضاع فرنسا وإسبانيا خلال القرن السابع عشر الميلادي.

6- صورة الآخر(أوروبا) من خلال رحلة السفير:

أعطى لنا السفير صورة واضحة عن الأوضاع التي كانت تعيشها أوروبا من ملامح التقدم والنمو، على عكس ما كانت تعيشه العوالم الأخرى. بقدرما كان نفوذ أوروبا يزداد ومبادرتها تتسع، كانت الأوضاع في المغرب تتراجع وتتقهقر، فإذا كان أبو القاسم الحجري، يحاور علماء أوروبا ويناقشهم خلال القرن السابع عشر، نقاش الند للند، ويفتخر باعتزاز صريح بانتمائه للحضارة الإسلامية[4].

---

(1) أحمد بن قاسم الحجري: المصدر السابق، ص107.
(2) نفسه، ص46.
(3) نفسه.
عبد المجيد القدوري: المرجع السابق، ص17.
(4) أحمد بن قاسم الحجري: المصدر السابق، ص ص 105-106.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

صوّر لنا السفير الوضع الديني الذي شهدته أوروبا عامة، وفرنسا خاصة حيث يقول: "...وبعد أن ظهر في تلك البلاد رجل عالم عندهم يسمى بلطري، وعالم آخر يسمى بقلبن، وكتب كل واحد منهما ما ظهر له في دين النصارى من التحريف والخروج عن دين سيدنا عيسى...ودخل في المذهب جميع أهل فلنص...وهم أيضا على هذا المذهب أهل سلطنة الإنجلز، وكثير منهم فرنجة"[1].

7- نظرة الحجري للعثمانيين:

لقد خصص الحجري للأتراك مكانة متميزة في كتاباته، فتحدث بإعجاب كبير عن دولتهم، وأظهر الأدوار التي لعبوها في صيانة دار الإسلام، واعتبرهم القوة الوحيدة القادرة على مواجهة المد الأوروبي، ولمس ذلك عندما كان في أوروبا، حيث أدرك أن الأوربيين لا يميزون بين المسلمين عامة والأتراك، فقد تم تقديمه في البلاط الفرنسي بالقول:" هذا رجل تركي لأن الفرنج لا يقولون للمسلم إلا تركي"[2]. بيّن الحجري الخلط الذي وقع فيه الأوربيون، على أنه بسبب الوزن الذي كانت تحظى به الإمبراطورية العثمانية في البحر الأبيض المتوسط، خاصة في دفاعها ونصرتها للمسلمين، الأمر الذي كان يزعج جل أمراء أوروبا[3]، وقد عبّر الحجري عن قلق الأوربيين بقوله:"...وكل واحد من سلاطين النصارى يرتعد ويخاف من سلاطين الإسلام والدين، المجاهدين في سبيل رب العالمين، وهم السلاطين الفضلاء العظماء العثمانيون التركيون..."[4].

لقد بيّنت رحلة أبي القاسم الحجري الجو العام الذي كان يطبع العلاقات الدولية مع مطلع القرن السابع عشر، وتميزت هذه الوضعية بالمواجهات الإسبانية التركية في البحر المتوسط[5].

ج- بعثة أحمد الجزولي (1021-1022هـ/1612-1613م):

كانت فرنسا ممثلة في المغرب بصفة دائمة ابتداء من سنة 1577م، وذلك من طرف القناصل أو القائمين بالأعمال أو الوزراء المفوضين. أما سلاطين المغرب فلم يكن لهم ممثلون مقيمون لدى الحكومة الفرنسية[6]. واستمر معظم مندوبي فرنسا في الرباط وسلا وفي طنجة وتطوان، وقد كانوا

---

(1) أحمد بن قاسم الحجري: المصدر السابق.
(2) نفسه، ص99.
(3) عبد المجيد القدوري: المرجع السابق، ص54.
(4) أحمد بن قاسم الحجري: المصدر السابق، ص71.
(5) سعيود إبراهيم: القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة، القرصنة الإيطالية نموذجا، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع11، المركز الجامعي غرداية، الجزائر رجب1432هـ/جوان2011م، ص148.
(5) جاك كايي: المقال السابق، ص155.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

وحدهم الوسطاء المعتادين بين حكومتي القطرين. إلاّ أن قناصل ملك فرنسا لم يكونوا خلال ما يزيد على قرن إلا تجاراً يباشرون تجارتهم في مرافئ المغرب. ثم إن بعضهم لم يكونوا يتوفرون على الكفايات الضرورية لتسوية القضايا الهامة[1].

1- ظروف البعثة:

وقع حادث خطير بين فرنسا والمغرب سنة 1020هـ/1612م فقد طرد السلطان مولاي زيدان من مراكش على يد أبي المحلي، فتوجه مع بعض أنصاره المخلصين ونسائه إلى أسفي يحمل أنفس أمتعته. وقد كان "جاك فيليب كاسطيلان" [2] قنصلاً لفرنسا بآسفي وكانت له بها سفينة تسمى "نوتردام دو لاغارد"(Notre dame de la garde) اكتراها السلطان بمبلغ ثلاثة آلاف دوقية لينقل أمتعته وخاصة مكتبته[3] ذات القيمة البالغة إلى أغادير، ولما وصلت السفينة إلى مرفأ أكادير لم يرد صاحبها تفريغها ما لم يتسلم المبلغ المتفق عليه سلفاً، ولما تأخر الأداء وشرعت المواد الغذائية تشرف على النهاية توجهت السفينة إلى مرسيليا حيث كان ينوي صاحبها تسليم أمتعة السلطان إلى"الدوق جيز" عامل ولاية بروفانس، إلا أن السفينة لما كانت قبالة سلا اعتقلتها بعض السفن الإسبانية وأعلنت محكمة قادس أنها غنيمة خالصة[4].

كانت العلاقات المغربية الفرنسية جيدة، لولا هذا الحادث المؤسف الذي أغضب مولاي زيدان غضباً كبيراً. فبمجرد ما غادرت السفينة أكادير وقبل أن يسطو عليها الإسبان قرر السلطان إيفاد سفير إلى ملك فرنسا لويس الثالث عشر بعد أن كلفه بالحصول على استرجاع أمتعته ومكتبته التي كانت تحتوي على نفائس المخطوطات والوثائق التي ترجع إلى عهد والده، وقد عين القائد أحمد الجزولي لهذا الغرض[5].

2- مسار البعثة:

بدأت هذه البعثة من ميناء أغادير على ظهر السفينة الفرنسية "نوطردام دو لاغارد"، حيث:

---

(1) جاك كايي:المقال السابق.
(2) فليب دو كاستلون: قنصل فرنسي من منطقة بروفانس الفرنسية في ضواحي مرسيليا . للمزيد من المعلومات عن هذه الشخصية انظر في كتاب هنري دوكاستري: الوكلاء والرحالة الفرنسيين(1660/1530)، ص ص 34-35.
(3) تعود هذه المكتبة إلى السلطان " أحمد المنصور" إذ بعد موته آلت إلى ابنه " مولاي زيدان".وبعد أن عرف المغرب اضطرابات سياسية في عهده،حاول أن ينجو بها بمعاونة الفرنسيين سنة 1612م، بعد أن فقد مراكش لصالح "أبي المحلى".فقام القنصل الفرنسي القبطان"فليب دوكاستلون" بنقلها على متن سفينة فرنسية، فوقعت في أيدي الإسبان، ولم يستردها المغرب إلى اليوم، فهي معروضة في متحف"الأسكوريال" باسبانيا.
(4) جاك كايي:المقال السابق.
(5) نفسه، ص156.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

"توجه أحمد الجزولي مصحوبا بعدة أشخاص وخاصة "ناصر الكارطة" أحد الخصيان وعدد من الخدم إلى هولندا ليتوجه منها إلى باريس"، وفي الوقت نفسه كتب السلطان إلى الولايات العامة للمقاطعات المتحدة (les provinces unies)، التي كان على علاقات طيبة معها، وطلب منها تأييد مطلبه لدى لويس الثامن (عامل ولاية بروفانس)، وقد اجتهد مندوب هولندا بباريس للحصول على تأشيرة للسيد أحمد الجزولي، وصحبه فذهب مسعاه عبثاً، لأن قصر فرنسا لم يرد اقتبال مبعوث مولاي زيدان [1].

وفي شهر أوت 1613م ركب السفير بأمر من ملكه مركباً هولندياً عاد به إلى مرفأ أكادير. وقد عاد السفير بعد إقامته بهولندا يحمل سلسلة ذهبية وقرطاً أهدتهما الولايات العامة إليه وقيمتهما لا تتعدى ستمائة فلورين[2].

3- نتائجها:

– تدهورت العلاقات المغربية الفرنسية، وبالضبط بين المولى زيدان ولويس الثالث عشر، الذي رفض استقبال السفير المغربي أحمد الجزولي، وحجته في ذلك أنّ المخطوطات لم تكن بفرنسا، الأمر الذي جعل السلطان المولى زيدان يشدد الخناق على الأسرى الفرنسيين.

– فشلت هذه البعثة في تحقيق ماأنيطت به من مهام، ولم يتمكن المبعوث المغربي حتى من الدخول إلى البلاط الفرنسي؛ وهذا بسبب تعنت الطرف الفرنسي في مطالبه التي تدور في معظمها حول تحرير الأسرى الفرنسيين الموجودين في المغرب، وكذلك المطالب التجارية للتجار الفرنسيين في المدن الساحلية المغربية خاصة طنجة، وتطوان، فعادت أدراجا إلى المغرب[3].

– كان لهذا الحادث أثره السيء في العلاقات الفرنسية–المغربية امتد لسنوات طويلة. إلاّ أنّ "إسحاق رازيلي"[4] تمكن من إصلاح الأمور؛ عندما نجح في إبرام صلح مع السلطان"عبد الملك" سنة 1631م، ثم مع الموريسكيين سنة 1635م[5].

---

(1) عمل المبعوث أحمد الجزولي جاهدا من أجل ولوج قصر فيرساي، وكان هذا بمساعدة من مندوب هولندا بباريس؛ الذي كانت تربطه به علاقات جيدة، لكن كل مساعيه باءت بالفشل، حيث نجد الرسالة التي بعث بها مولاي زيدان إلى الولايات العامة بتاريخ 27 جوان 1612م، حول هذه الرسالة انظر: Henry De Castries: Op.Cite,T1 , p54 -

(2) عبد الرحمان بن زيدان: المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف، تقديم و تحقيق عبد الهادي التازي، د.ن، الدار البيضاء، 1993م، ص ص 260،268.

(3) Said Rabih : le regard francais sur les envoyé marocains du 17eme et 18eme siècle, mimoire D.E.A, sous la directions de jean-pierre duteil, universitè de saintdenis, paris1999, p23,24.

(4) إسحاق دورازيلي (1635/1587م) كان عضوا في البحرية الملكية الفرنسية،عين حاكما لإقليم أكاديا الكندي سنة1632م إلى غاية وفاته سنة 1635م. انظر: هنري دوكاستري: الوكلاء والرحالة الفرنسيين(1660/1530)، ص ص 41،46.

(5) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص285.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

د– بعثة سيدي فارس سنة (1028هـ/1619م):

1 - التعريف بالسفير:

هو مبعوث مولاي زيدان إلى فرنسا [1]، من أصول أندلسية، قام بهذه السفارة بطلب من المولى زيدان إلى ملك فرنسا لويس الثالث عشر، وهذه البعثة هي تتمة لبعثة "أحمد الجزولي" التي منيت بالفشل، ولم تحقق أهدافها المرجوّة[2].

2 - ظروف البعثة:

كانت الغاية من هذه السفارة نفس الغاية المتوخاة من السفارة السالفة (أحمد الجزولي). ففي جانفي 1619م وصل الفرنسي "كلود ديماس" (Dumas) إلى المغرب؛ بغية الحصول من السلطان مولاي زيدان على تحرير الأسرى الفرنسيين، إلا أن السلطان أراد قبل الدخول في أية مفاوضة أن يحصل على ترضية مطلبه في قضية سفينة كاستيلان، وكانت نتيجة ذلك أن عاد "ديماس" في الحال إلى فرنسا مصحوباً بسفير مغربي هو سيدي فارس؛ المكلف بأن يطلب تدخل ملك فرنسا لويس الثالث عشر لإرجاع المكتبة التي انتزعها الإسبان من كاستيلان، والذي انتزعها بدوره من ملك المغرب. كما كان مكلفاً بأن يطلب إرسال "فرانسوا دورازيلي" إلى مراكش؛ وهو الضابط الشاب المعروف عند السلطان بعداوته للإسبان للنظر في ظروف الاتحاد وتمتينه[3].

"ولم يكن نجاح سيدي فارس أكثر من نجاح أحمد الجزولي؛ فهو لم يتمكن من الشخوص إلى القصر بل حجز على الراجح في المرسى الذي نزل فيه، وظّل طيلة أربعة شهور سجيناً بالدار... دون أن تكون له وسيلة للخروج. ثم إنّ احتجاجاته لم تحل بين "كلود ديماس" الذي عين مكان "فرانسوا دوارازيلي"، وبين الذهاب للتفاوض مع مولاي زيدان" [4]. وقد توجه سفير السلطان ومبعوث ملك فرنسا معاً إلى المغرب قبل نهاية سنة 1619م[5]. فالظروف العامة في هذه الفترة، توحي بتأزّم العلاقات الفرنسية المغربية بسبب تقاعس ملك فرنسا في التوسط لدى الإسبان لاسترجاع المخطوطات التي كانت قد نقلت إلى الإيسكوريال[6].

---

(1) عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص32.

(2) Said Rabih: Op.Cite, p27.

(3) Charles penz: Op.Cite, p38.

(4) جاك كايي: المقال السابق، ص178.

(5) نفسه.

(6) عبد الهادي التازي: المرجع السابق(التاريخ الدبلوماسي)، ص179.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message, purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

3- نتائجها:

– عندما وصل سيدي فاس إلى مرسيليا تخلى عنه "ديماس" (Dumas)، وتنكر له وبذلك أجبر على العودة للمغرب دون إنجاز المهمة.

– رفض لويس الثالث عشر استقبال المبعوث المغربي، الأمر الذي أدى إلى تأزّم العلاقات بين البلدين، وتجلى ذلك في اللهجة الشديدة في الخطابات والمراسلات الدبلوماسية بين الملكين[1].

– مع نهاية هذه البعثة توجهت العلاقات بين المغرب وفرنسا إلى مرحلة جديدة وهي **مرحلة الجمود، والقطيعة الدبلوماسية** دامت من آخر سفارة دبلوماسية في العهد السعدي، وهي سفارة سيدي فارس سنة (1028هـ/1619م)، حتى أول بعثة دبلوماسية في العهد العلوي وهي بعثة محمد تميم سنة (1681هـ/1682م).

ومجمل القول: إنّ البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي؛ ونخص بالذكر الفترة الممتدة من وفاة المنصور إلى نهاية الدولة السعدية، قد عرفت تكليف ثلاثة مبعوثين هم: أحمد بن قاسم الحجري الملقّب"بأفوقاي"، أحمد الجزولي، سيدي فارس ، أرسلوا في عهد المولى زيدان من 1610 حتى 1619م، ثم عرفت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين مرحلة جمود وفراغ دبلوماسي، حيث لم نجد ذكراً لأية بعثة دبلوماسية، حتى تاريخ سفارة محمد تميم سنة 1681م.

– أنّ أغلب الدبلوماسيين الذين أرسلوا في الفترة التي سبقت القرن 11هـ/17م كانوا من فئة القناصل والتجار الأوروبيين والمسيحيين، خاصة الفرنسيين المقيمين بالمغرب الأقصى.

– أنّ أغلب البعثات التي أرسلت إلى البلاط الفرنسي لم تحقق أهدافها المرجوّة، فكان مصيرها الفشل؛ نتيجة تمسك ملوك المغرب بتحقيق مطالبهم، وتعنّت البلاط الفرنسي في إقفال باب التفاوض ومرّت البعثات الدبلوماسية بين المغرب وفرنسا بفترات عصيبة.

– أنّ المبعوث أحمد بن قاسم الحجري الملّقب"بأفوقاي" تمكن من دخول البلاط الفرنسي، وفشل اثنان (الجزولي وسيدي فارس) لعدم رغبة ملوك فرنسا استقبالهم.

– أنّ المبعوثين الثلاثة للبلاط الفرنسي في هذه الفترة كانوا من أصول أندلسية ما يبيّن أهمية هذه الطائفة في السلك الدبلوماسي للمغرب الأقصى.

---

(1) جاك كايي: المقال السابق، ص179.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

مع نهاية القرن السابع عشر أخ ذت حركة الجهاد البحري تضعف ؛ بسبب تفوق التقنيا ت الملاحية، والعسكرية للأساطيل الأوربية، وكان لتراجع هذا النشاط، واسترجاع المغرب لمنافذه البحرية، وأهمية موقعه على طرق التجارة والملاحة العالميتين أثره على تنمية المبادلات التجارية مع دول أوربا خاصة عبر ميناء سلا وتطوان[1]، وقد تطلب تطوير هذه التجارة مع الأوربيين وتمتين العلاقات الدبلوماسية مع حكامهم تسوية مشكلة الأسرى. ولذلك أولى السلطان مولاي إسماعيل عناية كبرى لافتكاكهم أو ضمان حسن معاملتهم. فتبادل مع فرنسا من أجل ذلك العديد من السفارات كسفارة محمد تميم إلى لويس الرابع عشر سنة 1681م، وسفارة عبد الله ابن عائشة سنة 1698م.

اختار السلطان مولاي إسماعيل التحالف والصداقة مع فرنسا، باعتبارها الدولة الوحيدة التي لم تكن تحتل آنذاك أي شبر من تراب المغرب، مقارنة مثلا مع إسبانيا والبرتغال وبريطانيا التي كانت تحتل أجزاء من المغرب، بالإضافة إلى أن فرنسا كان لها حضور قنصلي قوي في البلاد، مع تطلعها إلى تنمية التبادل التجاري بين البلدين، وحل مشكل الأسرى، وإقصاء انجلترا من طنجة، وشل جهودها الهادفة إلى الانفراد ببعض جزر الشاطئ المتوسطي ، "كما يرى البعض أن مولاي إسماعيل كان في حاجة لهذا التحالف، للظهور أمام السلطان العثماني بمظهر القوة والعظمة"[2].

وسأحاول من خلال هذه الدراسة التعريف بأهم السفارات التي أرسلها السلطان المولى إسماعيل إلى بلاط لويس الرابع عشر، في إطار تحريك عجلة الدبلوماسية بين المغرب وفرنسا، وهي:

1- بعثة الحاج محمد تميم 1681-1682م: حيث اختار المولى إسماعيل الحاج محمد تميم كسفير للمغرب في فرنسا، وتمثلت أولى مهامه في التوصل إلى اتفاق بخصوص الهجمات التي كانت السفن الفرنسية تتعرض لها من قبل السفن التابعة للأسطول المغربي.

2- بعثة الأميرال عبد الله بن عائشة 1698/1699م: إلى بلاط لويس الرابع عشر من المحاولات التي كانت تهدف إلى مشروع عقد سلام بين البلدين، يتم من خلاله استئناف المفاوضات ، والتوصل إلى حل مرض لقضية أسرى الجانبين.

---

(1) عبد الله العمراني: سياسة مولاي إسماعيل الخارجية، في مجلة البحث العلمي، ع 4-5، المغرب1965م، ص26.

(2)Auguste Cour: L'établissement des dynasties des chérifs et leur rivalité avec les Turces de la régence d'Alger (1509-1830), Paris, 1904, p31. Et Laroui Abdallah: l'Histoire du Maghreb, Paris, 1970, p255.

This document was created using SmartPDF Creator. To remove this message, purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

المبحث الأول:

بعثة الحاج محمد تميم 1681-1682م

مرت علاقات المغرب الخارجية بتقلبات عديدة، عكست واقع العلاقات الدولية آنذاك، وواقع ومكانة المخزن الدولية والمحلية. ونتج عن هذه العلاقات توقيع عدة اتفاقيات بين المغرب والدول الأجنبية شكّلت كلها إطارا لامتيازات أجنبية في المغرب، جسدت سلسلة التنازلات التي كان يقدمها المخزن لهذه الدولة أو تلك، في إطار معاهدات الصداقة والتجارة، أو تسوية الخلافات السياسية الناجمة عن الاصطدامات المسلحة، بسبب الأطماع الأجنبية في المغرب ، لذا أرسل سلاطين المغرب مبعوثين دبلوماسيين يمثلونهم في إطار السياسة الخارجية.

وفي عهد الدولة العلوية ، وبالذات في عهد السلطان المولى إسماعيل (1082هـ/1672م-1139هـ/1727م)، كثفت فرنسا من مبعوثيها إلى المغرب لكن دون التمكن من إحراز تقدم في قضية الأسرى، لذا أرسل الحاج محمد تميم [1] في واحدة من أهم البعثات المغربية [2] إلى بلاط لويس الرابع عشر في شتاء سنة 1681م، من قبل السلطان المولى إسماعيل؛ من أجل تسوية مسألة الأسرى، والتجارة، والقرصنة. وسأحاول إيجاز هذا المبحث فيما يلي:

أ- التعريف بالسفير.

ب- الظروف الممهدة لبعثة محمد تميم.

ج- الوفد المكون للبعثة.

د- الظروف المرافقة لهذه البعثة.

هـ- مجريات البعثة.

و- نتائج البعثة.

---

(1) الحاج محمد تميم سفير السلطان المولى إسماعيل إلى باريس سنة 1682م، من خلال رسم محفوظ بالخزانة الوطنية بباريس. على يسار السفير السيد دو رايموندين (de Raymondis)، وعن يمينه حاكم سلا، ثم الحاج عبد القادر حفيد تميم، والمراكشي حفيد حاكم سلا. انظر: عبد النبي ذاكر: المغرب وأوروبا نظرات متقاطعة، ط2، المغرب2007، ص33.

(2) "أما عن بعثة الحاج محمد تميم المشهورة عام 1682م، فقد احتفظت لنا الصحافة الفرنسية بتقرير مفصل عنها، كما احتفظت لنا الصحافة الفرنسية بتعاليق كثيرة عن ذلك العصر. بل لقد وصلتنا لوحة "أنطوان تروفان " (AntoineTrouvain) التي رسمت كتذكار لزيارة السفير ، وأصدقائه للمسرح لأول مرة، وكم ستكون المقارنة أكثر خصوبة لو عُثِر على تلك المدونة التي أبدى فيها الحاج محمد تميم شهاداته عن فرنسا، والمسماة بـ "كتاب العجائب"، والتي يبدو أن "الأب كَودار" (Pierre de Godard) في كتابه "تاريخ المغرب" يعتقد بوجودها ". انظر: عبد النبي ذاكر: "الرحلات المغربية إلى أوروبا مدخل ببيليوغرافي"، في مجلة المناهل، ع55، مطبعة دار المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربية، المغرب1997، ص41.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

1- بعثة محمد تميم إلى فرنسا سنة (1681-1682م):

أ- التعريف بالسفير:

لم تذكر المصادر التاريخية المغربية، والأجنبية المعلومات الكافية عن الحاج محمد تميم (الأول)، الذي ذاعت شهرته من خلال سفارته إلى باريس التي أوفده إليها المولى إسماعيل حاملاً إلى ملكها لويس الرابع عشر كتاب اعتماده ورسالة إليه، الحاج محمد تميم الملقب "بالأول"، عامل مدينة تطوان ثم سلا في عهد القائد علي بن عبد الله الريفي الحمامي؛ هذا الأخير كان نائبا للسلطان المولى إسماعيل في شمال المغرب، حيث اقترح عليه تعيين محمد تميم سفيرا له إلى البلاط الفرنسي[1].

يذكر محمد داود في كتاب تاريخ تيطوان "أنّ السلطان المولى إسماعيل كان قد أسند حكم جلّ الشمال المغربي إلى القائد علي بن عبد الله،... ونظرا لاتساع الشمال تمّ إسناد الحكم لبعض الأشخاص؛ ليباشروا تحت إشرافه الأحكام المدنية في بعض المدن[2]، و"محمد تميم الأول" أحد أولئك الحكام المحليين في مدينة تطوان، شغل منصب باشا تطوان، ثم سلا، ثم كأول سفير أرسله جلالة الملك إسماعيل إلى بلاط لويس الرابع عشر[3].

ب- الظروف الممهدة لسفارة محمد تميم:

لم تتمكن فرنسا من حل مشكلة الأسرى بالمغرب، والمرتبطة بالقرصنة خلال فترة حكم مولاي الرشيد[4] لذلك ستتجدد المساعي الفرنسية، على عهد مولاي إسماعيل، للتوصل إلى حل يرضي الطرفين فيما يخص هذه المسألة، وقد أظهر مولاي إسماعيل تفهما كبيرا[5] في هذا الصدد، منذ بداية حكمه نظرا للرغبة الأكيدة التي كانت تراوده من أجل تمتين أواصر الصداقة مع فرنسا، خصوصا وهو في حاجة ماسة إلى سند مادي ومعنوي من أجل إقرار الأمن داخل البلاد، وصد الأعداء على الحدود ورفع مكانته وسمعته بين الأمم، وبذلك يتضح لنا أن مصالح فرنسا والمغرب كانت تفرض على لويس الرابع عشر ومولاي إسماعيل العمل على تبديد كل سوء تفاهم بينهما، مستعملين في ذلك الطرق الدبلوماسية من القناصل والسفراء[6].

---

(1) محمد حبيب الخراز: المرجع السابق، ص21.
(2) محمد داود: المصدر السابق، ص262.
(3) نفسه.
(4) Charles penz: Op.Cite p92.
(5) Henry De Castries: Op.Cite, T1, p424.
(6) كان للفرنسيين تمثيل قنصلي بالمغرب منذ الربع الأخير من القرن 16م، وعلى العكس من ذلك لم يكن للمغرب أي قنصل بفرنسا حتى سنة 1656. انظر: - Jacques Caillés, Op.Cite, p92

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

1 –رسالة تهنئة من لويس الرابع عشر إلى مولاي إسماعيل:

وسعيا وراء خطاب ود المغرب، ما إن علم نائب القنصل الفرنسي [1] بسلا السيد "فرانسوا جوليان باراصول" (julien parasol) بوفاة مولاي الرشيد، والإعلان عن أخيه مولاي إسماعيل سلطانا على المغرب، في أفريل 1672م، حتى ذهب لتقديم تهاني فرنسا إلى السلطان الجديد، الذي استقبله استقبالا حسنا ووعده بضمان حرية التجارة الفرنسية بالمغرب[2].

"...وبعد شهور قليلة وصل مولاي إسماعيل خطاب لويس الرابع عشر، الذي يهنئه بدوره باعتلائه عرش المغرب، ويشكره على الوعود التي قدمها لصالح التجارة الفرنسية ببلاده، وعلى الاستعداد الطيب الذي أبداه لحل مسألة الأسرى، وذكر بأن التفاهم كان دائما يخيم على علاقات فرنسا مع أسلافه من ملوك المغرب، وفي الأخير أوصاه خيرا بمبعوثه "صمويل روي (samuel roy) الذي أرسله إليه للتباحث معه في مسألة الأسرى واقتراح مبادلتهم..." [3]. غير أن سفارة "صمويل" هذا لم تتم؛ لأن مولاي إسماعيل لم يقبل بمفاوض له مجرد تاجر بسيط[4].

2- قضية القرصنة وتحرير الأسرى الفرنسيين بالمغرب:

استجاب مولاي إسماعيل بالفعل لطلب لويس الرابع عشر المتعلق بالأسرى، فمنح جواز سفر للرجال الذين من هيئة الميرسيدير (mercédaires)[5]، الذين لم يحلوا بالمغرب إلا سنة 1674م، وهو التاريخ الذي توصلوا فيه إلى ترخيص لويس الرابع عشر[6].

---

(1) عين أندري برا (André Prat) قنصلا للمغرب سنة 1629، ثم خلفه ابنه هنري برا (Henry Prat) في نفس المنصب سنة 1648م، وإلى التاريخ الذي نتحدث عنه، غير أنهما كانا يسيّران قنصلية سلا وتطوان من مقر عملهما بمرسيليا مكتفين بتعيين نواب عنهما بالمغرب. انظر: - Henry De Castries: Op.Cite, T2, p512

(2) Ibid, p434.

(3) هذه الخطاب كان مجهولا في الأصل لكن الوثائق المجودة في أكس آن بروفانس وضحت ذلك انظر:
- Charles penz: Op.Cite, p52.

(4) في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر الميلاديين، تأسست هيئتان دينيتان بفرنسا من أجل جمع الأموال الضرورية من تبرعات المحسنين، والميسورين ومن أسر المستعبدين في مختلف سجون الدول الإسلامية، وبحوض البحر الأبيض المتوسط على الخصوص سعيا وراء افتداء الأسرى بهاته الدول، نشأت هيئة الثالوثيين (Trinities) أو الماتوريين نسبة إلى أحد مؤسسيها جان دو ماطا (Jean de Matha) سنة 1198م، وتأسست هيئة المرسيدر أو آباء الرحمة (les Mercedaires) سنة 1218م. أنظر:
- Ibid, pp57,76.

(5)Ibid, p76 .

(6) le per Dan: Op.Cite p335.

This document was created using SmartPDF Creator. To remove this message, purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

غير أن نتائج أخرى سنة 1679م، لم تكن مرضية بالنظر إلى عدد الأسرى الضئيل الذين تم افتداؤهم، فاستتبع ذلك إرسال قوات بحرية بأمر من لويس الرابع عشر إلى شاطئ سلا في بداية سنة 1680م[6] بقيادة الملازم "شاطو رونو" (château Renaud)[1] التي كان مآلها الفشل.

وهنا نتساءل عما إذا كان هذا التشنج الطارئ في العلاقات بين البلدين، يعزى إلى ما أشيع من خبر مفاده أن لويس الرابع عشر أعّد خمسين سفينة حربية مسلحة، ترافقها سفن أخرى محملة بالأحجار والجير من أجل بناء حصن بالقصر الصغير ليصبح مكانا صالحا لتجمع القوات الفرنسية في السنة القادمة[2].

والواقع أن لويس الرابع عشر كان يمزج بين الليونة والقوة، فيما يخص سلطان المغرب على حل مشكلة الأسرى الفرنسيين، وجعل حد "للقرصنة المغربية" ؛ التي تعرقل حركة التجارة الفرنسية باعتراض السفن المتجهة إلى آسيا وإفريقيا وأمريكا، والقادمة من نفس المناطق[3].

ومن هذا المنطلق، يتضح سبب التعليمات المرفقة بمشروع إبرام السلم، و الواردة على "شاطو رونو" بضرورة أخذ تصميم لموانئ آسفي وسلا [4]، والأوامر التي تلقاها"جان ديستري" [5] في شهر أفريل 1680م، ليبحر بسفنه إلى سلا وينضم هناك إلى "شاطو رونو"، حتى يرعب وجود الأسطولين الفرنسيين، السلاويين ويجبرهم على الجنوح إلى السلم، ثم تضيف نفس الأوامر والتعليمات أنه بإمكان "جون ديستري" أن يمدد إقامته، إذا كان هناك أمل في إمكانيات إبرام معاهدة [6]، وبذلك يبدو أن فرنسا كانت ترغب في تحقيق السلم مع المغرب.

ومما يزكي هذا الطرح ماجاء في رسالة تحمل تاريخ 12 أوت 1680م، بعث بها "بيير دو كاطالان" (Pierre de Catalan)[7] من قادس إلى "كلوبير" Colbert[8]، يخبره فيها أن "شاطو

---

(1) Ibid.
(2) Gerain Mouette: Histoire des conquêtes de Moulay Ismail ,Paris 1983, p375.
(1) Paul Masson: Histoir des etablissements et du commerce Français dans l'Afrique Barbaresque (1560-1793), Paris 1903, p206.
(3) Ibid.
(4) Henry De Castries: Op.Cite, T1, p480.
(5) أصبح نائب أميرال منذ سنة 1669م، ثم مارشال في البحرية سنة 1681م، ليرتقي إلى نائب الملك بأمريكا، انظر:
-Ibid, p284.
(6) Ibid, p487.
- Ibid, p298.
(7) قنصل فرنسا بقادس، انظر:
(8) مستشار لويس الرابع عشر وأمين ماليته والمكلف بالشؤون البحرية.

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

رونو" قد أنزل ضباطا بمصب تاهدارت[1]، كلفهم بالذهاب إلى القصر الكبير من أجل التفاوض مع القائد عمر بن حدو [2]، وإبرام السلم معه، لكن المفاوضات فشلت، وعلى إثر هذا الفشل ظهرت مشاعر عدائية فرنسية ضد المغرب، إذ وردت على لويس الرابع عشر عدة تقارير ومذكرات، تتعلق بالحرب الحاسمة التي يجب القيام بها ضد السلاويين.

3- معاهدة المعمورة:

توصل "دو لابار" (De la Barre)؛ مبعوث لويس الرابع عشر إلى إبرام هدنة (اتفاقية المعمورة) مع القائد عمر بن حدو يوم 13جويلية 1681م، التي تضمنت 16 بندا، ينص البند الرابع منها على تبادل الأسرى بين الطرفين رأسا برأس باستثناء أولئك الذين أسروا منذ شهر ماي[3].

وبعد اطلاع لويس الرابع عشر على بنود هذه المعاهدة، لم يرتح لعمل "دولابار"، ومما زاد في غضب الملك الفرنسي تجاه معاهدة المعمورة، مسألة تبادل الأسرى في البند الرابع، فكان رد فعله على أعلى مستوى وقام بتوبيخ "دو لابار"، كما بعث لويس الرابع عشر في 26 أوت 1681م رسالة إلى"شاطو رونو"، يخبره فيها أنه يرفض التصديق على معاهدة المعمورة، ويأمره بمواصلة الحرب ضد السلاويين حتى يتم القضاء عليهم بصفة نهائية، أو يطلب سلطان المغرب السلم بشروط مقبولة[4].

أمام هذه الظروف قرر المولى إسماعيل إرسال سفير إلى فرنسا تمثل في شخص محمد تميم، فإذا كانت الرسالة المذكورة، يضيف مولاي إسماعيل، هي رسالة لويس الرابع عشرحقيقة، فإنه يلبي كل ما ورد فيها وأكثر إذا كان العكس، فما على لويس الرابع عشر إلا أن يفصح عن رغباته للسفير المغربي، وبمجرد عودته مرفوقا بسفير فرنسي أم بدونه، ستتم الاستجابة لكل الرغبات المعّبر عنها[5].

ج– الوفد المكون للبعثة: لم يتمكن المغرب في عهوده السابقة من إفادة تمثيله دبلوماسية دائمة إلى الدول التي تربطها به علاقات الصداقة أو المعاهدات، وذلك بسبب ضآلة الإمكانيات المادية، وعدم

---

(1) نهر يصب في المحيط الأطلسي بين رأس سبارطيل وأصيلا يبعد بحوالي خمسة أو ستة فراسخ عن مدينة القصر الكبير مقر القائد عمر بن حدو. أنظر: محمد حجي: المرجع السابق (معلمة المغرب)، ص189.

(2) عمر بن حدو ا لحمامي قائد القصر الكبير ونائب السلطان على الغرب والمكلف بقيادة طنجة. انظر: محمد حبيب الخراز: المرجع السابق، ص28.

(3) عبد الهادي التازي: المرجع السابق (التاريخ الدبلوماسي)، ج9، ص71.

(4) نفسه.

(5) Henry De Castries: Op.Cite p567-570.

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

تأطير الأشخاص للعمل الدبلوماسي من حيث الكفاءة العلمية واللغوية، ولذلك غالباً ما يصاحب السفير المغربي وفد يضم عدداً من الأشخاص؛ من أجل الترجمة أو تحرير محضر أو كتابة معاهدة إلى اللغة العربية وقد يتخذون شهوداً في الاتفاقيات المبرمة بين البلدين [1]. وسفارة الحاج محمد تميم على حسب ما ذكر جاك كابيي : "كانت تتكون من سبعة أشخاص، أو ثمانية ذكر بعض الأسماء منها: ابن أخ السفير الحاج محمد تميم الثاني، والحاج علي معينو، والحاج عبد القادر قائد سلا"[2].

د- الظروف المرافقة لهذه السفارة:

لم يجب لويس الرابع عشر على رسالة مولاي إسماعيل المتعلقة بإرسال سفير مغربي إلى فرنسا فحسب، ولكنه تلقى خبر مجيء مبعوث مغربي إلى باريس باشمئزاز، بل وطلب أن يعاد إلى بلاده [3]، ولم يقبل مجيء هذا السفير إلا بعد أن علم أن عددا مهما من الأسرى السلاويين اقتيدوا إلى مرسيليا ووزعوا على سفنه للعمل بها كمجذفين، "وهذا المكسب في نظر لويس الرابع عشر سيعمل على تغيير بنود معاهدة المعمورة"[4]، التي لم تكن في صالح فرنسا بصفة عامة، كما أن ضمانات قدمت للملك الفرنسي حول ميول محمد تميم للفرنسيين وعدائه للإنجليز، الذين كانوا يحيكون الدسائس ضد فرنسا في البلاط المغربي، ومن ناحية أخرى، فبما أن السفير المذكور سيصل إلى فرنسا، فإن الأوربيين سيفهمون من ذلك أن مولاي إسماعيل ، هو الذي يطلب السلم وهذا ما يحفظ لملك فرنسا كرامته التي اعتقد أنها أهينت في المعمورة[5].

وحتى يزول كل التباس في هذا الصدد، قرر المولى إسماعيل إرسال سفير إلى فرنسا تمثل في شخص محمد تمتم، "...فإذا كانت الرسالة المذكورة، يضيف مولاي إسماعيل، هي رسالة لويس الرابع عشر، حقيقة، فإنه يلبي كل ما ورد فيها وأكثر إذا كان العكس، فما على لويس الرابع عشر إلا أن يفصح عن رغباته للسفير المغربي، وبمجرد عودته مرفوقا بسفير فرنسي أم بدونه، ستتم الاستجابة لكل الرغبات المعّبر عنها..."[6].

---

(1) محمد حبيب الخراز: المرجع السابق، ص24.
(2) نفسه.
(3) Henry De Castries: Op.Cite, T1, p564.
(4) Charles penz: Op.Cite, p100-101.
(5) من هذه الدسائس، ما روجه الإنجليز عن نوايا الفرنسيين في احتلال طنجة. انظر:
-Henry De Castries: Op.Cite, p378.
(6) Ibid, p567-570.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

ويلاحظ أنه لم تمض سوى بضعة أيام على كتابة هذه الرسالة، حتى بعث السلطان المغربي برسالة أخرى إلى لويس الرابع عشر يوم 15 سبتمبر 1681م، تتناول موضوعين بعيدين عن السياسة، لكن لهما صلة بالدين الإسلامي، ويتعلق الموضوع الأول بمعرفة ما إذا كان لويس الرابع عشر لا زال يحتفظ بالرسالة التي كان قد أرسلها النبي محمد (ص) إلى هرقل، باعتبار أن الفرنسيين يرجعون في أصلهم إلى ملك الروم[1]، أما الموضوع الثاني فيتعلق بدعوة لويس الرابع عشر إلى اعتناق الإسلام[2].

إن المتأمل في الرسالة الأولى ذات الطابع السياسي، والرسالة الثانية ذات الطابع الديني، وباعتبار الإيمان القوي الذي كان يغمر قلب مولاي إسماعيل المجاهد في سبيل الله، وباعتباره ينحدر من السلالة النبوية الشريفة، لا يجد أي تناقض بين موضوعي الرسالتين، إذ أن المؤمن الحقيقي لا يجب أن تبعده المسائل الدنيوية كلية عن الأمور الدينية، ومن واجبه أن يسدي النصح في كل وقت وحين، ولأي كان لما في ذلك من ثواب[3].

ومن جهة أخرى، فقد استغل مولاي إسماعيل الظروف الممهدة لربط علاقاته مع فرنسا، لكي يطلع لويس الرابع عشر وهو الملك الفرنسي الذي يلقب بالمسيحي جدا (Le roi très Chrétien)[4]، على أن تمسك سلطان المغرب بدينه وأصالته لا يساويه أي شيء، وأنّ الدفاع عن حوزة البلاد وسيادتها ضد كل عدو حتى ولو كان لويس الرابع عشر هو مسؤولية دينية ملقاة على كاهل المولى إسماعيل، الذي يعرف أن شخصية الملك الفرنسي قوية، وبالتالي فإن هذا الأخير لا يمكن أن يتحالف إلاّ مع من يساويه في هاته القوة [5]. كل هذه الظروف مهّدت لوجود تمثيلية دبلوماسية مغربية على الأراضي الفرنسية، فما هي مجريات ومظاهر هذه البعثة؟

---

(1) يخاطب مولاي إسماعيل لويس الرابع عشر في رسائله تارة بالإمبراطور ملك الرومان والفرنسيين، وتارة أخرى بملك فرنسا وامبراطور الرومان، ويفسر هذا الخطأ حسب البعض بما أورده ابن خلدون من كون العرب في عهد النبي محمد (ص) لم يكونوا يعرفون الإفرنج Les Francs، ولم يكونوا يحاربون غير الروم ببلاد الشام، وكانوا يتصورون أن هذه الأمة كانت تحكم كل الشعوب المسيحية، وأن هرقل كان ملك كل المسيحيين، انظر:

- Henry De Castries: Op.Cite, p567.

(2) Ibid, p p 571-573.

(3) وجه مولاي إسماعيل دعوته لاعتناق الإسلام إلى جيمس الثاني، وإلى الكثير من السفراء والمسيحيين الذين زاروا المغرب.

(4) للمزيد من المعلومات حول شخصية الملك. أنظر غازي مختار طليمات: الوجيز في تاريخ الحضارة، ط 1، دار طلاس للدراسات والنشر، بيروت، لبنان2000، ص17.

(5) هناك من يعيب على مولاي إسماعيل هذا التصرف، ويرى فيه تصرفا ساذجا وغير حكيم. انظر:

- Charles penz: Op.Cite, p99.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message, purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

هـ- مجريات البعثة:

كانت سفرية "محمد تميم" شاقة للغاية بسبب مخاطر البحر، وأهوال القرصنة، ومسافة السفر عبر عدّة موانئ، حيث "ركب يوم 21 سبتمبر 1681م من ميناء "تاحدرت" [1]، على ظهر سفينة "دولابار"، وبعد سفر شاق توقفت بمرفأ لشبونة، ثم رست بميناء بريست (Brest)[2] يوم 17 أكتوبر 1681م، وهناك تعرض للمماطلة المقصودة من أجل معرفة سبب قدومه ، لكن السفير المغربي رفض إطلاع أي شخص عن مهمته، وعلّل ذلك بأن مهمته أخطر من أن يطّلع عليها مجرد موظفين صغار، وإن كانوا يتصرفون باسم الملك، غير أن محمد تميم وافق في النهاية على أن يطلع "ريموندي" (Raymondis) [3]؛ الذي كسب ثقته، على أوراقه، وبذلك لم يصل إلى باريس إلّا بتاريخ: 30 ديسمبر1681م من نفس السنة، وهناك تم استقباله ببرودة في غياب أي استقبال رسمي، بأمر من لويس الرابع عشر[4].

وفي يوم 4 جانفي 1682م، رافق "بونوي" (Bonneluil)[5] محمد تميم إلى سان جرمان (Saint Germain) ليقدمه إلى لويس الرابع عشر، وفي مدخل القصر كان الحراس يشكلون سياجا لحماية السفير المغربي[6]، لكنهم كانوا غير مسلحين[7]. استقبل لويس الرابع عشر، محمد تميم في نفس اليوم بقصره بسان جرمان، وبعد أن ألقى السفير المغربي كلمته عبّر خلالها عن فرحته بزيارة فرنسا وملكها، رد على ذلك لويس الرابع عشر، ثم تسلم منه أوراق اعتماده، وفي نهاية الجلسة كلف العاهل الفرنسي كلّا من الماركيز "دو كرواسي" (Marquis de Croissy) [8]، والماركيز "دوسينيولاي"

---

(1) يقع هذا الميناء في شمال المغرب، وهو بمثابة الميناء الرئيسي لمدينة تيطوان. انظر: محمد داود: المصدر السابق، ص 66.

(2) يوجد هذا الميناء في الشمال الغربي لفرنسا، يشبه جزيرة بريطاني انظر: - Ibid, p593.

(3) رجل في بحرية الشرق برتبة ماجور، والمكلف بمرافقة السفير المغربي. انظر: - Ibid, p590.

(4) Charles penz: Op.Cite, p 109-120.

(5) هو الشخص المكلف بتقديم السفراء إلى لويس الرابع عشر. انظر: Henry De Castries: Op.Cite, p633.

(6) Charles penz: Op.Cite .

(7) إنّ سوء المعاملة التي تعرض لها محمد تميم سوف تنعكس على السفراء الفرنسيين الموفدين إلى المغرب الذين سيعاملون بالمثل.

(8) هو الأخ الثاني لكولبير، شغل مهمة كاتب الدولة في الشؤون الخارجية بفرنسا من سنة 1679م إلى 1696م. انظر: Henry De Castries: Op.Cite, T2, p202.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

(Le Marquis de Seignelay)؛كاتب الدولة في البحرية، نائبين عنه في التفاوض مع سفير المغرب، ومعرفة اقتراحه فيما يخص معاهدة السلم والتجارة بين فرنسا والمغرب[1].

1- المعاهدة المنبثقة عن هذه السفارة (29 جانفي 1682م):

ابتدأت المفاوضات بين الجانبين يوم 5جانفي1682م، استمرت ما يقرب من شهر، وخلال هذه المدة توصل الطرفان إلى إبرام معاهدة سان جرمان أون لاي (saint Germain en Laye) يوم 29 جانفي من نفس السنة، وقد تضمنت هذه المعاهدة مقدمة وعشرين بندا. إنّ المتفحص لبنود معاهدة يوم 29جانفي1682م بسان جرمان، يتكون لديه اقتناع بأن جل بنود هذه المعاهدة كانت في صالح فرنسا وحتى يتضح ذلك سنحاول مناقشة بعضها:

- يقضي **البند الخامس** من المعاهدة بصفة عامة، بأن يدافع المغرب عن السفن التجارية الفرنسية بعرض المياه المغربية، ويحميها إذا تعرضت لاعتداء الجزائريين والتونسيين، أو أي عدو من موانئ إفريقية أخرى، والشيء نفسه ستقوم به فرنسا اتجاه المغرب، أي أن الدفاع عن السفن التجارية للبلدين ضد الأعداء سيكون متبادلا، مما يعني ظاهريا أن الطرفين توصلا إلى إبرام تحالف عسكري بينهما، لكن الواقع شيء آخر إذ يمكن القول إنّ هذا البند من المعاهدة سيخلف مشاكل كبيرة للمغرب في حالة تطبيقه، باعتبار أن مجاهدي البحر في بلاد المغرب كانوا يستعملون البحر الأبيض المتوسط الغربي دون أي اعتبار للحدود وكان التعاون متبادلا بينهم [2]، يظهر ذلك من رسو السفن المغربية بالموانئ الجزائرية قصد التزود بكل ما يحتاجونه تموينا وإصلاحا وتجارة، ولذلك كان هدف المفاوضين الفرنسيين من هذا البند تفكيك هذه الروابط الأخوية التي تربط بين أبناء العقيدة الواحدة والإقليم الواحد ليرتاحوا بذلك من بطش القراصنة الطرابلسيين والتونسيين، والجزائريين على الخصوص، الذين خاضوا في النصف الثاني من القرن 17م معارك دامية ضد الفرنسيين [3]. "وهذا ما سيخلق مشاكل لمولاي إسماعيل، لأنه إن طبق هذا البند سيصبح بمثابة دركي لفرنسا في الجنوب الغربي لحوض البحر الأبيض المتوسط و المدافع عن مصالحها، في وقت كان يعرف لويس الرابع عشر أن سفنه لن تضطر قط

---

(1) أنظر معاهدة السلم والتجارة بين المغرب وفرنسا في ملاحق الرسالة.

(2) Henry De Castries: Op.Cite, p395.

(3) De Grammont: Op.Cite, pp 214 – 217.

- Eugéne Plantet: Op.Cite ,Correspondence, T1, pp 59-60.

This document was created using Smart PDF Creator to remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

للدفاع عن السفن التجارية المغربية ضد الأعداء، لأن المغرب في هذه الفترة لم يكن يتوفر على أسطول بحري يمكنه من حمل بضائعه إلى الموانئ الأوربية، كما أن التجارة الخارجية المغربية لم تكن قد حققت من التطور ما يجعلها تغزو أسواق أوربا. وبما أن المادة السادسة من المعاهدة مرتبطة بالخامسة، فإن الحكم الذي جرى على الأولى يجري على الثانية[1].

- **أما البند السابع**، فإن أهم ما يمكن ملاحظته فيه، هو أن الفرنسيين فضلوا حل مسألة الأسرى عن طريق الافتداء، بدل التبادل الذي نصت عليه معاهدة المعمورة، وهو عمل مقصود لأنه يحقق رغبة لويس الرابع عشر في الاحتفاظ بالأسرى المغاربة المجذفين، ويضمن تحرير الرعايا الفرنسيين الأسرى بسجون مولاي إسماعيل، علما منه بأن المغاربة الخاضعين للأعمال الشاقة بسفنه، لن يتمكنوا ولا ملكهم من إرسال المبالغ المالية الضرورية لافتدائهم [2]. وقد ظل هذا البند طيلة عصر مولاي إسماعيل ولويس الرابع عشر من المشاكل العويصة التي حالت دون تحسين العلاقات بين البلدين.

- وجاء **البندان التاسع والعاشر** ليقضيا بتقديم المساعدة للسفن الفرنسية الغارقة بالشواطئ المغربية لسبب من الأسباب، ولمنح كل التسهيلات للتجار الفرنسيين بأرض المغرب. ومن المعلوم أن هذه الامتيازات كانت أحادية الجانب لأن المغاربة لن يصلوا قط بسفنهم وتجارهم إلى الموانئ الفرنسية.

- وبموجب **البند الثاني عشر**، يسمح لإمبراطور فرنسا بتعيين قنصل بسلا وتطوان، أوفي أي مكان آخر يراه مناسبا، وبذلك طرأ تغيير مهم على معاهدة المعمورة فيما يخص مصلحة فرنسا[3].

وباستعراضنا لما سبق نستنتج: أن السفير المغربي محمد تميم أبرم معاهدة مع الفرنسيين كانت كل موادها تقريبا في صالح فرنسا، فهل انساق هذا السفير لرغبات الفرنسيين تحت تأثير المناظر الطبيعية والعمرانية والأثرية التي زارها، وحضور الحفلات الفنية وإعجابه بجو باريس طبقا لخطة محكمة أعدها الفرنسيون للتأثير على ضيفهم ونيل ثقته؟ أم أن محمد تميم لم تكن له شخصية الدبلوماسي المحنك، فصيغت بنود المعاهدة على حساب مصلحة المغرب رغم ما قدمه هذا السفير من اقتراحات لم تؤخذ بعين الاعتبار؟ وهذا ماسنجيب عنه في نتائج هذه السفارة.

---

(1) أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص18.

(2) Charles Penz, Op.Cite, p120.

(3) Ibid, p122.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

و- نتائج سفارة محمد تميم:

1- نتائج أغلبها كانت في صالح فرنسا:

يمكن الحكم على **إيجابية** هذه السفارة أو **سلبيتها**، من خلال مناقشة بعض البنود التي وقع عليها محمد تميم ومقارنتها مع بعض بنود معاهدة "المعمورة"؛ التي كانت أساسا لانطلاق المفاوضات المغربية الفرنسية على عهد مولاي إسماعيل، مع الانتباه إلى أنّ مفاوضي محمد تميم من الفرنسيين استطاعوا إقناعه على ما يبدو بالانطلاق في المفاوضات على أسس جديدة، لا تأخذ بعين الاعتبار معاهدة 13جويلية1681م (المعمورة)، وكانت هذه إحدى النقاط السلبية في هذه السفارة، باعتبار ما كانت تؤكد عليه تلك المعاهدة من حقوق للمغرب خصوصا ما يتعلق بمسألة الأسرى[1].

2- معاملة غير لائقة للسفير المغربي:

كانت نتائج سفارة محمد تميم إلى فرنسا سنة 1681-1682م؛ دليلا على عدم حسن نية لويس الرابع عشر فيما يدعيه من وجود رغبة صادقة لديه لإبرام معاهدة للسلم والصداقة مع مولاي إسماعيل، ومدى احترامه للمغرب، وتقديره لملكه من خلال معاملة رعاياه (السفراء)، لأن هذه المعاملة ستؤثر على مستقبل العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، إما على مستوى معاملة المغاربة لسفراء فرنسا إلى المغرب، أو على مستوى احترام بنود المعاهدات والمصادقة عليها[2].

إنّ المعاملة التي خص بها السفير محمد تميم في فرنسا، لم تكن في عمومها تنم عن تقدير الفرنسيين للمغرب وسلطانه، بدليل ما تعرض له هذا السفير من إهمال ومماطلة مقصودين، منذ أن وطئت قدماه ميناء بريست (Brest)، إلى أن غادر فرنسا في اتجاه المغرب، في نهاية شهر مارس من سنة 1682م[3]، وعندما وصل إلى باريس وقبل دخوله إلى فندق المسافرين الذي أعد لسكنى أعضاء السفارة المغربية، لم يلاحظ تخصيص أي استقبال رسمي على شرف محمد تميم [4]، "كما أن الحرس الفرنسي، الذي كان أمام مدخل قصر سان جرمان ساعة وصول السفير المغربي ليستقبله لويس الرابع

---

(1) يمكن الاطلاع على بنود هذه المعاهدة في :

- Henry De Castries: Op.Cite, T1, p555-584.

(2) أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص27.

(3) Ibid, pp176-177.

(4) Ibid.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

عشر، لم يكن مسلحا، وهذا للتقليل من شأن السفير محمد تميم" [1]،كذلك المفاوضان الفرنسيان، الماركيز دو كرواسي (de Croissy) "والماركيز"دو سينيولاي (de seignelay) لم يكلفا نفسيهما عناء مد يديهما لمصافحة السفير المغربي[2].

غير أنّ أكبر إهانة وجهت للمغرب في شخص سفيره كانت بمرسيليا، وهي المدينة التي كان ينتظر فيها رؤية الأسرى المغاربة بأغربة [3] لويس الرابع عشر، ولتحقيق هذا الغرض، غادر محمد تميم باريس في اتجاه مرسيليا يوم25 فيفري 1682م، إلا أن الأوامر كانت قد صدرت يوم الخامس من نفس الشهر لجان برودار (Brodart)، المكلف بإدارة شؤون السفن بطولون (Toulon)، بضرورة إبعاد المجذفين المغاربة من الأماكن التي سيزورها السفير المغربي بمرسيليا[4].

وفي 6 فيفري ورد تقرير على "كولبير" يفيد أن الأسرى المغاربة تم إبعادهم فعلا إلى مكان آخر[5]، وعندما وصل محمد تميم إلى مرسيليا يوم 16مارس، منع بالفعل هو وباقي أعضاء السفارة المرافقين له من رؤية أي مغربي. وفي الوقت الذي كان في طريقه إلى طولون ليبحر من هناك إلى المغرب صدر أمر لقائد السفينة التي تقل الأسرى المغاربة المهربين من مرسيليا، بأن السفير المغربي شاهد كل شيء في فرنسا، باستثناء المغاربة الذين حرموا حتى من الرسالة التي مررها إليهم محمد تميم خلسة[6]، "ومما يسترعي الانتباه أن لويس الرابع عشر ، عند توديعه للسفير المغربي أمر بتقديم بعض الهدايا له ولأعضاء سفارته"[7].

ومجمل القول : كانت هذه هي الظروف التي مرت فيها سفارة محمد تميم، والنتائج التي أسفرت عنها من الناحية الموضوعية، غير أنه من حيث الشكل، وبناء على الرسائل المتبادلة بين لويس الرابع عشر ومولاي إسماعيل، وتصريحات السفير المغربي نفسه، وبعض المسؤولين المغاربة، اعتبرت هذه السفارة ناجحة إلى حد ما.

---

(1) أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص28.

(2)Henry De Castries: Op.Cite, T1, p161.

- هذا الموقف أثار حفيظة السفير، خاصة أنه صادر من رجال يشغلون أعلى مناصب في الدبلوماسية الفرنسية.

(3) Ibid, T3, p332 -338.

(4) Ibid.

(5) Ibid, p481.

(6) لأن لويس الرابع عشر ووزراؤه اكتفوا بتكليف "إستيل" بالتفاوض مع مولاي إسماعيل في كل ما يهم الدبلوماسية الفرنسية؛ أي أنهم أعطوه كامل الصلاحيات.

(7) Ibid, T3, p412.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

المبحث الثاني

بعثة الأميرال عبد الله بن عائشة 1699/1698م:

مثلت سفارة عبد الله بن عائشة التي أرسلها السلطان إسماعيل إلى لويس الرابع عشر ؛ واحدة من أبرز سفارات المغرب إلى فرنسا. كانت بسبب الأزمة بين المغرب وفرنسا، ومشكلة الأسرى لدى الجانبين، والتي لم يتوصل إلى حلها إلا بعد مرور عشرا ت السنين[1]. فإلى أي مدى نجحت هذه السفارة في حل قضية الأسرى ورفع حالة الحصار عن موانئ المغرب؟

لقد كانت القرصنة خلال القرن السابع عشر الميلادي هي سمة النشاط البحري في البحر الأبيض المتوسط، يمارسها المسلمون وغيرهم، وقد ساهمت هذه الأعمال البحرية في سقوط العديد من الأسرى من كلا الجانبين في أيدي الجانب الآخر، وبسببها توترت الأجواء السياسية بين بلدان البحر الأبيض المتوسط التي تعرض مواطنوها للوقوع في الأسر، وجرت الكثير من المفاوضات والحروب تمّ على إثرها إرسال العديد من السفارات، أفضى بعضها إلى نتائج إيجابية والبعض الآخر لم يحقق أي نتائج تذكر.

ولعل قضية الحرب القرصانية بين المغرب، وفرنسا تعتبر واحدة من أشهر ما عانى منه شعوب البلدين، وخاصة من وقع منهم في أسر الآخر، حيث إن مشكلة الأسرى بين المغرب وفرنسا قد ظلت واحدة من أعقد المشاكل التي لم يتم التوصل إلى حل مناسب لها في عهد كل من لويس الرابع عشر والسلطان المغربي إسماعيل، وما سفارة عبد الله بن عائشة إلى بلاط لويس الرابع عشر إلا واحدة من المحاولات التي كانت تهدف إلى مشروع عقد سلام بين البلدين، يتم من خلاله استئناف المفاوضات، والتوصل إلى حل مرض لقضية أسرى الجانبين.

ومن خلال هذا المبحث سأحاول دراسة:

أ – شخصية السفير عبد الله بن عائشة.

---

(1) تزامن وصول هذه السفارة إلى فرنسا عام 1110هـ/1698م مع توتر الأجواء السياسية وتراكم المشاكل العالقة بين البلدين، خاصة تحرير الأسرى من الجانبين، ومسألة التبادل التجاري، أنظر: فهد بن محمد السويكت: المقال السابق، ص 14.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

ب- الظروف الممهدة لبعثته.

ج- الوفد المكون للبعثة.

د- مجريات البعثة.

هـ- نتائج بعثة عبد الله بن عائشة.

أ- شخصية السفير عبد الله بن عائشة:

عند دراستنا لشخصية عبد الله بن عائشة وجدنا الحديث عنه في مراجع كثيرة، لكن لم نعثر على معلومات كافية عن حياته، فمعظم التركيز كان عن دوره البارز في النشاط البحري، ومغامراته الناجحة ضد خصومه. فمن هو عبد الله بن عائشة؟

يقول عنه **ابن زيدان**: "ومن عمال السلطان إسماعيل قائد الثغور والأسطول عبد الله بن عائشة الأندلسي الرباطي الولادة والوفاة. كان قائد الرباط والأسطول والسفير. ولاه السلطان إسماعيل شؤون البحر وهو من أشهر سفراء السلطان وهو القبطان العام وحارس البحرية... له في الكتب الأوربية من الذكر الجميل والثناء العطر...وعلوا لقدره سياسة وضبطا وحزما ونصيحة وأمانة...وهذا نبه دول أوربا إلى محاولة الظفر به فأسروه..."[1].

ولد بن عائشة في أواسط القرن 11هـ/17م، وزاول القرصنة شأنه شأن كثير من القادمين من الأندلس، ولا يعرف شيء يستحق الذكر عن حياته قبل أن يظهر زعيما للقرصنة البحرية بحوض أبي رقراق[2]، سوى أنه توفي عام 1124هـ، وله من الولد ثلاثة أبناء وثلاث بنات[3].

ويذكر القنصل الفرنسي في سلا السيد جان باتيست إيستيل (Jean-Baptiste Estelle)، والذي كان معاصرا لعبد الله بن عائشة، وتربطه به علاقة قوية : "بأن ابن عائشة كان هو رئيس البحرية الملكية في المغرب، وهو واحد من أشهر قراصنة سلا المرعبين، وحينما ظهرت السفن الفرنسية التي يقودها القبطان كوتلوغان (Coëtlogon) في شهر جويلية 1698م أمام سواحل سلا، وهي تحمل التهديد بضرب المدينة، تمكن ابن عائشة من الدخول معهم في مفاوضات، ونجح في إقناع

---

(1) عبد الرحمان بن زيدان: المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، د.ن، الدار البيضاء، 1993م، ص ص 260،268.

(2) أنظرعبد الله السويكت: المقال السابق، نقلا عن: إبراهيم حركات: ابن عائشة أمير البحر في عهد مولاي إسماعيل، في مجلة دعوة الحق، ع4، 1969م، ص126.

(3) عبد الرحمان بن زيدان: المرجع السابق، ص268.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

سلطان المغرب بالتفاوض مع فرنسا. فكانت تلك هي مناسبة وقوع الاختيار عليه ليذهب إلى فرنسا من أجل عقد السلام معها"[1].

وقال عنه أحد المفاوضين الفرنسيين[2] "إنه كان رجلا مليئا بالأمل وقمة في الأدب واللياقة، لا يمكن أن نتصورهما من رجل عمل في القرصنة بل ويعتبر من مواليد بلاد البربر، لكني أجد نفسي مجبرا على الاعتراف بأنه من خلال التعامل والمفاوضات معه وجدت فيه الرجل الطموح المليء بالأمل، ورجاجة العقل، مؤدبا في تعامله يشعرك بأنك تتعامل مع إنسان عاقل لم أعرف مثله"[3].

لقد كان عبد الله بن عائشة واحدا من أشهر رجال السلطان المولى إسماعيل، وخاصة فيما يتعلق بشؤون البحر والقرصنة، ولا غرابة في ذلك، فقد عمل ابن عائشة في هذا المجال أكثر من أربعين عاما، كما أشار بنفسه إلى ذلك عندما كان يتحدث عن بعض مفاوضيه في البلاط الفرنسي[4].

ب- الظروف الممهدة لسفارة عبد الله بن عائشة:

على إثر فشل سفارة البارون "دو سانت أومون"(Baron de saint-Amans)، توقفت المفاوضات بين المغرب وفرنسا من سنة 1693م، حتى سنة 1699م، وهو التاريخ الذي شهد وصول سفارة عبد الله بن عائشة إلى باريس، وفي غياب أي تقارب أو تفاهم، دخل البلدان على العكس من ذلك، طيلة هذه الفترة في نزاعات مس لحة بين مجاهدي البحر المغاربة والقراصنة الفرنسيين، أثرت على التبادل التجاري بين الطرفين بشكل خطير، كما أن مسألة افتداء الأسرى أيضا، تأثرت بذلك، ولم يعد الاهتمام بها إلا على مستوى بعض المحسنين أو بعض عائلات الأسرى[5].

---

(1) Henry De Castries: Op.Cite, T5, p11.

(2) إسمه (Louis Nicolas Tonnelie) محاضر في القاعة الملكية عام 1677م، مبعوث فوق العادة إلى الأمراء الايطاليين في العام 1682م، عين مقدما للسفراء في عام 1698م، وكتب مذكراته وهو يشغل هذا المنصب. تناول فيها وصف تحركات السفير ابن عائشة وتنقلاته في فرنسا خلال الفترة من 11 نوفمبر 1698م إلى 5 ماي 1699م. انظر: op.cit, P213.

(3) Ibid, P230. (Mémoires de Breteuil).

(4) عبد الله السويكت: المقال السابق، ص18.

(5) أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص62.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

ومما يجسد مشاعر العداء والشعور بالتذمر من الجانب الفرنسي نحو المغرب، الأوامر التي صدرت إلى" إستيل " القنصل الفرنسي بسلا بتاريخ 30 ديسمبر 1693م[1]، والقاضية بعدم الإصغاء مستقبلا لاقتراحات مولاي إسماعيل الرامية حول تكليف"إستيل" بمهمة جديدة في فرنسا.

كان لويس الرابع عشر عازما على إرسال سفن لمطاردة السلاويين في الشواطئ المغربية، ومن جهته، لم يكن يبخل "جان باتسيت إستيل"، بإرسال المعلومات والتقارير تلو الأخرى، لكتابة الدولة في البحرية حول تحركات مجاهدي البحر المغاربة وقوتهم وعدد سفنهم والمواسم التي يكثرون فيها إلى الخروج، حتى يتمكن المسؤولون عن شؤون البحرية من إعداد حملاتهم على المغاربة، بكل ما يمكن من الدقة[2]، لذلك تميزت سنوات من 1695م إلى 1697م، بعدة معارك بحرية بين السفن المغربية والفرنسية ، وقع على إثرها أسرى فرنسيون جدد في أيدي المغاربة[3].

غير أنه في هذه الظروف المشحونة بالعداء بين المغرب وفرنسا، شهدت أوربا حدثا هاما، ويتعلق الأمر بمعاهدة ريسويك (Ryswick)، التي جعلت حدا للحروب التي دارت رحاها بين فرنسا من جهة، وعصبة أغسبورغ (Ligue d'Augsbourg)[4]، من جهة ثانية في شهري سبتمبر وأكتوبر 1697م[5]، "...ورغم أن هذه المعاهدة لم تكن في صالح لويس الرابع عشر، إلا أنها أنهت ذلك الصراع المزمن بين فرنسا وإسبانيا، وسمحت للملك الفرنسي بالتفكير جيدا في إيجاد حل لمسألة الوراثة الإسبانية بعد وفاة شارل الثاني ملك إسبانيا، خصوصا إذا علمنا أن الإمبراطور"ليوبولد"، ولويس الرابع عشر ابنان وزوجان لأميرات إسبانيات..." [6]. هذا التغيير الذي طرأ على السياسة بأوربا أثّر في العلاقات المغربية الفرنسية بشكل سلبي، باعتبار أن الأمل في ضم إسبانيا إلى التاج الفرنسي ساهم في عدم إمكانية التوصل إلى أي تحالف بين المغرب وفرنسا، مادامت الجيوب المغربية

---

(1) Ibid, T4, pp 235-236.

(2) يلاحظ خلال فترة التوتر هذه وصول كثير من السفن الفرنسية إلى المغرب، وقد بعث القنصل الفرنسي (جان باتيست إسطيل) بعدة تقارير يفضح فيها المهربين، ويستنكر هاته الأعمال التي لا تخدم سوى مصلحة المغاربة الأعداء انظر: - أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص63.

(3) Ibid, p344.((Memoires de Jean Baptist Estelle, date de Salé, le 29 Septembre 1695).

(4) ضمت هذه العصبة، الولايات العامة (هولندا)، وممالك الإمبراطور النمساوي ليوبولبد الأول، وإسبانيا، والسويد، وبعض الإمارات الألمانية، وإنجلترا، انظر:

-André Alba: Les Temps moderns, Paris 1957, p352.

(5) Gaston Zeller, les temps moderns de Louis 14 à 1789, 3T, Paris 1955, T3, pp76-77.

(6) André Alba, Op cite.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

المحتلة من طرف الإسبان ستخضع بدورها لفرنسا المتحدة مع اسبانيا، إذا ما آل الإرث الإسباني إلى راية لويس الرابع عشر[1] .

إنّ هذا العنصر المستجد الذي برز في حسابات الملك الفرنسي السياسية، ضاعف بالفعل من مشاعر العداء الفرنسي ضد المغرب وعوضا أن يصغي "بونشرطوان " لاقتراحات السلطان المغربي أو قائده علي بن عبد الله باستئناف مفاوضات السلم، نجده من خلال رسالة وجهها إلى القنصل " جان باتسيت استيل "يشدد موقفه، ولايريد إرسال أي سفير إلى المغرب، ولا يرغب أن تتكرر تجربتا "دو سانت أمان" "ودوسانت أولون"، ولذلك فهو يرى أن أحسن وسيلة لحمل مولاي إسماعيل على توقيع السلم، هي استعمال القوة [2]، بمجرد ماينتهي لويس الرابع عشر من قضايا أخرى أكثر أهمية، وقد سر"جان باتسيت إستيل" القنصل الفرنسي بسلا، لهذه الصرامة في اتخاذ المواقف، وشاطر "بونشرطران"رأيه في استعمال القوة[3].

وهكذا نلاحظ أنه بعد عدة سنوات من سوء التفاهم والتناحر وتوقف أي حوار بين البلدين، توصل الجانبان أخيرا إلى اتفاق يرمي إلى إنعاش النشاط الدبلوماسي، جريا وراء تعزيز العلاقات بين المغرب وفرنسا التي لم تعرف الاستقرار، منذ توقيع معاهدة "سان جرمان"، والتي ظلت بنودها حبرا على الورق، "فجاءت سفارة عبد الله بن عائشة إلى البلاط الفرنسي في هذه الظروف الحرجة، من أجل إقامة سلام دائم بين البلدين، و حل قضية الأسرى ورفع حالة الحصار عن موانئ المغرب ، وفي هذه الظروف المتميزة بانعدام الثقة والاحتراز من الطرفين، انطلقت سفارة عبد الله بن عائشة إلى فرنسا في جو كله تكلف وتصنع، من بدايتها إلى نهايتها، وقد انعكس كل ذلك على نتائجها"[4].

ج– الوفد المكون للبعثة: من خلال ما جاء في المصادر التاريخية، " فإنه بعد ثمانية أعوام من سفارة الغساني وجه المولى إسماعيل أحد قواده الكبار وهو الأميرال ابن عائشة الشهير، سفيرا إلى ملك فرنسا لويس الرابع عشر، وكان في معية هذا السفير، كاتب يدعى "محمد التركي"؛ الذي ألف رحلة

---

(1) في شهر نوفمبر 1700م؛ أي بعد ثلاث سنوات من معاهدة ريسويك Ryswik توفي شارل الثاني ملك إسبانيا، موصيا بإمبراطوريته لفليب دوق أنجو (Philippe Duc d'Anjou) حيفد لويس الرابع عشر. انظر:

-André Alba, Op cité, p : 353

(2) Henry De Castries: Op.Cite, T4, p532.

(3) Ibid, p534.

(4) عبد الله السويكت: المقال السابق، ص 14، 18.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

عن هذه السفارة التي وقعت سنة (1110هـ/1699م)، إلّا أنها مع الأسف تعتبر الآن ضائعة. كما ضمت البعثة كلا من: فابر (Fabre)؛ وهو تاجر من مقاطعة بروفانس(Provence)[1]، ومترجم هذه البعثة، وشخص محمد سوسان، والتاغري، والتويزري، وخمسة عشر فردا لخدمة أعضاء البعثة"[2].

د– مجريات البعثة:

1- مسارها: جاء توقيت هذه السفارة بعد المستجدات السياسية التي عرفتها أوربا على إثر توقيع معاهدة ريسويك سنة 1697م، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وفي وقت تحول فيه العداء الفرنسي نحو إسبانيا إلى اتحاد مرتقب، مما يجعلنا نربط بين هذا التقارب الإسباني الفرنسي، وبين النتائج السلبية التي آلت إليها هاته السفارة، إضافة إلى الأسباب التقليدية التي أفشلت السفارات السابقة المتبادلة بين البلدين كمشكلة الأسرى، ومسألة القرصنة، واعتبار لويس الرابع عشر نفسه أعلى من الملوك والسلاطين[2].

كانت بداية هذه السفارة يوم 12 ربيع الثاني 1110هـ/الموافق لـ 18 أكتوبر 1698م من ميناء سلا (Slé)، وبعد ثلاثة وعشرين يوما من الإبحار وصل السفير المغربي عبد الله بن عائشة إلى ميناء بريستBrest، على متن سفينة الكونت "شاطو رونو" (Renaud château) يوم11نوفمبر1682م، وقبل مغادرة هذه المدينة، خضع لنفس الإجراءات التي خضع لها من قبل السفير محمد تميم سنة 1682م، لمعرفة مدى مصداقيته كسفير، وعندما استشير "جان باتيست إستيل" لإعطاء رأيه، حول هذه الشخصية، أظهر عدم ارتياحه نحوه في البداية، ووصفه بالعدو اللدود لفرنسا، إلا أنه في النهاية نصح بعدم إرسال عبد الله بن عائشة من حيث أتى، دون منحه الفرصة للبرهنة على حسن نية ملكه[3]. أمر لويس الرابع عشر بالقيام بكل هذه التحريات رغم رسالة السلطان المغربي التي وجهها إليه بتاريخ: 29 سبتمبر 1693م[4]، والتي يبلغه فيها أنه رخّص لابن عائشة بالذهاب إلى فرنسا

---

(1) Egene plantet: Moulay Ismail Emperieur du Maroc et la princesse de Conti, paris, France1893, pp 17-19.
(2) Ibid.
(3) مختار طليمات: المرجع السابق، ص22.
(4) Henry De Castries: Op.Cite, p713.
(5) Lettre de Moulay Ismail à Louis 14, date du 29 septembre 1698.
- Ibid, p681.

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

كسفير، وتبعا لذلك يجب معاملته بهذه الصفة كما أشعره بأنّه مزود بكامل الصلاحيات من أجل التفاوض حول مسألة الأسرى أو أي قضية تهم شؤون البحر، وكل ما سيقبله هذا السفير سيتم التصديق عليه وتنفيذه[1]. ومما يلفت النظر في هذه الرسالة ما طبعها من استخفا ف وعدم اكتراث لويس الرابع عشر ، وكأنه يقابل استعلاء بآخر، من ذلك ما ذكره مولاي إسماعيل، "من أن قبطان البحر الفرنسي، طلب الكلام من صاحبنا قبطان البحر...الرئيس عبد الله بن عائشة فأذنا له في الكلام معه..."[2].

كان أول رد فعل من لويس الرابع عشر ، على ما ورد من استخفاف بشخصه في رسالة مولاي إسماعيل المشار إليها آنفا، تكليفه الكونت "دوشاطو رونو " (De château Renaud)، والفارس"دو سانت أولون" (De Saint Olon) بالتفاوض مع السفير المغربي "ببريست" (Brest)، إذ السلطان الذي لايكّن للويس الرابع عشر أي احترام، لا يستحق سفيره أن يحظى بشرف استقبال الملك الفرنسي بباريس، لكن عبد الله بن عائشة رفض تقديم أوراق اعتماده، كما رفض إجراء أي مفاوضات هناك، قبل أن يسلم رسالة اعتماده إلى لويس الرابع عشر الذي أصدر أمره أخيرا بالسماح لسفير المغرب بالتوجه إلى القصر الملكي بفرساي[3].

غادر عبد الله بن عائشة بريست يوم 12جانفي1699م، ولم يصل إلى باريس إلّا في 9 فيفري من السنة نفسها، حيث أسكن في فندق عادي[4]، أفرغ قبل وصوله إليه كل ماهو رفيع من الأثاث، ولم يجد أي أحد من الشخصيات في استقباله بأمر من لويس الرابع عشر، إنها بداية لا تبشر بالخير، ولا تدل على أن الفرنسيين راغبون في تناسي الخصومات، وعازمون على فتح صفحة جديدة من العلاقات الطيبة. وفي 16 فيفري استقبل لويس الرابع عشر بقصر فرساي[5] السفير المغربي الذي كان مرفوقا بكل أعضاء السفارة، بالإضافة إلى الخدام الذين كانوا يحملون الهدايا الموجهة إلى الملك الفرنسي[6].

---

(1) Ibid, T5, p228.
(2) Ibid, T4, p682.
(3) Ibid, T5, p35.
(4) Ibid, p219.
(5) Ibid, p211.
(6) وصف (Breteuil) هذه الهدايا بأنها تافهة، وضمت جلود حمراء، وسرج لركوب الخيل، وقطع من الأثواب الصوفية أنظر: - Ibid, p219

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

وبعد تبادل كلمات الترحيب كلف لويس الرابع عشر الماركيز"دو طورسي" (DeTorcy) والكونت "دو موربا" (De Maurepas)" بالتفاوض مع عبد الله بن عائشة قصد إبرام السلم بين المغرب وفرنسا[1].

2- مفاوضات السلم المغربية الفرنسية:

تمّ الشروع في هذه المفاوضات بفرساي يوم 26 فيفري 1699م[2]، وكم كانت دهشة عبد الله بن عائشة كبيرة، عندما وجد نفسه أمام مفاوضيين يناقشون معه بنود معاهدة سان جيرمان، سنة 1682م، مع بعض التغييرات الطفيفة فيما يخص موضوع إفتداء الأسرى من الجانبين، دون أدنى إشارة لنص مشروع الهدنة الذي سلمه السفير المغربي إلى "الكونت ديستري" (D'estrèes)[3].

طلب عبد الله بن عائشة من المفاوضين الفرنسيين ترجمة التغييرات التي طرأت على معاهدة سان جيرمان إلى اللغة العربية، وبرر ذلك بأنّ سماعها غير كاف لاستيعاب مضمونها [4]، في جانفي 1699م، ظهرت بارقة أمل في إمكانية التوصل إلى اتفاق لاستئناف المفاوضات بين المغرب وفرنسا، وذلك عندما ظهر فشل المفاوضات المغربية الهولندية، رغم تدخل "ميموران" لصالح الهولنديين، واتضح أن صانع هذا الفشل هو عبد الله بن عائشة الذي يفضل السلم مع فرنسا أكثر مما يفضله مع الولايات العامة (هولندا)، بناءا على ما صرح به للقنصل "جان باتيست"يوم 27جانفي، الذي استحسن الفكرة[5] .

لكن هذا التفاهم بينهما لم يدم طويلا، بل تحول إلى صراع وسوء تفاهم كبيرين، بسبب ما أظهره القنصل الفرنسي من عدم احترام للسلطان، وذلك عندما ذكر لابن عائشة أن لويس لم يعد يولي أية مصداقية لرسائل السلطان المغربي، مما تسبب في مشاداة كلامية بين الشخصين، تم بعدها إشعار مولاي إسماعيل بكل ما حدث من طرف ابن عائشة[6].

---

(1) Ibid, T4, p686.
(2) Ibid, T5, p4.
(3) عبد الله السويكت: المقال السابق، ص64.
(4) عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ص82.
(5) Ibid, T4, p594.
(6) Ibid, p697.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

هـ- مشروع مصاهرة بين السلطان إسماعيل ولويس الرابع عشر:

طلب المولى إسماعيل (1672 - 1727م)، يد الأميرة دو كونتي (La Princesse de Conti)[1] ابنة ملك فرنسا لويس الرابع عشر، عن طريق سفيره عبد الله بن عائشة. غير أن بعض المؤرخين المغاربة يشككون في حقيقة هذا الطلب ، ويعتبرونه من افتراءات المؤرخين الغربيين المغرضين. أرسل إلى فرنسا عارضا فكرة الزواج بأميرة فرنسية، مع احتفاظها بدينها. "وقوبلت تلك العروض بالاستهزاء، والسخط..."[2]، مما جعل الملك لويس يبعث إلى مولاي إسماعيل داعيا إياه لاعتناق المسيحية[3].

لم يتوقف افتتان المولى إسماعيل بإمبراطور فرنسا وعمرانه وقتها، بل عزم بقوة على مصاهرته لما طلب يد إحدى بنات ملك الشمس، الأميرة الفرنسية يد الأميرة "دو كونتي" فرفض القصر الإمبراطوري بلطف وأدب الرجاء الغريب للسلطان العلوي، لقد افتتن المولى إسماعيل بجمال الأميرة الفرنسية عن طريق ما حكاه له سفيره إلى لويس الرابع عشر، السفير المغربي ابن عائشة، حين استُقبل هذا الأخير من قبل الإمبراطور الفرنسي بقصر فيرساي يوم 16 فيفري 1698م، وشاهد يومها الأميرة "دو كونتي" وروى للسلطان عن حسنها ورقتها، وهي الحكاية التي اشتهرت في الأوساط الملكية والنخبوية بفرنسا، لدرجة أن شاعرا فرنسيا يدعى "جون بابتيست روسو "، نظم وقتها أبياتا شعرية للأميرة الفرنسية يقول فيها: "...جمالك ياكبيرة الأميرات، يحمل ملامح حب يصل جرحه إلى أوحش الأمكنة، فإفريقيا بك استسلمت،...وفتوحات عينيك تعدت، وفاقت ما وصل إليه هرقل..."[4].

و- نتائج سفارة عبد الله بن عائشة:

1- لم يكتب لهذه السفارة النجاح؛ لأن وزراء لويس الرابع عشر كانوا يريدون حمل عبد الله بن عائشة على التوقيع على معاهدة كانت كل بنودها لصالح فرنسا، ولا تختلف في محتواها عن معاهدة سان

---

(1) الأميرة دو كونتي آن ماري دو بوربون ابنة الملك لويس الرابع عشر من الزوجة الثانية . أنظر: Le petit - Larousse grand Format, Paris1995, p1481.

(2) Victor Piquet : Le Maroc Géographie - Histoire, Librairie Armand Colin, Paris1920, p103.

(3) عبد الرحمان بن زيدان: مسامرة في نقد أدلة طلب السلطان الجليل المولى إسماعيل لبنت الملك لويس الرابع عشر، في مجلة السعادة، ع81، المغرب 26 سبتمبر 1963، ص42.

(4) Paul Masson:Op.Cite, p216.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

جرمان سنة 1682م، التي كان محمد تميم قد وقعها، ورفض مولاي إسماعيل المصادقة عليها، ويتأكد ذلك من رفض الجانب الفرنسي الاعتراف بالمشروع الذي التزم به الكونت ديستري (d'estrèes) مع عبد الله بن عائشة في شهر نوفمبر1698م؛ والذي بمقتضاه أرسلت هذه السفارة إلى فرنسا.

2- ومن العوامل التي ساهمت في إخفاق هذه السفارة، مشاعرُ العداء التي كان يكنّها الفرنسيون للسفير المغربي وسلطانه، إضافة إلى أن المفاوضين الرئيسيين للسفير المغربي وهما "طورسي" (Torcy)، و"موربا"(Maurepas)، لم يكونافي المستوى المطلوب لأداء هذه المهمة، لجهلهما بالشؤون المغربية[1].

3- حاول الفرنسيون التأثير على السفير المغربي، من خلال المعاملة السيئة التي لقيها [2]، معتقدين كباقي وزراء لويس الرابع عشر أن انبهار السفير المغربي وإعجابه بما زاره من المآثر التاريخية، وبما شاهده من المناظر الطبيعية، والحفلات المختلفة بفرنسا، سيكون كافيا للتأثير عليه وجعله ينصاع لقبول كل ما يعرض عليه، علما بأن هذه الخطة عبرت عن فشلها في سفارة الحاج محمد تميم.

4- نلاحظ أن المفاوضين الفرنسيين، أرادوا استدراج السفير المغربي لتوقيع معاهدة كل بنودها في صالح فرنسا، وهذا ما رفضه عبد الله بن عائشة، فأبدى اعتراضه لذلك، وتقدم باقتراحات مضادة لمشروع المعاهدة المعروضة عليه.

5- نجد أن جل الذين ساهموا في المفاوضات من قريب أو بعيد، وعلى رأسهم لويس الرابع عشر، يربطون إخفاق السفارة بضعف سلطة عبد الله بن عائشة، الذي لم يكن بوسعه أن يوقع أي شيء.

6- لقد كانت سفارة عبد الله بن عائشة إلى فرنسا سنة 1699/1698 ناجحة من الناحية الشخصية، إذ زار السفير المنشآت العمرانية والمتاحف الفنية والخزانات العامة، وحضر الحفلات الراقصة في ضيافة كبار الشخصيات من حاشية لويس الرابع عشر.

7- وكانت ناجحة أيضا على المستوى الشخصي من الناحية التجارية، بفعل التفاهم الذي حصل بين عبد الله بن عائشة، وبين "جوردان"، التاجر الفرنسي، فيما يخص إنشاء شركة تجارية بالمغرب، وهي التي أطلق عليها فيما بعد اسم "شركة سلا جوردان"(Salé jordane)، ولا تخفى علينا الأرباح

---

(1) Charles Penz, Op.Cite, P256.

(2) اشتكى عبد الله بن عائشة من سوء المعاملة لقيها في فرنسا بعد وصوله إلى المغرب مباشرة، انظر:

-Ibid, T5, p310.

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

المادية التي سيجنيها السفير المغربي مكافأة له على المساعدات التي قدمها لهذا التاجر لقبول تأسيس الشركة المذكورة بالمغرب[1].

8- لم تثمر هذه السفارة أي شيء من شأنه أن يدعم العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ويسهم في تحقيق الوئام المفقود، بل ازدادت العلاقات بين البلدين توترا بعد هذه السفارة، يشهد لذلك الأوامرُ التي صدرت للبحرية الفرنسية باستئناف الحرب ضد السلاويين، بعد أن تأكد إخفاق سفارة ابن عائشة،كما يشهد لذلك الصمتُ الذي تعمده لويس الرابع عشر عندما فضل عدم الإجابة على رسائل مولاي إسماعيل الثلاثة المتتالية في الشهور الأخيرة من سنة 1699م، التي حاول فيها السلطان المغربي توضيح موقف نتائج سفارته، وإعطاء رأيه حول مستقبل العلاقات المغربية الفرنسية.

ز– جمود العلاقات والقطيعة الدبلوماسية:

توترت العلاقات الدبلوماسية بين المغرب وفرنسا، على إثر الفشل الذي منيت به سفارة عبد الله بن عائشة إلى باريس، ودخل البلدان في مرحلة من جمود العلاقات الدبلوماسية دامت سبعا وعشرين سنة، تميزت بالتوتر المستمر بسبب انشغال عاهلي البلدين في مشاكل سياسية وعسكرية خطيرة، ومن جرّاء مسألة الأسرى ودسائس الدول الأجنبية، وسوء التفاهم الحاصل بين التجار الفرنسيين بالمغرب ورعايا مولاي إسماعيل، والذي اعتبر سببا مباشرا أدى إلى قطع العلاقات بين البلدين.

وما إن أفل نجم النفوذ الفرنسي بالمغرب، حتى سطع نجم انجلترا، وقويت هيمنتها على حساب ما أصاب المصالح الفرنسية من إفلاس، بعد التقارب الذي حصل بين المغرب وانجلترا، على إثر جلاء هذه الأخيرة عن طنجة سنة 1684م، والذي توّج بإبرام معاهدة بين الطرفين سنة1721م.

هذا النجاح الذي أحرزه الإنجليز بالمغرب؛ هو الذي دفع بفرنسا إلى التفكير في إعادة النظر في علاقاتها مع مولاي إسماعيل، وبذل المساعي من أجل تطبيع العلاقات المغربية الفرنسية، غير أن هذه المساعي لم تؤت أكلها، ووافت المنية السلطان المغربي سنة1727م، قبل التوصل إلى أية تسوية.

بنهاية القرن السابع عشر حتى وفاة لويس الرابع عشر سنة 1715م، عرف كل من المغرب وفرنسا ظروفا صعبة؛ تتعلق بالحروب وعدم الاستقرار، وهي ظروف ساهمت بدون شك في توسيع الهوة بين البلدين.

---

(1) أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص73.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

ومما تقدم يمكن القول: إنّ التمثيل الدبلوماسي للمغرب الأقصى في البلاط الفرنسي عرف تطورات هامة يمكن أن نجملها فيما يلي:

- أنّ أغلب الدبلوماسيين الذين أرسلوا في الفترة التي سبقت القرن 17م كانوا من الأوروبيين والمسيحيين، خاصة التجار، والقناصل الفرنسيين المقيمين بالمغرب الأقصى.

- أنّ السفراء المغاربة الذين أرسلوا إلى فرنسا أعطوا صورة واضحة عن الآخر خلال فترة تواجدهم بفرنسا؛ فكانت نظرتهم ليست نظرة مسافر عادي، وإنما نظرة سفير أعطى للتمثيل السياسي والدبلوماسي لبلده الأولوية من خلال نقل أخبار مملكة آل بربون، والتغييرات الحاصلة بها.

- مرّت البعثات الدبلوماسية بين المغرب وفرنسا بفترات عصيبة تمّ خلالها إرسال خمسة سفراء هم: أحمد بن قاسم الحجري الملّقب"بأفوقاي"، أحمد الجزولي، سيدي فارس، الحاج محمد تميم، والأميرال عبد الله بن عائشة؛ حيث استطاع ثلاثة منهم دخول البلاط الفرنسي، وفشل اثنان (الجزولي وسيدي فارس) لعدم رغبة ملوك فرنسا استقبالهم.

- كل سفارات المغرب نحو البلاط الفرنسي خلال القرن 17م، تمت في عهد المولى زيدان والمولى إسماعيل من أجل التفاوض حول مسألتين هامتين هما: قضية الأسرى، واسترجاع المخطوطات العربية.

- أنّ العلاقات الدبلوماسية بين البلدين مرت بمرحلة فراغ وجمود من سنة 1619م؛ وهو تاريخ سفارة سيدي فارس حتى سنة 1681م؛ تاريخ سفارة الحاج محمد تميم.

- كل البعثات التي أرسلت إلى البلاط الفرنسي لم تحقق أهدافها المرجوّة، فكان مصيرها الفشل؛ نتيجة تمسك ملوك المغرب بتحقيق مطالبهم، وتعنّت البلاط الفرنسي في إقفال باب التفاوض.

- وصلت العلاقات الدبلوماسية إلى الباب المسدود، فتأثرت بذلك العلاقات التجارية، بعد إقفال قنصلية سلا الفرنسية، وقطعت العلاقات بين البلدين، فضاعت كل الجهود الدبلوماسية بفشل مشروع التحالف بين مولاي إسماعيل ولويس الرابع عشر.

- أغلب المبعوثين الدبلوماسيين الذين توجهوا إلى فرنسا كانوا من أصول أندلسية، مايدل على أهمية هذه الطائفة في المجال الدبلوماسي للمغرب الأقصى.

- كان هؤلاء المبعوثون على قدر كبير من الثقافة، متعددي اللغات، وعلى قدر كبير من سعة الأفق.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message, purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

تندرج العلائق السياسية والدبلوماسية المغربية خلال العصر الحديث، ضمن الإطار الإسلامي المحدد والمنظم لطبيعة هذه العلاقات، والواقع أن البعد التاريخي في هذه العلاقات ينبني في نهاية المطاف على وجود أو عدم وجود مصالح مشتركة تربط المغرب بهذا البلد أو ذاك. وإنّ طبيعة هذه العلاقات تتأثر بالسياقات التاريخية وتحددها التحولات التي قد تحصل في موازين القوى بين الدول والشعوب.

وفي ختام هذه الدراسة لموضوع : "البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي" توصلت إلى جملة من الملاحظات والنتائج يمكن حصرها فيما يلي:

1-نال موضوع البعثات الدبلوماسية اهتمام الباحثين في تاريخ العلاقات الدولية، وحرص هؤلاء على بيان أصل المصطلح ومدلوله عبر العصور، وكان من البواعث على هذا الاهتمام بالدبلوماسية مالها من أهمية في تاريخ الإنسانية والعلاقات الدولية.

2- الدبلوماسية هي علم يهتم بدراسة العلاقات ، والمصالح المتبادلة بين الدول والأفراد . أما البعثة الدبلوماسية؛ فهي وسيلة الاتصال البشري بين الدولة الموفدة لها، والدولة الموفد إليها، فمن خلال البعثة تقيم الدولة علاقاتها الدبلوماسية، وتتبادل من خلالها الآراء ووجهات النظر بشأن القضايا التي تهم البلدين.

3- من خلال التآليف، والمراسلات الرسمية يتبين أن السلطان يظل المنشط الأساسي للدبلوماسية المغربية. وكان يستعين في تحريكها بخدام له يبعثهم إلى البلدان التي يريد الاتصال بها وسماهم ابن زيدان بالسفراء.

4- أنّ أغلب الدبلوماسيين الذين أرسلوا في الفترة التي سبقت القرن 11هـ/17م كانوا من فئة القناصل والتجار الأوروبيين والمسيحيين، خاصة الفرنسيين المقيمين بالمغرب الأقصى.

5- أنّ البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي؛ ونخص بالذكر الفترة الممتدة من وفاة المنصور إلى نهاية الدولة السعدية، قد عرفت تكليف ثلاثة مبعوثين هم: أحمد بن قاسم الحجري الملقّب"بأفوقاي"، أحمد الجزولي، سيدي فارس ،

This document was created using SmartPDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

أرسلوا في عهد المولى زيدان من 1610 حتى 1619م، ثم عرفت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين مرحلة جمود وفراغ دبلوماسي، حيث لم نجد ذكراً لأية بعثة دبلوماسية، حتى تاريخ سفارة محمد تميم سنة 1681م.

6- أنّ السفراء المغاربة الذين أرسلوا إلى فرنسا أعطوا صورة واضحة عن الآخر خلال فترة تواجدهم بفرنسا؛ فكانت نظرتهم ليست نظرة مسافر عادي، وإنما نظرة سفير أعطى للتمثيل السياسي والدبلوماسي لبلده الأولوية من خلال نقل أخبار مملكة آل بربون، والتغييرات الحاصلة بها.

7- مرّت البعثات الدبلوماسية بين المغرب وفرنسا بفترات عصيبة تمّ خلالها إرسال خمسة سفراء هم: أحمد بن قاسم الحجري الملّقب"بأفوقاي"، أحمد الجزولي، سيدي فارس، الحاج محمد تميم، والأميرال عبد الله بن عائشة؛ حيث استطاع ثلاثة منهم دخول البلاط الفرنسي، وفشل إثنان (الجزولي وسيدي فارس) لعدم رغبة ملوك فرنسا استقبالهم.

8- أغلب سفارات المغرب نحو البلاط الفرنسي خلال القرن 11هـ/17م، تمت في عهد المولى زيدان، والمولى اسماعيل من أجل التفاوض حول مسائل هامة مثل: قضية الأسرى، قضية استرجاع المخطوطات العربية، قضية القرصنة، والمبادلات التجارية.

9- أنّ العلاقات الدبلوماسية بين البلدين مرت بمرحلة فراغ وجمود من سنة 1619م؛ وهو تاريخ سفارة سيدي فارس حتى سنة 1681م؛ تاريخ سفارة الحاج محمد تميم.

10- كل البعثات التي أرسلت إلى البلاط الفرنسي لم تحقق أهدافها المرجوّة، فكان مصيرها الفشل؛ نتيجة تمسك ملوك المغرب بتحقيق مطالبهم، وتعنّت البلاط الفرنسي في إقفال باب التفاوض.

11- وصلت العلاقات الدبلوماسية إلى الباب المسدود، فتأثرت بذلك العلاقات التجارية، بعد إقفال قنصلية سلا الفرنسية، وقطعت العلاقات بين البلدين، فضاعت كل الجهود الدبلوماسية بفشل مشروع التحالف بين مولاي إسماعيل ولويس الرابع عشر.

12- أغلب المبعوثين الدبلوماسيين الذين توجهوا إلى فرنسا كانوا من أصول أندلسية، مايدل على أهمية هذه الطائفة في المجال الدبلوماسي للمغرب الأقصى.

13- كان هؤلاء المبعوثون على قدر كبير من الثقافة، متعددي اللغات، وعلى قدر كبير من سعة الأفق.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

14- الملاحظ أن المغرب لم يهتم بتعيين سفراء لتمثيله عند ملوك أوربا على أساس أن يقيموا عند هؤلاء لمدة طويلة، بل كان يرسل مبعوثين عنه لفترات جد قصيرة وفي مهام مضبوطة، وغالبا ما كان هؤلاء السفراء يستعينون في رحلاتهم بخدمات القناصل المعتمدين بالمغرب أو بالتجار الأجانب بالإضافة إلى أهل الذمة.

15- لم يكن المغرب الأقصى يتوفر أو يهتم بوجود آلة دبلوماسية هادفة إلى تحقيق مصالح متداخلة دبلوماسيا وسياسيا، ومعتمدة على سفراء لهم تكوين خاص، وإطار معين يتحركون فيه من أجل الدفاع عن مصالح المغرب، ومنافعه بل كانت "له دبلوماسية" مندرجة في منطق المصالح الشخصية للسلاطين والأمراء.

18- استخدمت بلدان أوروبا الدبلوماسية لتحقيق أهدافها التي كانت تتمثل في فرض منطق غلبتها، والعمل عن طريق السفراء، على خلق الأسلوب الملائم لهذه الغلبة المؤدية خلال العصر الحديث إلى التجاوز والتفاوت للعوالم الأخرى.

19- وهكذا نرى أن مبعوثي سلاطين المغرب إلى فرنسا لم ينهضوا في غالب الأحوال إلّا بدور سياسي متواضع جدا، إلّا أنّ سفاراتهم وبعثاتهم قد ساعدت مع ذلك على الاحتفاظ بحسن التفاهم بين الدولتين.

20 – أنّ لعلم التاريخ علاقات وطيدة بمختلف العلوم الأخرى، بما في ذلك علم الدبلوماسية كعلم يهتم بدراسة العلاقات والمصالح المتبادلة بين الدول والأفراد.

وأعتقد أنّ هناك جوانب أخرى في الموضوع، تحتاج إلى استكمال ودراسة، وتعمق خاصة في جوانب علاقات المغرب الخارجية مع البلاط الفرنسي، والأمل معقود على الباحثين والدارسين، لإظهار جوانب، ربما مازالت غامضة في فترات معينة من تاريخ هذه العلاقات.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

قائمة الملاحق:

تكمن أهمية هذه الملاحق في كونها مكملة لما جاء في مضمون هذه الدراسة، لتقريب الصورة للقارئ كي يتسنى له فهم بعض ما شكُل عليه في متن الدراسة، ونظرا لأهمية الملاحق في الدراسة التاريخية، فإنني اخترت البعض منها وهي متنوعة؛ بين وثائق ومراسلات دبلوماسية وخرائط توضيحية لمسار البعثات الدبلوماسية التي انطلقت من المغرب الأقصى باتجاه فرنسا، وصور بعض المبعوثين الدبلوماسيين، والسلاطين والملوك من باب التدليل، كما أن بعض الملاحق كانت من الإعداد الشخصي للباحث؛ مثل الخرائط التوضيحية لمسار البعثات.

الملحق رقم(1): خريطة توضيحية لمسار بعثة أحمد بن قاسم الحجري لفرنسا سنة 1610م.

الملحق رقم (2): خريطة توضيحية لمسار بعثة عبد الله بن عائشة إلى فرنسا 1698-1699م

الملحق رقم (3): أهم مدن المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م

الملحق رقم (4): صورة الملك الشمس لويس الرابع عشر.

الملحق رقم (5): صورة السفير محمد تميم.

الملحق رقم (6): صورة السفير عبد الله بن عائشة مع مرافقيه.

الملحق رقم (7): توقيع السفير عبد الله بن عائشة.

الملحق رقم (8): وصف السفير أحمد بن قاسم الحجري لمدينة باريس سنة 1610م.

الملحق رقم (9): الصفحة الأولى التي كتبت من ملخص رحلة أحمد بن قاسم الحجري.

الملحق رقم (10): رسالة المولى إسماعيل إلى لويس الرابع عشر 5 ماي 1682م.

الملحق رقم (11): القصيدة التي كتبها السفير عبد الله بن عائشة في السيدة دي كوموس.

الملحق رقم (12): رسالة من (دو هارلاي دو سانسي) إلى (لويس الثالث عشر).

الملحق رقم (13): رسالة من (سان ماندريي) إلى (لويس الثالث عشر).

الملحق رقم (14): رسالة من (سان ماندريي) إلى (بويسيو).

الملحق رقم (15): قائمة السلاطين السعديين.

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الملحق رقم1: خريطة توضيحية لمسار بعثة أحمد بن قاسم الحجري لفرنسا سنة **1610**م.

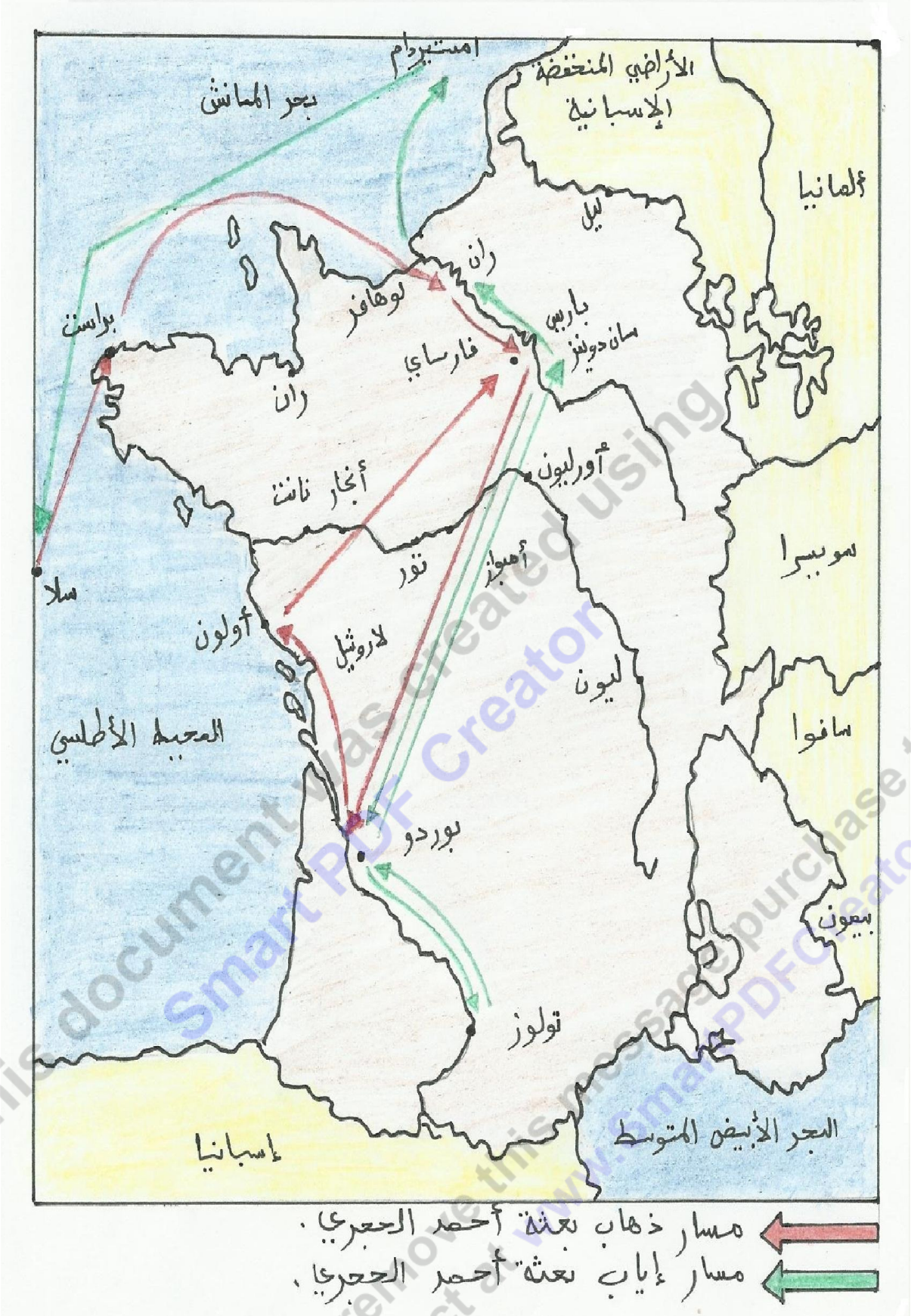

المصدر: من إعداد الباحث بالتصرف.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الملحق رقم2: خريطة توضيحية لمسار بعثة عبد الله بن عائشة إلى فرنسا **1698-1699**م.

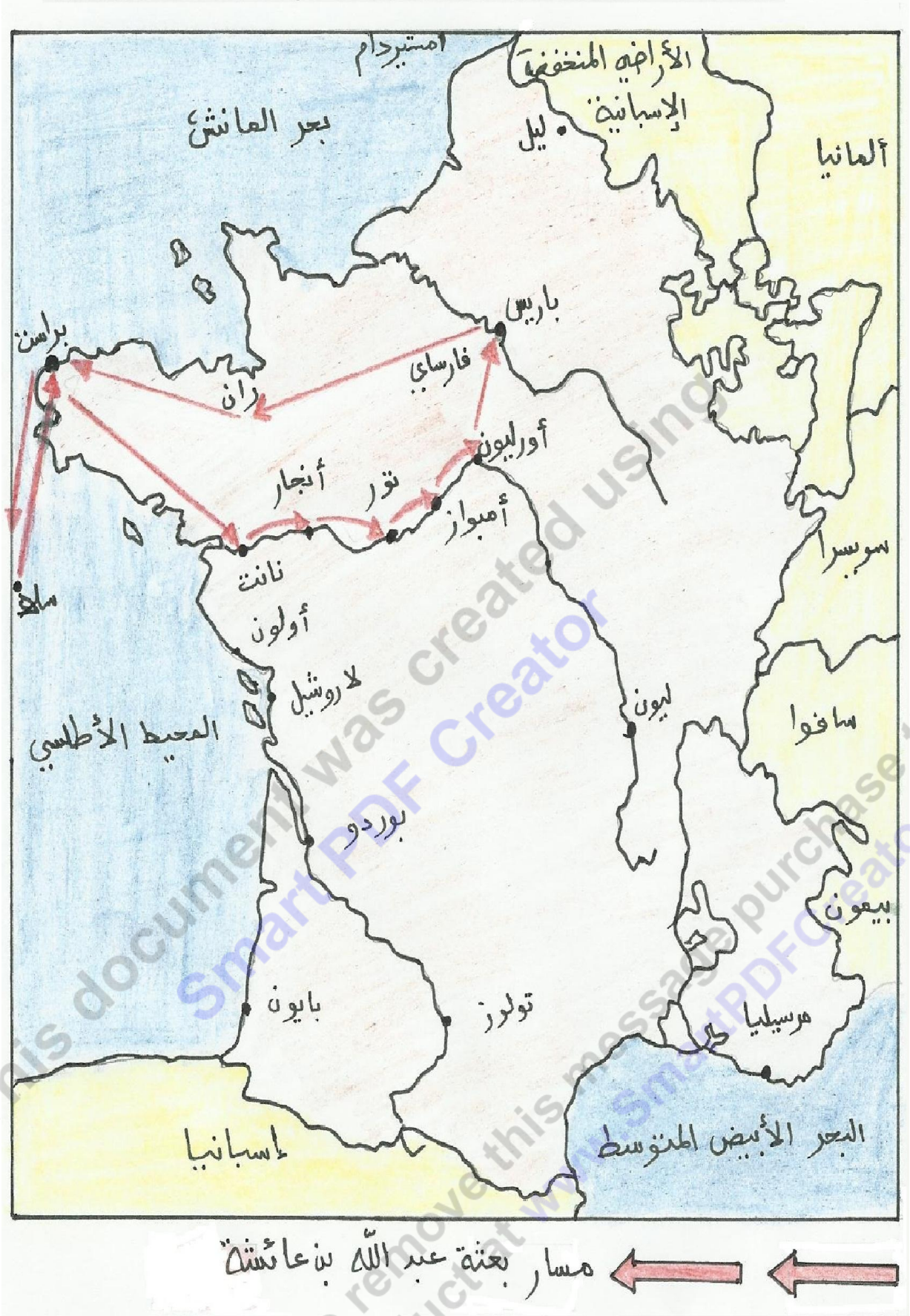

المصدر: من إعداد الباحث بالتصرف.

This document was created using SmartPDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الملحق رقم3: أهم مدن المغرب الأقصى خلال القرن **11**هـ/**17**م.

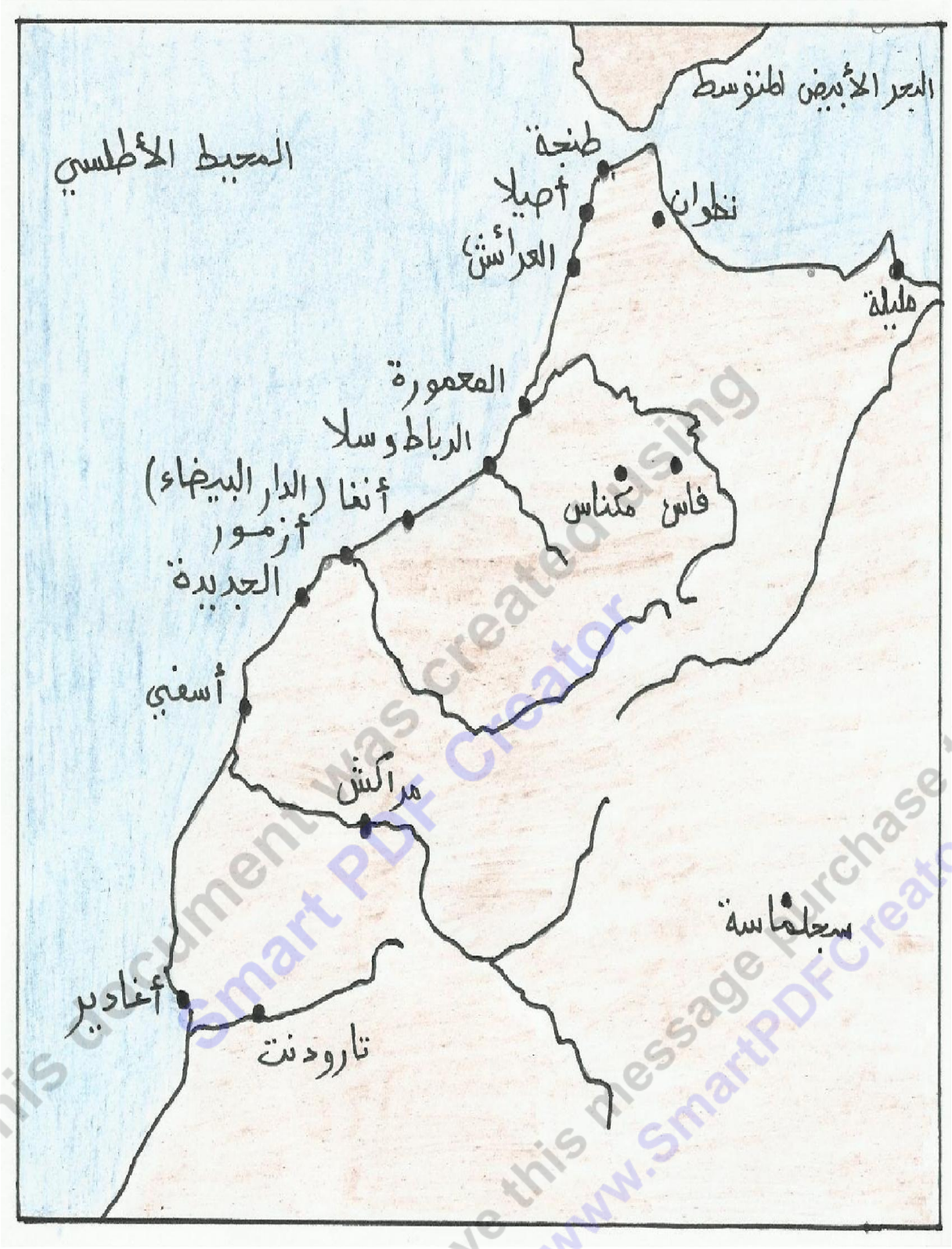

المصدر: من إعداد الباحث سهيل جمال الدين.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الملحق رقم4: صورة الملك الشمس لويس الرابع عشر.

المرجع: Mark Ferro: Histoire de France, Editons Odlle jacok, France Avril 2001, p171.

This page is created by the Smart PDF Creator
To remove this message, purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الملحق رقم5: صورة السفير محمد تميم.

المرجع: محمد الحبيب الخزار: سفراء تطوان على عهد الدولة العلوية،ط1، مطبعة الخليج العربي 152، تطوان، المغرب2007، ج1، ص20.

This is a Smart PDF Creator trial version. To remove this message, purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الملحق رقم6: صورة السفير عبد الله بن عائشة مع مرافقيه.

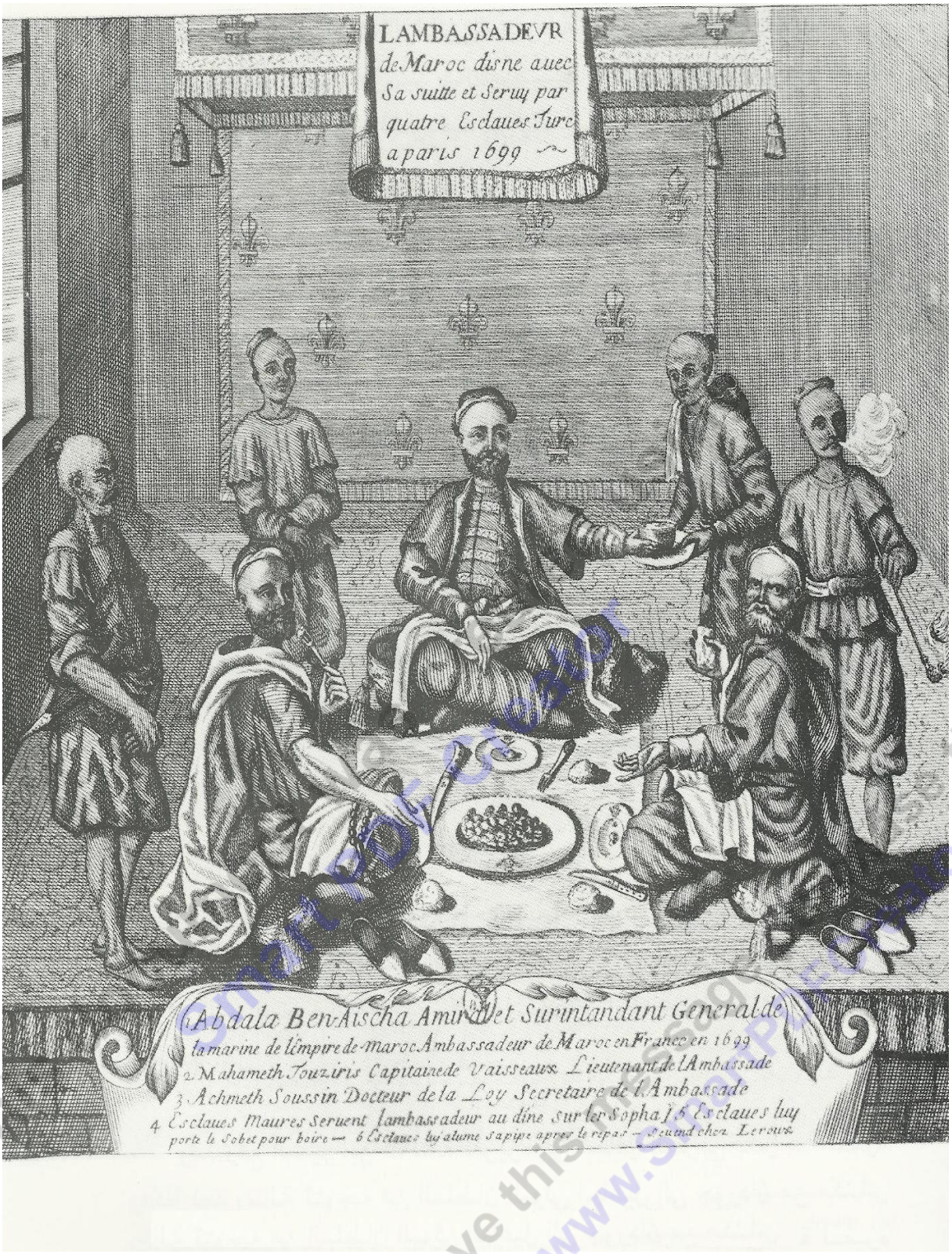

المرجع: عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب ،10ج، مطابع فضالة ، المحمدية ، المغرب 1988، ج9، ص81.

الملحق رقم7: توقيع السفير عبد الله بن عائشة.

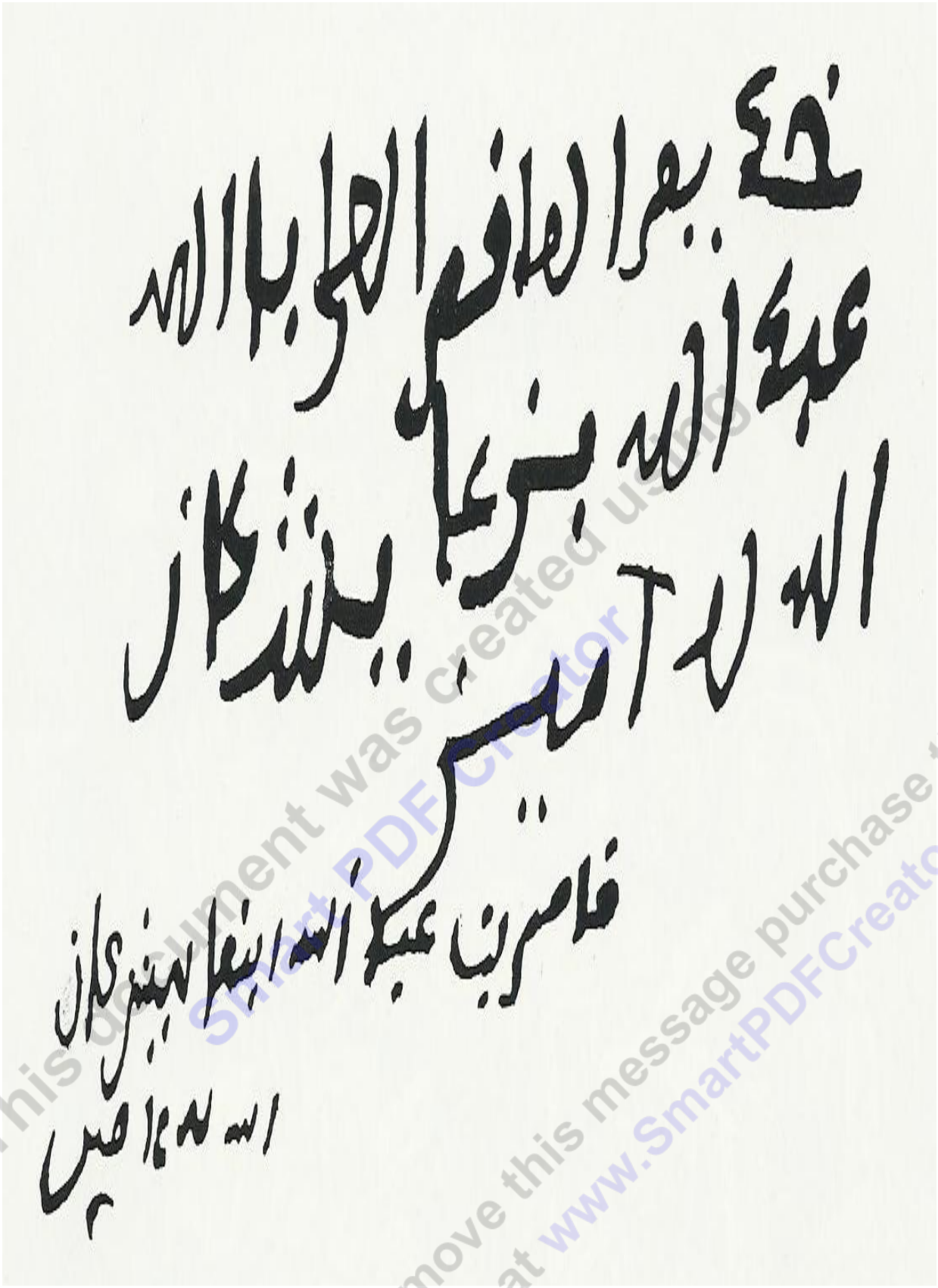

المرجع: عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص82.

This document was created using SmartPDFCreator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الملحق رقم8: وصف السفير أحمد بن قاسم الحجري لمدينة باريس سنة **1610**م.

باريز عند الحجري 1610

هي دار سلطنة الفرنج ، وبينه وبين مدينة روان نحو الثلاثة أيام ، وطولها خمسة آلاف وخمسمائة خطوة ، وعرضها أربعة آلاف وخمسمائة خطوة ، وبيوتها عالية . . . وكلها عامرة بالناس ، وديار الأكابر مبنية بالحجر المنجور ، إلا أنه بطول الزمن يسود لون الحجر . ويقول النصارى إن أعظم مدن الدنيا القسطنطينية ، ثم مدين بريش ، ثم مدينة ليشبونة ببلاد الأندلس . وكان من حقهم أن يذكروا مصر إلا أنهم يقولون لها القاهرة الكبيرة ، وإذا جمعنا مع مصر ، مصر العتيق وبولاق . . . لم ندر من هي أعظم بريش أو مصر بما ذكرنا . . .

والتقيت في تلك المدينة برجل من علمائهم كان يقرأ بالعربية ، وبعض النصارى يقرأون عليه ، كان يسمى بأبرت . وقال لي : أنا أخدمك فيما تحتاجني لأكلم لك من كبراء الناس ، وغير ذلك ، وما نحب منك إلا أن نقرأ عليك في الكتب التي عندي بالعربية وتبين لي فيها شيئا مما فيها ، فقلت له : إيتني بها . ومن جملة الكتب جاء بالكتاب العزيز . فسألته أين اتصلت بهذا القرآن؟ قال : كنت بمدينة مراكش ، وهنالك تعلمت نقرأ بالعربية . وبعد جلوسي هنالك ، على أمر سلطان فرنجة لتعلمه بحروف الزمر كلما نعلم أنه يقع السلطان مراكش في ديوانه وحركاته . فتغيرت حين رأيت كتاب الله تعالى بيد كافر نجس . ثم ساق قانون ابن سينا في الطب ، وكتاب إقليدس في الهندسة ، وكتبا في النحو مثل الأجرومية و الكافية وكتاب بالعربية فيه مناظرات بين مسلم ونصراني في الأديان ، وغير ذلك من الكتب .

المرجع: أحمد بن قاسم الحجري: ناصر الدين على القوم الكافرين، تحقيق محمد رزوق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب1987، ص49.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الملحق رقم9: الصفحة الأولى التي كتبت من ملخص رحلة أحمد بن قاسم الحجري.

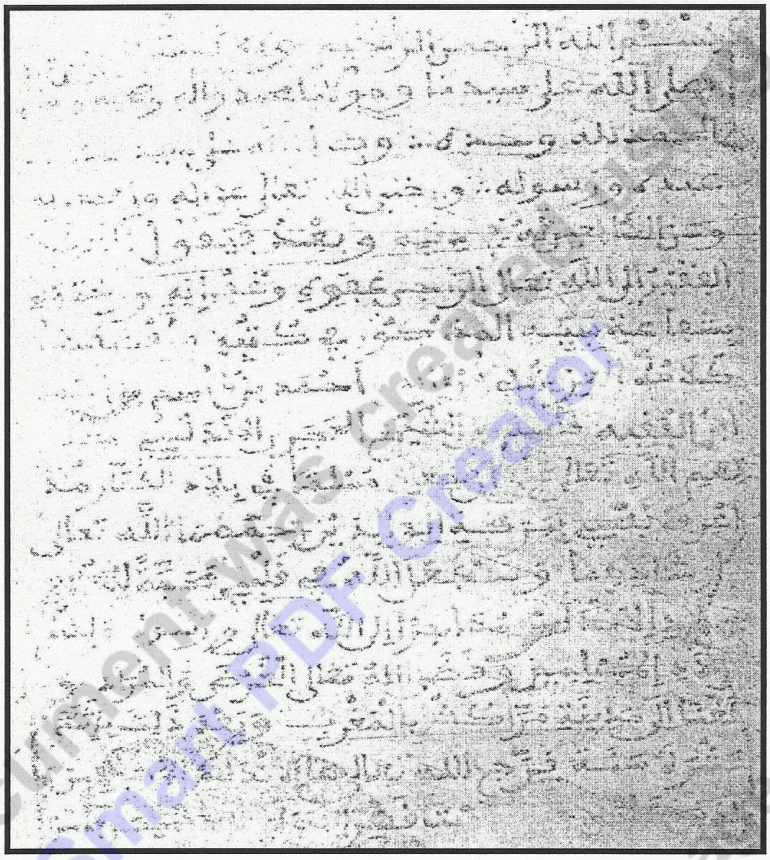

المرجع: نفسه، ص2.

This document was created with SmartPDFCreator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الملحق رقم10: رسالة المولى إسماعيل إلى لويس الرابع عشر 5 ماي **1682**م.

وهـذا نص الرسالـة :

بسم الله الرحمن الرحيـم:

إلى عظيم الروم النبراضور لويس الرابع عشر صاحب مملكة الفرنسيين السلام على من اتبع الهدى .. أما بعد فليكن في علمكم أنا وصلنا لبلاد الإسلام بخير ولله واجب الحمد على ذلك وكان ركوبنا البحر في مركب القبطان بليله، وقد أحسن إلينا غاية إلا حسان وعاملنا بالبرور والامتنان وبالغ في إكرامنا وتعظيمنا فوجب علينا شكره إليكم وعندما وصلنا حضرة ضيفنا وسيدنا أمير المؤمنين المؤيد بالله تعلى أبي النصر مولانا إسماعيل الهاشمي الأصيل، سألنا عن حال سفرنا وملاقاتنا معكم ورجوعنا عنكم وما جرى بيننا وبينكـم، فأجبناه عنكم بما عاملتمونا به من البرور والإكرام لجانب مولانا المؤيد والإعظام، وتتابع الإحسان والإنعام فشكر ذلك منكم وحصل له اليقين عنكم وواعدنا بمجازاة خيركم ومقابلـة إحسانكم وبركم، فإذا وصل الباشضور من بلادكم إن شاء الله، فله ما يرضيه ويسره.

وعرفناه أيضا بما وقع الوفق معكم من فداء أسارى الفرقيين، فأنعم بالقبول والرضى وهذا ما أجاب به أيده الله من فضله والسلام، وكتب لثلاث بقين من ربيع الثاني عام ثلاثة وتسعين والف (5 ماي 1682 م).

المرجع: نفسه، ص35.

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الملحق رقم11: القصيدة التي كتبها السفير عبد الله بن عائشة في السيدة دي كوموس.

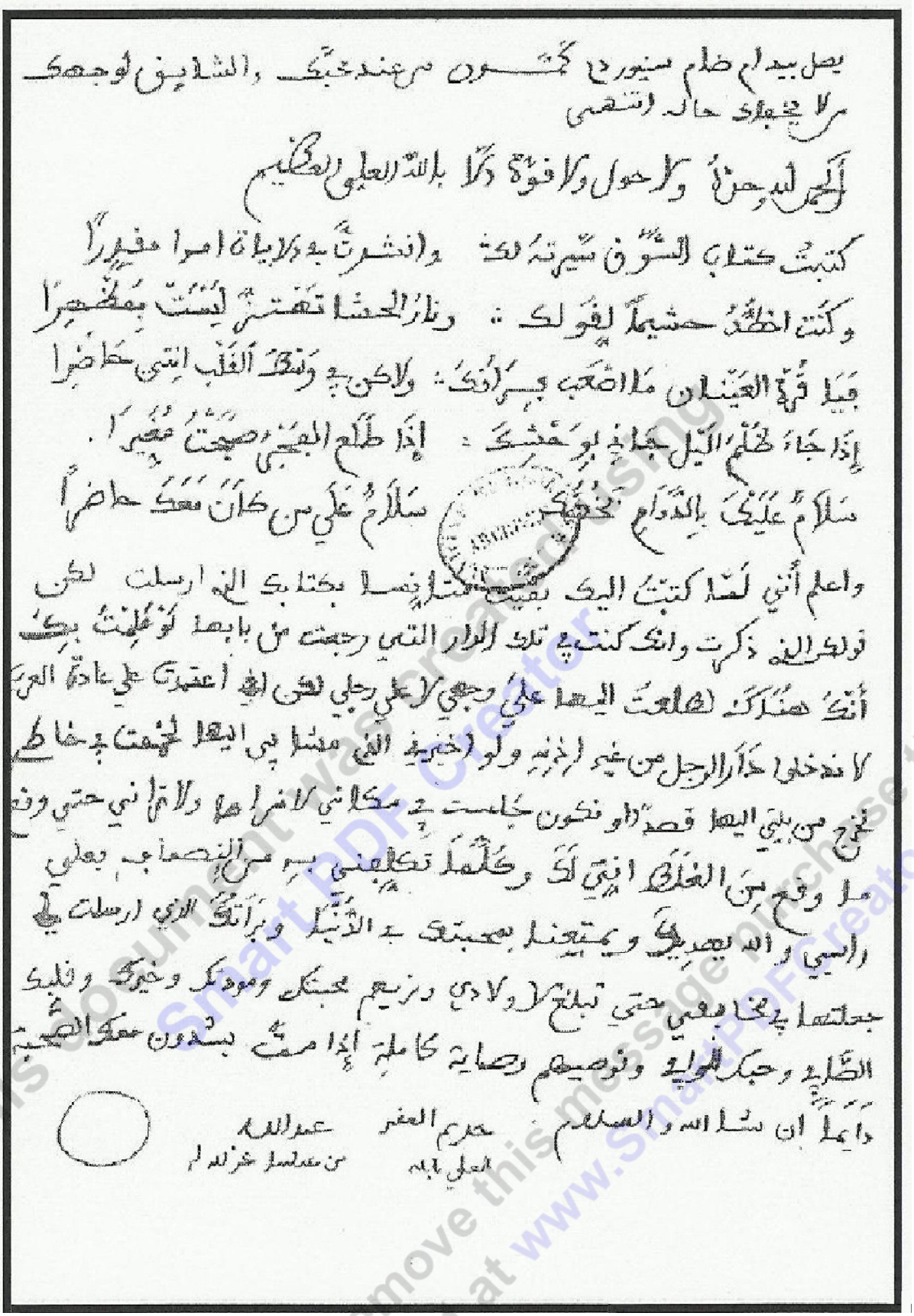

المرجع: Younes Nakrouf : une Amitié orageuse de Moulay Ismail et luis xiv, paris, france1987, P324.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الملحق رقم12: رسالة من (دو هارلاي دو سانسي) إلى (لويس الثالث عشر)

IV

LETTRE DE HARLAY DE SANCY A LOUIS XIII

(EXTRAIT)

Il a fait envoyer à Moulay Zidân une lettre du Grand Seigneur en faveur des Français esclaves au Maroc.

Péra, 27 mai 1617.

Suscription, alia manu : Au Roy.

Au dos, alia manu : Mr le baron de Sancy, du XXVII may. — Receu le XXII juillet ensuivant.

Sire,

Puisque j'ay desja, Dieu mercy, remedié au tribut qui avoit esté icy violemment imposé sur les subjects de V. Mate, je ne me serviray de la lettre qu'elle m'ha envoyée pour le Grand Seigneur à ce subject.

. . . . . .

M'estant venu advis de Marruok que plusieurs pauvres François, jusques au nombre de deux cents, y estoyent detenus esclaves par ce roy, offencé d'une infidelité signalée qu'auroit cy-devant commise contre luy un certain Philippe de Castellane, Marseillois, j'ay requis le Grand Seigneur au nom de V. Majte de moyenner leur delivrance, et ay obtenu à ce subject lettres de Sa Hautesse audit roy, auquel je les ay fait envoyer par un chaous despesché exprès et que j'ay desja faict embarquer, il y ha quelques jours, pour ce voyage.

This document was created using SmartPDFCreator. Remove this message by purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

LETTRE DE HARLAY DE SANCY A LOUIS XIII 11

Je prie Dieu, Sire, qu'Il doint à V. Maj^té accomplissement de toutes ses volontez royales et, en parfaicte santé, très-longue et très-heureuse vie.

De V. Ma^té très-humble et très-obeissant et très-fidele subject et serviteur,

Signé : De Harlay.

Bibliothèque Nationale. — Fonds français. — Ms. 16148, f. 91. — Original.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

المصدر: Henry De Castries: Op.Cite, T1, p10-11.

تعريب الملحق رقم 12:

رسالة من (دو هارلاي دو سانسي) إلى (لويس الثالث عشر)

أرسل إلى (مولاي زيدان) رسالة من طرف صاحب الفخامة،بخصوص الفرنسيين الأرقاء في المغرب. 27 ماي 1617م، مكتوب على واجهة الظرف بخط اليد: إلى الملك. على ظهره بخط اليد: السيد البارون: دوسانسي، في27 ماي، استلام في 22 جويلية الموالي.

مولاي:

كوني بحمد الله قد دفعت الجزية الباهظة المسلطة هنا على رعايا جلالتكم، ولا أنوي العمل بالرسالة التي كنت قد بعثها إلي لتبليغها لجلالتكم حول هذا الموضوع.

. . . . . .

بلغني للتو من المغرب، أن عددا من المساكين الفرنسيين يصل إلى مائتين،كانوا قد رهنوا عبيدا من طرف هذا الملك؛ بسبب عدم الوفاء لشخصه الذي ارتكبه المدعو فليب دوكاستلون من مرسيليا. قصدت صاحب الفخامة باسم جلالتكم لأجل تحريرهم. وقد تلقى حول هذا الموضوع رسائل من قبل صاحب السمو الملك، والتي كنت قد أرسلتها له بشكل سريع، ومستعجل عن طريق مبعوث.

وقد أوفدته منذ بضعة أيام لهذه الرحلة.

. . . . . .

أدعو الله مولاي، أن ييسر لجلالتكم تحقيق كل رغباتكم الملكية، في صحة جيدة، وأن يمنحكم طول العمر، والسعادة التامة في حياتكم.

لجلالتكم، رعيتك المطيع، وخادمك الوفي.

إمضاء: دوهارلاي .

المكتبة الوطنية– المصادر الفرنسية– م س.16148،ف.91– أصلي. عن هنري دوكاستري

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الملحق رقم13: رسالة من (سان ماندريي) إلى (لويس الثالث عشر).

VI

LETTRE DE SAINT-MANDRIER A LOUIS XIII

Moulay Zidân a reçu par le sieur de Boniface une lettre de Louis XIII, mais il refuse d'y répondre. — Il persiste à rendre le roi de France responsable de l'abus de confiance qu'aurait commis Castelane. — Saint-Mandrier a appris que Louis XIII lui octroyait des lettres d'abolition. — Il remercie le Roi de sa clémence et lui renouvelle l'expression de sa fidélité.

De la province de Draa, 15 juin 1617.

Au dos : Au Roy.

Sire,

Le s[r] de Bonniface[1] a esté an se peïs aveq une lettre de V[re] Majesté adressante à l'ampereur Molley Sidan, laquelle je luy ay randeue moy-mesme et fet fere l'esplicassion par son trochuman, à laquelle il n'a vollu fere aucune response, sinon que je disse audit Boniface qu'il avoyt assés souvant et amplement respondeu à V. M[e]. sur samblables lettres, et que V. M. est obligée de luy tirer reson

1. Robert de Boniface appartenait à une illustre maison de Provence les Boniface, branche de Cabannes. Cf. *Bibl. Nat, Pièces Originales*, vol. 404, pièce 9033 ; Robert de Briançon, *État de la Provence*, éd. 1693, t. I, pp. 413-414 ; Gauffridi, *Hist. de la Provence*, t. II, p. 602. — Robert de Boniface avait été envoyé par Louis XIII auprès de Moulay Zidân pour négocier le rachat des Français détenus en captivité au Maroc. Son navire ayant été attaqué par des corsaires turcs, il se réfugia sur la côte de Carthagène. Philippe III lui accorda un sauf-conduit pour reprendre son voyage et il s'embarqua à Cadix sur un navire espagnol, le « Sa Maria Buenaventura » qui faisait voile pour Mazagan. Robert de Boniface, après avoir échoué dans sa mission, semble avoir pris en main les intérêts de l'Espagne, car on le trouve en avril 1619 à Santa Cruz (Agadir) occupé à une négociation pour la cession de cette place à Philippe III. Cf. *1re Série*, Espagne, 20 avril 1617 et 16 avril 1619.

2. Cf. *1re Série*, France, t. II, Doc. CCX, p. 597.

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

et fere randre se qu'il avoit refugié entre les meyns de Castellane, ambasadeur de Vostre Majesté, et sous vostre bandiere.

Il m'a randu une autre à moy, qu'il a plu à V. Mag. m'escrire sur le suget de son voyage, à coy j'ey fet se qu'il [m'a] esté possible, més les Mores sont sy interessés, ne se payent pas de cortoysie ny de reson. En quelle lettre j'ey veu qu'il a pleu à Vostre Magesté me donner mon abollision pour le fet de l'omy[cide][1]. Sertes je ne m'etois pas moyns promis de la clemanse d'un sy grant roy, més le soyn qu'il luy a pleu en avoyr, sans en avoyr inportuné V. M., m'oblige à continuer les prieres pour la prosperité de Vostre Magesté et les très humbles et fidelles servisses que j'ay comenssé au feu roy de bonne memoyre, mon segner et mettre, auquel je m'etoys norry, affin de me pouvoir tousjour dire,

Sire,

Vostre très-humble et très-hobeissant et très-fidelle serviteur et sujet,

Signé : St Mendriés.

De l'armée de l'Ampereur, à presant au royaume de Dra en Affrique, ce 15 juin 1617.

Bibliothèque Nationale. — Fonds français. — Ms. 16148, f. 250. — Original. — Cachet en cire rouge armorié.

1. *L'omy[cide]*. Ce mot se trouve sur le bord du papier qui est rongé en cet endroit. St Mandrier avait tué dans une rencontre un sergent de la compagnie du sieur de St Pierre faisant partie de « la guarnison à payo-mort de la villo de Tollon », et il ne pouvait rentrer en France avant d'avoir obtenu des lettres d'abolition. V. ci-dessus, Introduction, notice biographique.

المصدر: Henry De Castries: Op.Cite, T1, p14-15.

This document was created using SmartPDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

تعريب الملحق رقم 13:

رسالة من (سان ماندريي) إلى (لويس الثالث عشر)

(مولاي زيدان) تلقى من قبل السيد (دو بونفاص) رسالة من (لويس الثالث عشر)، ولكنه رفض الإجابة عليها. أصر على تحميل ملك فرنسا مسؤولي ة خيانة الثقة التي تسبب فيها (كاستلون)- (سان ماندريي) بلغه أن (لويس الثالث عشر) وافق على رسائل طلب التحرير- شكر الملك على عطفه وجدد له مشاعر الوفاء.

من مقاطعة دراع، 15جوان1617م.

في ظهر الرسالة: إلى الملك.

مولاي، حل السيد دوبونفاص في هذا البلد حاملا رسالة من جلالتكم، موجهة إلى الإمبراطور مولاي زيدان، وقد سلمته إياها بنفسي، والتي فسّرت له من طرف ترجمانه، ولم يرد أن يدلي بأية إجابة عنها.

بالرغم من أنه قد رد مرارا، وبإسهاب على جلالتكم لمراسلات مماثلة. وجلالتكم مضطرة لتفهم موقفه ويجيبكم الشيء الذي رفضه لسفير جلالتكم، الذي هو تحت رايتكم. رد برسالة أخرى إلي ليسر جلالتكم حول موضوع سفره. ولقد فعلت ما كان بإمكاني، ولكن هؤلاء العرب لا يركنون إلى اللباقة والحق.

تلقيت من جلالتكم عفوكم عن حادثة قتل النفس. حقيقة لم أكن أقل حضا من عطف ملك ذو شأن. ولكن العناية التي تفضل بها علي-دون إحراج لجلالتكم-تلزمني على مواصلة دعواتي لازدهار جلالتكم، والاستمرار في الخدمات الجليلة، والوفية التي قد بدأتها مع الملك الراحل بكل صدق سيدي، كما بإمكاني دوما أن أقول.

مولاي، رعيتكم وخادمكم الوفي والمطيع.

إمضاء: سان ماندريي.

من جيش الإمبراطور الحاضر بمملكة دراع بإفريقيا، هذا الخامس عشر جوان1617م.

المكتبة الوطنية- المصادر الفرنسية-م س.16148،ف،250- أصلي-طابع من الشمع مزين.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الملحق رقم12: رسالة من (سان ماندريي) إلى (بويسيو).

XI

LETTRE DE SAINT-MANDRIER A PUISIEUX

Du Mas rendra compte de sa mission à Puisieux. — Saint-Mandrier prie ce dernier de s'employer à la délivrance des Français retenus captifs par le Chérif à cause de l'affaire Castelane.

Camp du Doukkala, 20 février 1619.

Suscription : A monseigneur, monseigneur de Puisieux, conseiller du Roy en ses conseils et secretaire de ses commandemens.

Au dos, alia manu : Le sieur de Saint-Mandrier du ..... février 1619.

Monseigneur,

Je me suis dispencé d'escrire au Roy ce qu'a faict le sieur Du Mas[1] avec l'empereur Molé Zeydan sur le subjet de son dernier voyage, et m'en remettray à luy pour vous en dire touttes les particularitez; et d'aultant que je sçay que le rapport qu'il vous plaira prendre la peyne d'en faire à Sa Majesté opperra plus que tout ce qu'on luy en sçauroit representer d'ailleurs, par la creance qu'il a à vostre capacité et fidelité, j'osseray vous supplier très-humblement d'apporter en cette occasion ce que vous avez accoustumé en touttes autres qui regarde son service et soulagement de ses subjetz et la delivrance de tant de pauvres esclaves qui sont detenus icy par la perfidie de Phillippes de Castallanne[2], qui avoit esté envoyé

1. Sur ce personnage, V. *supra*, Introduction, notice biographique.

2. Saint-Mandrier partageait les préventions de Moulay Zidân contre Castelane et ne tenait pas compte des circonstances très particulières dans lesquelles celui-ci, après avoir vainement réclamé au Chérif les sommes qui lui étaient dues, avait pris le parti de revenir en France. Cf. 1re *Série*, France, t. II, p. 541, Sommaire.

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message, purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

à cest empereur de la part du deffunt roy. ce qui semble plus obliger Sa Majesté de luy donner quelque satisfaction, laquelle ce peult reduire à peult de chose à present, pour des considerations que ledit sieur Du Mas vous dira. J'espere que Sa Majesté ne voudra perdre cette occasion, s'il vous plaist d'y joindre ce que vous pouvez, comme j'en suis tres-certain et que l'affaire est assez importante et plaine de charité.

Pour mon particullier, j'y apporteray tousjours tout le debvoir et service que je doibtz à mon roy et à ma patrye et ce que je puis avoir acquis par mes services près de cest empereur depuis que je suis de deça, lesquelles estimerois beaucoup plus s'ilz pouvoient estre utilles en cette rencontre et me donnoient le moyen de vous pouvoir tesmoigner la volonté que j'ay de vous en rendre aux occasions que vous daignerez commender,

Monseigneur,

Votre très-humble et très-obeissant serviteur,

Signé : S[t] Mendriés.

De l'armée du roy de Marroc estant de presant en Duquede, ce xx[e] febvrier 1619.

Bibliothèque Nationale. — Fonds français. — Ms. 16149, f. 41 r° et v°. — Original.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

المصدر: Henry De Castries: Op.Cite, T1, p51-52.

تعريب الملحق رقم 14:

رسالة من (سان ماندريي) إلى (بويسيو)

(دوماص) قدم تقريرا حول مهمته إلى (بويسيو)- (سان ماندريي) ترجى من هذا الأخير القيام بمهمة تحرير الأسرى الفرنسيين عند الشريف بسبب قضية (كاستلون). معسكر دوكالة، 20 فيفري 1619م.

مكتوب على واجهة الظرف: إلى معالي السيد دوبويسيو، مستشار الملك في مجالسه وسكرتير قيادته.

في ظهر الرسالة بخط اليد: السيد: سان ماندريي، في....فيفري 1619م.

معالي: قد تجنبت مراسلة الملك حول ما فعله السيد دوماص مع الإمبراطور مولاي زيدان حول موضوع رحلته الأخيرة. والاتصال به لأبلغكم كل خصوصيات الموضوع، وكل ما أعرفه حوله، لعلمي أيضا أن التقرير الذي يعجبكم، سيغنينا عن الاتصال بجلالته.

وسيجلب نتائج أفضل مما يمكن إن عرض عليه من طرف آخر؛ نتيجة ثقته بجدارتكم ووفائكم له.سأتجاسر ملحا بكل احترام بهذه المناسبة للتدخل كما عهدنالكم للخدمة، والتخفيف عن هؤلاء الرعايا، والإفراج عن عدد من الأرقاء المساكين الذين هم أسرى هنا؛بسبب الخيانة التي تسبب فيها فليب دوكاستلون الذي كان أرسل إلى هذا الإمبراطور من قبل الملك المتوفى. وهو الأمر الذي يبدو لي مرغما جلالته لإرضائه، والذي سيمكن من إصلاح شيئا من القضية، ويمنح الملك بعض الرضا؛ من أجل الاعتبارات التي سيوضحها لكم السيد دو ماص. أتمنى ألا تفوت جلالته هذه الفرصة، وأترجاك أن تقوم بما يمكن القيام به، وأنا على يقين بذلك. وأن القضية جد هامة وتستوجب العطف. فيما يخصني،سأبذل دوما كل واجباتي، وخدماتي التي عليّ لملكي، ولوطني، وما أستطيع كسبه بموجب خدماتي عند هذا الإمبراطور منذ أن كلفت به. وأتمنى أن تكون هذه الاعتبارات مهمة في هذه المقابلة، وتمنح لي الوسيلة التي تمكنني من إظهار الإرادة في كسب الفرص التي تأمر بانجازها، معالي، خادمك الشريف والمطيع. **إمضاء:** سان ماندريي.

من جيش الملك بالمغرب الموجود في دوكالة يوم 20 فيفري 1619م.

المكتبة الوطنية– المصادر الفرنسية– م س.16149،ف.41(ر) وف– أصلي

This document was created using Smart PDF Creator. To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الملحق رقم15: قائمة السلاطين السعديين.

الرقم	الحاكم	فترة الحكم
1	محمد المهدي القائم بأمر الله	1511-1517م
2	أبو العباس أحمد الأعرج بن المهدي	1517-1540م
3	أبو عبد الله محمد الشيخ المهدي	1540-1557م
4	أبو محمد عبد الله الغالب بن محمد	1557-1574م
5	أبو عبد الله محمد المتوكل المسلوخ	1574-1576م
6	أبو مروان عبد الملك الغازي	1576-1578م
7	أبو العباس أحمد المنصور	1578-1603م
8	زيدان الناصر بن أحمد	1603-1628م
9	أبو مروان عبد الملك بن زيدان	1623-1631م
10	الوليد بن زيدان	1631-1636م
11	محمد الأصغر بن زيدان	1636-1654م
12	أحمد العباس بن محمد	1654-1659م
	السعديون في فاس	
1	محمد الشيخ المأمون بن أحمد	1610-1613م
2	عبد الله الواثق	1613-1624م
3	عبد الملك بن بن عبد الله	1624-1626م

المرجع: من إعداد الباحث سهيل جمال الدين.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الملحق رقم16: أهم البعثات الدبلوماسية في عهد أحمد المنصور والمولى إسماعيل.

أهم البعثات الدبلوماسية في عهد أحمد المنصور

أعضاء البعثة	المهمة	التاريخ	وجهة البعثة	أهداف البعثة
أحمد بن علي المورالي أحمد بن زيدة المصري	كاتب قائد	1580 "	القسطنطينية "	قطع الطريق على تحركات والي الجزائر.
أبو القاسم الشاطبي عبدالرحمان المنيلمي	قاضي قائد	1581 "	القسطنطينية "	رأب الصدع مع المتمانين.
إبراهيم بن محمد السليماني	قائد القراد وزير المنصور	1582 1583	إسبانيا "	تبليغ فيليب II موافقة المنصور على سبايا السيد الى الجديدة، بالغم الش بعد بروز المخطر التركي من جديد.
الرايس مرزوق	رايس	1588 1589	إنجلترا	مساعدة إليزابيث لأنطونيو لإسترجاع عرشه.
محمد العكروني محمد بن علي القسنطيني	عالم الطب فقيه وكاتب	1589 "	القسطنطينية	إخبار الباب العالي بوجود ولي عهد البرتغال بالمغرب. إجهاد الرسالة بعد إنقطاع دام ثلاث سنوات.
الحاج أحمد الشيخ Ruiti	تاجر تاجر	1589 1589	القسطنطينية وبلاد الشام والجزائر إسبانيا	؟ وجهه أحمد المنصور بعد وصول خبر نقل الأموريين المتحدين من لشبونة إلى إشبيلية بأمر من فيليب الثاني.
أحمد بن قاسم	رايس		إنجلترا	كلف بسفارات متعددة إلى إنجلترا لم نقف على أهدافها.
عبد الواحد عنون الأصبيلي الحاج بهيت الحاج الناسي عبد الله دودار	كاتب وعالم فلك تاجر تاجر مترجم	1600	إنجلترا	التفاوض حول تسليم البريطانيين للأتراك.
الحاج باحماد بيمون	؟	؟	الجزائر	التفاوض حول تسليم البريطانيين للأتراك.
Abnum	فقيه	؟	القسطنطينية	؟
الأب Marin	راهب	؟	إسبانيا	سفارات متعددة لدى فيليب II.
؟	؟ ؟	أواخر عهد المنصور	الدولة العلوية	جلب نسخة من القرآن.

أهم البعثات الدبلوماسية في عهد المولى إسماعيل

أعضاء البعثة	المهمة	التاريخ	وجهة البعثة	أهداف البعثة
محمد بن حدو المطار محمد لوقاش محمد الحافظ	قائد، تاجر كاتب مقدم	1681	إنجلترا	مفاوضة شارل II في قضية طنجة وتوقيع إتفاقية "واينت هول".
الحاج محمد فيم الحاج علي معتيز الركني الحاج عبد القادر	رايس، قائد قائد ؟ ؟	1682	فرنسا	التفاوض حول شروط السلم الذي إنتهى بتوقيع اتفاقية سان جرمان أون لي.
بوسف طرابلسي	تاجر	1683	هولندا	التفاوض حول مقررات عقد إتفاق صداقة وتوريد الأسلحة.
حسين أنكورد	قائد	1686	هولندا	الإحتجاج على صفقة الأسلحة التي إستوردها المغرب واكتشف أنها لا تتماشى مع ما إتفق عليه.
حمو بن عبد الوهاب الغساني عبد السلام بن أحمد جسوس	كاتب ؟	1690	اسبانيا	التفاوض مع دون كارلوس حول إشكال الأسرى، واسترجاع الكتب الإسلامية.
حاييم طرابلسي إبراهيم بيجوران	تاجر تاجر	1690	هولندا	تحرير السفينة الفلامنكية.
حمو بن عبد الوهاب الغساني مولاي عبد الملك أبو عبد الله بن محمد بن الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي	كاتب أمير مفتي	1692	القسطنطينية	تهدئة الأوضاع بعد الإشتباكات التي جرت على الحدود الجزائرية.
عبد الله بن عائشة محمد سوسان محمد الناغري فرنسي يدعى Enbre	رايس كاتب ضابط سفينة تاجر ومترجم	1698 1699	فرنسا	التفاوض حول القضايا المعلقة التي تحول دون توقيع إتفاق.

المرجع: محمد جادور: الدبلوماسية السعدية، الدبلوماسية العلوية إستمرارية أم قطيعة: أحمد المنصور والمولى إسماعيل نوذجا، الرباط، المغرب1985، ص233.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

1)– فهرس الأعلام :

– أ–

أبو القاسم الحجري 9،7 ، 50،75،74، 87،88،89،90،94،127،128.

أبي جعفر المنصور 26.

أبو العباس 43، 44، 54، 55 .

أبوفارس7 ، 44، 47، 49، 50، 53،61.

أبو بكر 53، 58.

أبي مروان 44، 51.

أبي زكريا 48، 54، 55.

أبي الحسون 48، 54، 57.

إبن أبي المحلي91،55،48،44 .

أبي الحسن 49، 50.

أبي سالم 58، 59.

أحمد 10،7، 50،51.

أحمد الجزولي 74،75،90،91،92،93 .94،127،128

إدريس الثاني 85.

أرنولدي ليسل 80.

أندري جوليان 78.

–ح–

الحسن 56.

حمزة 58.

حاطب بن بلتعة 39.

– د –

دازفيدو 79.

دحية بن خليفة 38.

دو لابار 100.

دو ليسي 80، 81.

دو طورسي 115.

دو كرواسي 104، 108.

دو سينيولاي 104، 108.

دو سانت أمان 113.

دوسانت أولون 13، 114.

دو كونتي 8.

دو براف 75.

دي لوين 78.

دي فاتري 84.

– ر ز –

رازيلي 80، 82، 92.

الرشيد 56،53، 59،58، 61، 62، 98، 99.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

أنطوان 83

أمون دومولون 78.

إستيل باتست 80.

إليزابيت 77.

آن 68.

آل هامسبورغ 76، 78.

آل البوربون 64، 74، 128،80.

–ب –

بروديل 42.

براصول 77.

برا أندري 81، 82.

بريسيط 115.

بوركارون 82.

بوابي 82.

بوني 104.

بونشرطوان 113.

بيين 27.

بيبار دو بيتون 79.

بيبارسيتراني 83.

بيرلي 83، 84.

بيير استييل 84.

بيير دو كاطالان 100.

–ت –

ريشليو 7، 64، 66، 67، 68، 69، 70

71، 77، 78.

زيدان 10، 44، 47، 49، 50، 51، 53، 54،

62، 81، 87، 88، 89، 91، 92، 93، 94،

127، 128.

– س –

سليمان القانوني 42.

سيدي فارس 74، 75، 93، 94، 127، 128.

– ش –

شارل الخامس 43 ،75.

شارلكان 44،43.

شارلمان 85.

شاطو رنو 100، 101، 114، 115.

–ع غ –

عمر بن حدو 101.

علي بن عبد الله 111، 113.

عبد الرحمان28، 43.

عبد الله 8، 38، 43، ،110،50، 74، 96،

109، 110، 111، 113، 114، 128،115.

عبد الملك 10، 44، 52، 54، 85، 86، 92.

عبوا 51 .

عمرو بن العاص 38، 40.

عبد إبني الجلندي39.

This document was created using SmartPDF Creator
To remove this message Purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

التياغري 114.
التويزري 114
– ج –
جان استيل 110، 112، 113، 114.
جان برودار 108.
جان ديستري 100.
جاك كاسطيلان 91.
جاك كايي 102.
جيفر39.
جيز 74.
جاك كليمان 76.
– ف –
فرانسوا الأول 41،42،43 ، 44، 75، 78، 79.
فرانسوا دو 93.
فرانسوا ابراصول 83، 99.
فورنيي 80.
فريجوس 83.
فيليب 74،76.
فيليب الثالث 88.
فابر 114.
– ق –
عبد الكريم 52.
عائشة 49.
علي 56
غيوم بيرارد 75، 77، 80، 86.
– م –
محمد 8،43،44،46،47،48،49،50، 51،52،53،57،59،63. 103.
محمد تميم 74، 94، 96، 97، 98، 102، 103،106 ، 107، 108، 114، 128.
محمد الدلائي 82.
محمد التركي 114.
محمد سوسان 114
محمد الوليد 82.
المنصور 10، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 53، 56، 75، 77، 80، 81، 86، 89، 94، 127.
مزران 7، 64، 67، 68، 69، 70، 71.
المولى إسماعيل 5، 8، 11، 46، 58، 60 61،62، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115،128.
مولاي عبد الله 79، 80، 81.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message, purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

قسطنطين28

– ك –

كاسبار دي راستان 82.

كاستيلان 81، 93.

كسرى 38.

كاترين 73.

كولبير 71، 83، 100، 108.

كليمونت 74

كلود ديماس 93.

كوتلوغان 110.

كونسيتي 78، 80.

كوريول 81.

– ل –

لومبير 83.

لوين 78.

لويس كابريط 75، 85، 103، 104، 105.

لويس الثامن 92.

لويس الثالث عشر 13،63،64،65،67، 68،72،81،91،92،93،94.

لويس الرابع عشر6 ،7، 8،9، 64،

ماري 65، 76، 77،78، 81.

مابين 74.

مونبيليه 78.

المقوقس39.

معاوية 24.

مانوا 39.

– ن هـ –

النجاشي39.

هشام 28.

هنري الرابع 7، 64، 66، 67، 71، 73، 74، 75، 76، 79، 80، 81.

هنري الثالث 85، 86.

هنري برا 82، 83.

هارون الرشيد 85.

هرقل 103.

– و –

وليد 10، 51 ، 52، 82.

– ت –

تطوان 76، 81، 82، 83، 84، 89، 92، 96، 98، 106.

تادلا 49.

تساوت 54.

تيلافيت 54.

This document was created using SmartPDFCreator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

65، 66، 69،68،67 ،70،
72،71، 76، 77، 78، 79،80،
97، 98، 99، 100، 101،
102، 106، 107، 108، 109،
112، 113، 114، 115، 128.

2)– فهرس الأماكن والبلدان :

– أ–

إسبانيا 9، 10، 12، 26، 41،
42، 43، 44، 47، 48، 50،
53، 54، 61، 63، 65، 66،
72، 73، 74، 75، 76، 77،
78، 79، 80، 85، 87، 96،
112، 113، 114.
أور ;با 7، 12، 13، 18، 20،
21، 28 ،29، 37، 41، 42، 43،
44،65، 67، 70، 71 ،72،
76، 90، 96، 110، 111،
112، 114، 129.
إيطاليا 5، 25، 27،29، 65، 67،
68، 76، 77.
انجلترا 9،13، 18، 61، 69، 72،
84، 96.
تامكروت 59.
تارودانت 46.

–ج–

الجزائر 8، 9، 11، 17، 44.
جنيف 77.

–ح–

الحجاز 56.
الحبشة 13.
الحديبية 13

–خ–

خيبر 13.
الخليج العربي 13.

–ر ز–

الرباط 44،50.
زاقورة 43.

– س–

السودان 47، 53.
سبتة 46.
السويد 13.
سلا 44،51،76،81،82،83،84، 90، 91،
96، 98، 99، 100، 102، 106، 110، 13،
114، 128.
سلجماسة 54، 57، 61.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message, purchase the product at www.Smart-PDFCreator.com

أمريكا 53، 76، 100.

إليغ 57.

أبوظبي 13

استانبول (اسطنبول)

آسفي 52، 76، 81، 82،91، 100.

أمكدور 82.

أمستردام 88.

أغادير 91، 92.

الأندلس 58، 88، 89، 109، 110.

إفريقيا 100.

الإيسكوريال 93.

الإفرنج28.

الإمارات 13

– ب–

البحر المتوسط 1، 3، 74، 90،105، 109.

البرتغال 9، 12، 43، 46، 47،60،96.

بروفانس 91، 92، 114.

بريطانيا26، 96.

باريس 9، 10، 69،70، 74، 85، سوس 43، 46، 49، 55، 57،58.

سان جرمان 104،105،107

–ف ق–

فرنسا 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15 16، 17، 18، 20، 26، 28، 41 42، 64، 65، 66، 68، 69، 70 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79 80،81،83،84،85،86،87،88 89،90،91،92،93،94،96،97 ،102،104،105،98،99،101 107،108،109،111،112،113 114،115،116،128،129.

فاس 10، 43، 44، 45، 47، 48 49، 50، 51، 52، 53، 54، 58، 75،76،78،79،80،85.

فيسنيسيا 28.

فرساي 115.

فارس.39

القسطنطينية 25، 86،89، 28.

قادس 91،100

–م–

مراكش 10، 43، 44، 45، 47، 49، 50 51، 52، 53، 54،75 ،76،80،82،87،88

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

89، 92، 98، 102، 104،
107، 111، 115.
بيزنطا 24، 54.
البندقية26،28.
بغداد 28.
بوردو 88.

-ط-

طنجة 46، 57، 60، 84، 89،
92، 96، 98، 106.
طولون 107.

-ع غ-

العثمانية 11، 41، 42،73، 75،
76،78 ، 80.
العلوية 7، 9، 12، 45، 48، 52،
54، 56، 57، 63.
العرائش 44، 48، 53، 60،
غرناطة 87.

3)- فهرس القبائل والجماعات :

- أ -

الأتراك 43، 47، ،53،
54،55،90
الإسبان 28،43،48، 54 ، 60 ،
87، 88، 91، 93، 113.
89،93.
مصر 23، 33، 34، 42.
المغرب الأقصى 1 ،2، 3، 4، 5، 6، 7، 8
10،11،12،13،14،15،16،17،43،44،45
46،47،49،54،56،57،58،59،60،61،74
75،76،77،78،79،80،82،84،،85،87،88
90،91،92،93،94،96،97،99،101،104
105،106،109،110،111،112،113،114
128،129،115،127.
مكة 23،87.
مكناس 49،61
مرسيليا 80،91،94،102،108.
المزمة 76.
مليلة 47.

-ل ن -

لشبونة 104
لاهاي 89
نافريا 79
النمسا 65 ، 78

-هـ ي-

هولندا 9، 10،71، 89 ،92
الهند 22.
اليونان 34.
الإيبيريتين 1، 47.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الأندلسيين 58 ، 87، 88.

الإنجليز 90، 102.

الأوربيين 1، 2، 3، 4، 5، 18، 40، 53، 54، 90، 94، 96، 97، 102، 103، 104، 127.

– ب –

بني ضميرة 23.

– ت –

تيدسى 43، 46.

تارودانت 43، 46.

التونسيين 105.

– ج ح –

جهينة 26.

الحنابلة 37.

الحنفية 37.

– ر –

الروم 22 ، 103.

الرومان 20، 21، 25، 34، 38، 61.

– ز –

الزناتيين 56.

– ف –

الفرس 21، 26،35.

– د –

الدلائية 48، 52، 54.

الأدارسة 56.

– س –

السعديين 6، 7،9، 12، 16، 41، 43، 44، 46،49، 50، 52،53 54،57، 58 76 ، 84، 85.

السلاويين 100، 101، 102.

– ش –

الآشوريين 26.

الشافعية39.

– ع –

العرب،22، 40.

العثمانيين 29، 44، 90.

العلوج 51، 52.

العلويين 45،52،57،58.

العياشية 48، 54، 55 ، 56 ، 58.

– غ –

الغربيين 6، 2،23،25،24، 40.

الإغريق 19.

غفار 23.

– ط–

الطرابلسيين 105.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.Smart-PDF-Creator.com

الفرنسيين 19 ، 94، 102، 103، 105، 106، 107، 111، 115، 127.
الفرنج 89، 90.
الأفارقة 21.
فالوا 73، 80.

– ل –

اللوبيين35.

– م –

المسيحيين 26، 27، 28،36، 44، 71 ،87، 94، 127.
المغاربة 1، 2، 3، 4، 5، 10، 21، 54، 106، 108، 111، 128.
المسلمين 6،20 ،22،23،24، 25، 26، 27، 28 ،39،38،37، 40،41 ،76، 88، 90، 109.
المصريين 21،26.
الموريسكيين 87، 88، 92.

– ن–

النصارى 23، 41، 90.
الناصرية 59، 60.
النوبيين35.

– و –

الوطاسيين 43.

– هـ –

الهيجونوت 65،67 ، 75، 76، 77، 78 ،79.

– ي –

اليهود 87.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.Smart-PDF-Creator.com

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
الإهداء	
شكر وتقدير	
مقدمة	17-1
الفصل الأول: نشأة البعثات والسفارات الدبلوماسية وتطورها التاريخي	41-18
المبحث الأول: الدبلوماسية بين توصيف المفهوم وتطور التاريخ	31-20
مفهوم الدبلوماسية	22-20
الدبلوماسية في تصور المسلمين	23-22
مراحل تطور الدبلوماسية عند المسلمين	26-23
مراحل تطور الدبلوماسية عند الغربيين	26
المبحث الثاني: نشأة السفارات والبعثات الدبلوماسية	31-27
تعريف البعثة الدبلوماسية	28-27
نشأة البعثات الدبلوماسية	30-28
مهمة البعثات الدبلوماسية	31-30
المبحث الثالث: الرسل والسفراء في اللغة والاصطلاح	41-32
الرسول والسفير لغة واصطلاحاً	34-33
نبذة تاريخية عن الرسل والسفراء	37-34
مشروعية عمل الرسل والسفراء	37
علاقة الرسل والسفراء بعقد الأمان	38-37
طرق اختيار الرسل والسفراء	41-39
الفصل الثاني:الوضع السياسي للمغرب وفرنسا خلال القرن 11هـ/17م	72-42
المبحث الأول: الوضع السياسي للمغرب الأقصى	61-43
أوضاع المغرب الأقصى بعد وفاة المنصور"فترة الفتنة" 1012هـ/1603م	52-46
نهاية الدولة السعدية، وإمارة الشبانات	54-53
تردي الوضع الاقتصادي (الكوارث الطبيعية)	55-54

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الزوايا الدينية ودورها في الحراك السياسي	57-55
العلويين من الإمارة إلى الدولة	58-57
عهد المولى إسماعيل بن الشريف (1645-1727م)	61-59
المبحث الثاني: الوضع السياسي في فرنسا	72-62
انتقال الحكم من هنري الرابع إلى لويس الثالث عشر997-1018هـ/1589-1610م.	63-62
فرنسا في عهد لويس الثالث عشر27 سبتمبر1601م- 14 ماي 1643م	65-64
ريشيليو ومركزية السلطة 1033-1051هـ/1624-1642م	67-66
مزران كوزير أول 1051-1071هـ/1642-1661م	68-67
حرب الفروند 1057-1063هـ/1648-1653م	69-68
عصر لويس الرابع عشر 1071-1126هـ/1661-1715م	72-69
الفصل الثالث: البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي في النصف الأول من القرن 11هـ/17م	94-73
المبحث الأول: التمثيل الدبلوماسي لفرنسا في المغرب الأقصى قبيل القرن 17م	84-75
مهمات القناصل الفرنسيين في المغرب الأقصى	78-76
القنصليات والبعثات الفرنسية إلى المغرب الأقصى	84-78
المبحث الثاني: البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي (1603-1659م)	94-85
نظرة عن البعثات قبل القرن 11هـ/17م	86-85
بعثة أحمد بن قاسم الحجري الملقب "بأفوقاي" (1018-1019هـ/1610-1611م)	90-87
بعثة أحمد الجزولي (1020-1021هـ/1612-1613م)	92-90
بعثة سيدي فارس (1028هـ/1619م)	94-93
الفصل الرابع: البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي في النصف الثاني من القرن 11هـ/17م	120-95
المبحث الأول: بعثة الحاج محمد تميم الأولى 1681-1682م	108-97
التعريف بالسفير	98

This document was created using Smart PDF Creator To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

الظروف الممهدة لبعثة محمد تميم	101-98
الوفد المكون للبعثة	102-101
الظروف المرافقة لهذه البعثة	103-102
مجريات البعثة	106-104
نتائج بعثة محمد تميم	108-107
المبحث الثاني: بعثة الأميرال عبد الله بن عائشة 1699/1698م	120-109
شخصية السفير عبد الله بن عائشة.	111-110
الظروف الممهدة لبعثة عبد الله بن عائشة	113-111
الوفد المكون للبعثة	114-113
مجريات البعثة	117-114
نتائج بعثة عبد الله بن عائشة	119-117
جمود العلاقات والقطيعة الدبلوماسية	120-119
الخاتمة	124-121
الملاحق	138-125
قائمة المصادر والمراجع	151-139
الفهارس	164-152
ملخص الدراسة بالفرنسية	

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

Résumé du mémoire

1- Thème:

Les missions diplomatiques marocaines en France au, XII siècle (1603-1699).

2- Contenu:

Depuis l'antiquité, les sociétés cherchent à établir des relations entre eux sous toutes ses formes pour préserver leurs intérêts. Ces relations peuvent être entretenues par le bais des rencontres directes entre les rois et les présidents, ou plutôt par le bais des émissaires chargés par des missions précisés. A la suite de développement de la vie sociopolitique, les relations diplomatiques ont connu une nouvelle dimension.

Depuis des siècles, la diplomatie était le miroir ou plutôt le reflet des relations entre les peuples et les nations. Ces relations revêtent un intérêt capital dans le sens ou elles pourraient être le garant du bon voisinage et aussi la source d'une stabilité durable.

De ces relations entre les deux rives de la méditerranée émerge la diplomatie Maghreb-Europe dans l'époque contemporaine. En fait, dès le début de 15 siècle, la stratégie des européennes se tourne vers les pays du Maghreb, déjà en décadence et déchirés par des tensions internes. Alors la France et les deux pays ibériques, en l'occurrence l'Espagne et le Portugal avait profité de la confusion qui règne à l'époque dans la majorité des pays du Maghreb et commencèrent par mettre la main sur toutes les enclaves et ports marocaines afin d'accaparer le commerce maritime dans le Bassin Méditerranéen.

This document was created using SmartPDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

En fait, la France avait usé de tous ces moyens afin d'étendre sa domination sur les deux rives de la méditerranée. Elle joua un rôle primordial dans le conflit qui opposa l'Espagne aux ottomans dans le Bassin Méditerranéen, et plus particulièrement dans la partie ouest. Ces relations tumultueuses entre l'Espagne et les ottomans constituent une aubaine inespérable pour la France pour établir des liens diplomatiques et politiques avec le Maroc.

C'est dans ce cadre que nous essayons dans cette recherche intitulé ***: Les missions diplomatiques marocaines en France au, XII siècle*** de jeter toute la lumière sur le rôle diplomatique qu'a joué le Maroc dans une période qualifiée de plus difficile dans l'histoire de la société marocaine pour la bonne raison que ses conséquences et ses retombées politique se firent sentir sur les pays des deux rives de la Méditerranée.

Cette étude, traite en fait un volet très important des relations entre les deux rives de la méditerranée, plus précisément la course, le commerce et les captifs : ce qui indique clairement l'activité des missions diplomatiques marocaines en France le XII siècle, qualifié d'âge d'or de la navigation maritime pour les pays des deux rives (siècle de la course).

3-Objectif de l'étude:

A travers cette étude j'ai voulu exposer en détail les relations et les missions diplomatiques entre le Maroc et la France pendant le XII siècle (1603-1699)

En fait, cette période a connu des grandes transformations qui a, certes influencé les rapports dans le Bassin méditerranéen, et plus particulièrement dans la partie ouest au XVII siècle. Une période pleine de confusion et des

This document was created using SmartPDFCreator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

contradictions, selon laquelle la France a été impuissante à mener une politique claire envers le Maroc. Du coup dans cette recherche J'ai tant essayé d'étudier les missions diplomatiques marocaines en France.

4-Le cadre spacio-temporel de l'étude:

Notre choix a porté sur XIè s de l'Hégire, XIIs de l'ère chrétienne (1012-1110/1603-1699) comme cadre temporel en regard à l'importance de cette période dans les relations entre les deux rives de manière générale et plus particulièrement entre la France et le Maroc. Une période, en fait pleine d'événements historiques. Ces deux pays, en l'occurrence la France et le Maroc ont constitué le cadre spatial de mon étude, vu l'émergence de la France comme une puissance influente dans le bassin méditerranéen et la fin de règne de saadite et l'émergence de l'Etat alaouite.

5- La problématique: Le sujet des missions diplomatique marocaines en France a susciter beaucoup d'interrogations chez les chercheurs et les historiens, et plus précisément parmi les occidentaux, tout simplement parce que avec le temps la notion de la diplomatie a changé du sens du fait que les raisons de son apparition sont plus les mêmes, alors que le discours sur la diplomatie marocaine à l'ère contemporaine soulève pas mal d'interrogations : ***Y'a-t-il des émissaires marocains au palais français ? Et si oui, quelles étaient la plus importantes des missions diplomatiques en France pendant le XIè s de l'Hégire, XII de l'ère chrétienne ? Et quelle était la nature des relations que le Maroc entretienne ave le royaume de Bourbon ?***

6- La méthode: Pour notre étude, nous avons adopté la méthode historico-descriptive, étant donné qu'elle convient le

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

plus à la description des évènements et des réalités historiques, ainsi qu'à l'analyse historique scientifique et objective. Loin de tout subjectivisme et tout préjugé, elle est basée sur une lecture sérieuse, approfondie et très fouillée des divers documents historiques, ainsi que les sources disponibles.

7- Plan : Le présent travail contient une introduction et quatre chapitres :

***L'introduction:** présente une définition et explication du sujet, ainsi que la définition du cadre spatio-temporel, sans oublier toutefois, le motif derrières le choix du sujet et le plan adopté pour cette étude, vient ensuite un petit exposé de plus importantes des études sur le sujet, sans oublier au passage de rappeler des difficultés rencontrées pour la réalisation de ce recherche. Enfin, une analyse de tous les ouvrages et références qui m'ont aidé à mener à bien cette étude.

***ChapitreI:** intitulée les missions et les ambassades diplomatiques entre l'émergence et le développement historique, qui traite l'ensemble des définitions de la diplomatie, les missions diplomatiques, les ambassades, les termes et les définitions utilisés, ainsi que les relations entre le monde musulman et celui du christianisme.

***Chapitre II:** Dédié pour la position politique de la France et celle du Maroc

***ChapitreIII**: traite les plus importantes des missions diplomatiques marocaines en France pendant la règne des saadite.

***Chapitre IV:** traite, lui aussi de plus importantes des missions diplomatiques marocaines en France pendant la règne des alaouites.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message Purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

En fait, j'ai conclu mon étude avec des recommandations, ainsi que des annexes, liste des références et ouvrages bibliographiques

8-Principales sources et références: D'entre toutes les sources qui nous ont été d'une aide précieuse nous citerons :

Documents diffusés

Sources en arabe

Sources étrangères

Références en arabe

Références étrangères

Dictionnaires et encyclopédies

Les articles en arabe

Les articles étrangers

9- La conclusion générale:

D'entre tous les résultats précieux dont nous sommes arrivés, nous citerons :

- Que la plupart émissaires la période qui a précédé le17 siècle, étaient des européens et des chrétiens établis au Maroc.
- Les relations diplomatiques entre le Maroc et la France ont connu des périodes difficiles, durant laquelle cinq émissaires ont été dépêché, entre autres Ahmed ben kacem al hajri, surnommé afokay, Ahmed al Gazouli, sidi fares, Al haj Mohammed Tamim et Abdullah ben aicha, trois uniquement parmi eux ont eux accès aux palais françaiset deux ont échoués pour la simple raison que les Rois français était opposé à leur entrée.
- Que les relations diplomatiques entre les deux pays ont passées par une période de vide diplomatique de 1619 , date de la mission de sidi fares à 1681, date de la mission de Mohammed tamim.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com

-que la plupart des émissaires étaient d'origine andalouse, ce qui indique clairement l'importance de leur présence au Maroc.

This document was created using Smart PDF Creator
To remove this message purchase the product at www.SmartPDFCreator.com